

سلسلة الأدب

مكتبة  
الكتاب  
٢٠١٠

# الغجر

ع ، ن ، ا ، و

## وأعمال أخرى

الكسندر بوشكين

[/http://arabicivilization2.blogspot.com](http://arabicivilization2.blogspot.com)

Amly

ترجمة وتقديم: رفعت سلام





الغجر  
وأعمال أخرى

مكتبة  
٢٠١٠

برعاية السيدة

سوزانا مبارك



الْخَيْرُ

وَأَعْمَالُ الْآخِرِي

الكسندر بوشكين

ترجمة وتقديم

رفعت سلام



## الفجر وأعمال أخرى

لوحة الغلاف من أعمال الفنان : كامل مصطفى

بوشكين، ألكسندر سرچيفتش، ١٧٩٩-١٨٣٧  
الفجر وأعمال أخرى / ألكسندر بوشكين؛ ترجمة  
وتقديم رفعت سلام - القاهرة: الهيئة المصرية  
العامة للكتاب ٢٠١٠.

٣١٢ ص؛ ٢٠ سم. (مكتبة الأسرة ٢٠١٠).

تدمك ١ - ٥٠٠ - ٤٢١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - الشعر الأمريكي

أ - سلام، رفعت (مترجم ومقدم)

ب - العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٩٨٨ / ٢٠١٠

I.S.B.N 978 - 977- 421 - 500 - 1

ديوى ٨٢١

## توطئة

مثل كل الأحلام الكبرى التى بزغت منها مشاريع عملاقة أدت إلى تطور مجتمعاتها، ولهذا أرسى مهرجان القراءة للجميع جذوره الراسخة فى الأرض المصرية منذ عشرين عاماً.. لقد انطلق أهم مشروع ثقافى فى العالم العربى عام ١٩٩٠ تحقيقاً لحلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك راعية المهرجان، وصاحبة فكرته والتى دشنته آنذاك بافتتاح عشرات المكتبات فى جميع ربوع الوطن، وأطلقتها فى سماء الواقع برؤية واضحة ومحددة تستند على الإيمان بأن الثقافة هى وسيلة الشعوب لتحقيق التقدم والتنمية بما لها من قدرة على تحويل المعارف المختلفة إلى سلوك متحضر، وإعلاء المثل العليا، وقيم العمل والإنجاز، وإشاعة روح التسامح والحرية والسلام التى دعت إليها جميع الأديان، بهدف أن تُكوّن ثقافة المجتمع بتأصيل عادة القراءة وحب المعرفة، لذا فإن وسيلة المعرفة الخالدة ستظل هى الكتاب الذى يسهم فى إرساء دعائم التنمية، وتحقيق التقدم العلمى المنشود.

لقد اتسعت روافد الحملة القومية للقراءة للجميع طوال الأعوام العشرين الماضية، وأصبحت تشكل فى مجملها دعوة حضارية للبناء الروحى والفكرى والوجدانى للإنسان المصرى نابعة من الإيمان العميق بأن الثقافة هى بكل المقاييس أفضل استثمار لبناء مجتمع المستقبل، وهى الجسر الرئيسى للشباب للحاق بركب الحضارة المعاصرة، بل تكاد تكون هى الوسيلة الوحيدة لنشر قيم العلم والتسامح والديمقراطية والسلام الاجتماعى والتطور الحضارى، وترسيخ قيم المواطنة وقيمة دور المرأة،

وتعزيز قيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار ومعرفة الآخر والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وأيضاً إبراز تواصل الإبداع المصرى من خلال نشر الآثار الأدبية لـ «مختلف أجيال المبدعين».

ومنذ العام الرابع لمهرجان القراءة للجميع؛ أصبحت مكتبة الأسرة من أهم روافده، وقدمت طوال ستة عشر عاماً دون توقف ملايين النسخ بأسعار رمزية لإبداعات عظيمة لشباب المبدعين وكبار الكتاب الذين أثروا المشروع فكرياً وثقافياً وعلمياً ودينياً وتراثياً وأدبياً، كما قدمت الموسوعات الكبرى التى تُعتبر أعمدة هذه المكتبة، والتى شكلت مسيرة فكر النهضة فبعثت فى نفوس الشباب من جديد الإحساس بالفخر بما قدمته أمتهم من كنوز إبداعية ومعرفية وفكرية للبشرية، وأقامت جسراً يصل بين ماضيهم وحاضرهم، ويصل بين حاضرهم ومستقبلهم، كما بعثت فيهم روح الانتماء القوى لهويتهم المصرية والعربية، ولما لا وقد أطلت عليهم مكتبة باذخة الثراء تتكى على مؤلفات حضارة مصرية قديمة ما زالت قادرة على إدهاش العالم حتى هذه اللحظة بما احتوته من تقدم فنى وفكرى وعلمى وفلسفى وأدبى شكّل فجر «ضمير الإنسانية» وحضارة إسلامية أنارت ظلمات أفلاك البشرية لحقب طويلة من الزمان، ووضع أعلامها بعض أعمدة الحضارة المعاصرة فى مجالات الطب والفلك والرياضيات والآداب.

لهذا كله ستواصل مكتبة الأسرة هذا العام نشر رسالتها بالسعى قدماً نحو تطوير أدائها، وتحقيق حلمها الأكبر بتكوين ثقافة المجتمع كله بأيسر السبل، والتأكد من اطلاعه على جميع ما أنتجته عبقرية الأمم ممثلة فى تراثها الأدبى والعلمى والفكرى المستتير.

مكتبة الأسرة

٢٠١٠



## تقديم

لقد قرأت (بوشكين) مترجماً.. لكن ترجمات عديدة لشعره لم ترق لي؛ لأن من قام بها محض مترجمين لا يملكون حساً حقيقياً، ولا يملكون تلك المفاتيح السرية العجيبة التي تمنح من يملكها قدرة على سبر أغوار النص الشعري المترجم، ولا يملكون- كذلك- قدرة خلاصة على الإحاطة بتلك الغيوم التي تظل مختبئة في النص الشعري، وتنتظر أصابع قادرة على الوصول إلى ما تكنزه من مطر شعري عذب وصاف..

لقد كان ضجر كبير يمسنى كلما قرأت تلك الترجمات المملة التي يركز أربابها على المعنى الحرفي للنص، أو على المضمون المباشر الطافى على سطح النص.. فتأتى القصييدة المترجمة إما مسخاً مشوهاً أو باعثاً على الغثيان كبيانٍ صحفى بارد، أو (فرمان) سياسى معتاد، أو تصريح غير ذى جاذبية..

وثمة ترجمات مسرفة في قدرتها على الاستفزاز السلبي أثناء

القراءة، إذ تجعلنى أشعر بشعور من يفاجأ ببضع حصوات صغيرة تبرز خلصة بين الأضراس، بينما كان يظن أن ما يقوم بمضغه لقيمات شهية مستساغة..

نعم، قرأت (بوشكين) فى عدد من الترجمات، لكن تلك الترجمات لم تروِ عطش الروح التواقّة إلى مطالعة جمال صرف وقرأة إبداع خالص، حتى عثرت على ديوان بعنوان (الفجر) يتضمن قصائد منتخبة لبوشكين، بالإضافة إلى تقديم ضاف وعميق عن ذلك الشاعر الروسى الكبير، الذى أحدث انقلاباً مهماً فى بنية القصيدة الروسية، وفى مفهوم الشعر بوجه عام، فضلاً عن أنه أخرج القصيدة من ترف (القصور) وأفق (السرايا) المحدود إلى رحابة الحقل، واتساع الأرض، وحركة الشارع وثرء الأحلام واصطخاب الحياة..

تولى ترجمة القصائد التى تضمنها ديوان (الفجر) الشاعر رفعت سلام، وصدر عن دار ابن خلدون ببيروت فى العام ١٩٨٢ ..

وكم كان حبر (سلام) مدهشاً، وهو يقدم للقارئ العربى أرغفة (بوشكين) الساخنة، ببراعة فنان يملك عينين مفايرتين لعينى أى مترجم عادى كل عدته تكمن فى امتلاك لسان الآخر فحسب.. فضلاً عن كون (سلام) يملك قاموساً لغوياً ذا ثراء واضح، يؤهله لاختيار المفردة والعبارة الملائمة لما يترجمه من شعر، بالإضافة إلى ذلك الإحساس البهى الذى يملكه- وهو إحساس شاعر يرى فيما يترجم من نصوص ما لا يراه سواه من موظفى الترجمة!!

فتأتى النصوص المترجمة على يديه أسرةً باذخة، وهذا ما فعله  
رفعت سلام مع قصائد (بوشكين). فحين تقرأ قصيدة (الفارس  
البرونزي)- وهى من أهم قصائد هذا الشاعر الكبير الذى يتغنى  
فيها بـ"أشياء الفقراء الثمينة"- تشعر فور فراغك من قراءتها بذلك  
الامتلاء العجيب الذى يحدثه الشعر الحقيقى فى النفس، بحيث  
تسير- بعد ذلك- "بِرُوحٍ تُهْدِيْ مِنْ عَوَاصِفِ الْحَيَاةِ"، لتتهف من ثم  
لرفعت سلام ولحبره الجميل الذى تمثّل تماماً صوت (بوشكين)،  
بحيث استطاع أن يجعله يصل إليك صافياً وعنيداً وهو يهتف:- "آه،  
يَا إِلَهِي! أَكَانَ ذَلِكَ حُلْمًا.. أمْ أَنَّ حَيَاتِنَا كَانَتْ دُعَابَةً أُخْرَى مِنْ  
دُعَابَاتِ السَّمَاءِ" ..

وحين أكملت قراءة جميع القصائد التى ضمها جناحا هذا  
الديوان فى نسخته العربية، لم يعد الديوان ديواناً، بل شرع يحلق  
كطائر جميل فى سماء غرفتى الصافية.. على أثرها، نهضت  
هامساً فى أذن رفعت سلام مستعينا بصوت (بوشكين) نفسه  
قائلاً:- "إِلَى أَيْنَ تَحَلَّقُ فِي الصَّقِيْعِ أَيُّهَا الْحِصَانُ.. وَأَيْنَ سَتُؤَمَّرُ  
بِالتَّوْقُفِ؟".

وحين تصل إلى قصيدة (الفجر)، تتكشف لك آفاق تلك القصيدة  
الملحمة، القصيدة العلامة.. القصيدة التى تعتبر نجمة هائلة فى  
فضاء الشعر الكونى الحديث، وعندها تماماً.. عند ضفافها الغنية  
تقبض على نفسك متلبساً بصوت (بوشكين)، مستعيداً نشيده

الجميل ومديحه العالى لأولئك القوم المصابين بلعنة الرحيل الدائم،  
والشقاء المرير، وبسطوة الغناء الذى يُعدُّ بالنسبة لهم زاداً ليس ينفد  
فى غمرة كل ذلك الرحيل الطويل، وفى جوع لا نظير له تقترحه  
الدروب العسيرة والطرق المبهمة..

نعم تجد نفسك تستعيد نشيد (بوشكين) فى السادة (الغجر)،  
وتستحيل أنت كما لو أنك أصبحت صدئاً بهياً لصوت ذلك الشاعر  
الكبير:- "فِي الْهَوَاءِ الطَّلَقِ نَوْمُهُمْ هَادِيٌّ؛ كَمَا الْحُرِّيَّةُ إِقَامَتُهُمْ  
سَعِيدَةٌ...". إنك لا تكتفى باستعادة ذلك المقطع العميق، ولا تكتفى  
بأن تكون مجرد صدئ لريح الشعر، بل تجد نفسك وقد انتقلت إلى  
فضاء حياة كاملة لهؤلاء البشر، المعنيين بأعراس الخيام ورقصة  
الريح ومطاردة الأطياف الجميلة البعيدة، والانقياد لأشواق الروح  
وجمر القلب، على الرغم من متاعب الجسد التى ليس منها فكاك.  
وتجد نفسك تعيش معهم تحت تلك القبة الكبيرة الزرقاء الصافية  
التي تدعى: سماء، حيث "يُرْسَلُ الْقَمَرُ مِنَ الْأَعَالِي / وَمِيضًا أبيضَ  
غَرِيبًا كَاللُّؤْلُؤِ" .. أو حيث "أَنْهَارٌ مِنَ الضَّبَابِ تَطْوِي قَمَرًا مَآكِرًا..."،  
سارداً معه عبر الشعر/ الشعر، وليس عبر أى وسيلة نصوصية  
أخرى، حكاية الشاب (أليكو)، وذلك الرجل العجوز المتهدم، وتلك  
البنات التى تُدعى (زمفيرا) التى يتألق قلبها كالوردة، وتفيض  
أشواقها مثلما يفيض النهر..

(أليكو) يرى أنه: "حَيْثُ لَا حُبَّ، لَا يُعْرَفُ الْمَرْحُ / وَتَافِهَةٌ هِيَ  
الْحَيَاةُ وَلَا تَحْمِلُ آيَةً مُتَعَةً". بينما يردد العجوز، الملىء بكنوز الحكمة

الناضجة، والخبير بمكابدات الحب وأسراره، والضالع في معرفة تحولات القلب واشتعالات أفئدة النساء الخبيثة: "أكثرُ حُرِيَّةً مِنْ طَائِرٍ، هُوَ الْحُبُّ: / حَاوِلْ أَنْ تَحْبِسَهُ، وَسَوْفَ يَطِيرُ مِنْكَ. / إِنَّهُ يَجِيءُ، / ثُمَّ وَاسْفَاهُ، يَمْضِي إِلَى الْأَبَدِ / مَهْمَا حَاوَلْتِ - مِرَاراً - أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ..."؛ و(زمفيرا) - وهى فى عز احتضارها - تصرخ صرختها المدوية، صرختها المليئة بالتحدى، دفاعاً عن خياراتها فى الحب، فيما المدية تسكن عميقاً جسدها الغض اللدن: "يَحْبِي لَهْ أُمُوت".

ما أذكره لرفعت سلام، أنه هو الذى قادنى - فى بدء إطلالتى البكر على أفق الشعر العالمى - إلى (ماياكوفسكى)، الشاعر الروسى الكبير الذى قال ذات مرة: "لو لم أكن شاعراً لكنتُ فلكياً تقياً)... فبعد سأم طويل من ترجمات جملة تجرعتها قسراً كمن يتجرع كأساً من (حليب الغبار) - بحسب تعبير الشاعر العربى الكبير عبد الله البردونى - .. قادنى سلام إلى (غيمة) ماياكوفسكى، لأرتوى هادئاً من مائها الذى تكنزه، وهو ماء صاف، وذلك عبر ترجمته الشهيرة لديوان "غيمة فى بنطلون" تلك النسخة الجميلة التى ضاعت منى فى حريق مباحث، أتى على كل ما فى غرفتى الصغيرة البسيطة التى كانت مشيدةً فوق السطوح!

لقد استطاعت ترجمته تلك أن تجعلنى أشيد جسراً وطيداً من المحبة مع الشعر العالمى الحديث، بأى لغة تمت هندسته فى الأصل، وبأى ضوع رزف عالياً وحلق..

إن ثمة شعراء عرباً ممن يملكون لغة (الأخر) استطاعوا بحبرهم  
الفصيح نقل قصائد (الأخرين) بكل ما فيها من نبض وحرارة  
وحياة، لأنهم يسمعون جيداً خريز الينابيع وهي تتدفق في أوردة تلك  
القصائد.. ومن أولئك حتماً الشاعر الجميل رفعت سلامم..

جريدة "الجزيرة" السعودية،

المجلة الثقافية، العدد، ٢٢٨، الاثنين ٧ يناير ٢٠٠٨.

فَلتَشُقُّ أَيَّتَهَا الرِّيحُ وَالأنوَاءُ وَجَهَ المِيَاهِ،  
وَحَطَّمِي الحَوَاجِزَ الخَبِيئَةَ القَاتِلَةَ!  
أَيْنَ أَنْتِ أَيَّتَهَا العَاصِفَةَ، يَا رَمَزَ الحُرِّيَّةِ؟  
فَلتَهَبِي، فَلتَفَجِّرِي عَلَى المِيَاهِ الحَبِيسَةَ السَّجِينَةَ.

بوشكين





زمنٌ للشُّعْر والجريمة



لَقَدْ نَضَجْتُ مِنْ أَجْلِ الْأَبَدِيَّةِ  
وَسَيْلُ أَيَّامِي قَدْ هَدَأَ...

بزغ الفجر، يوم ٢٧ يناير، على مدينة غارقة فى الثلج والطين.  
كان الطقس بارداً، والريح تصفر بصوتٍ رتيب، والعاثرون يجتازون  
الطرقات بخُطى سريعة، وقد انحنت ظهورهم واختفوا فى  
معاطفهم.

لم يستيقظ بوشكين قبل الثامنة، فهب من فراشه، واغتسل على  
عجل، وتناول قدهاً من الشاي. كانت ناتالى- زوجته- والأولاد ما  
زالوا مستغرقين فى النوم، وكان هو الوحيد الذى يعرف أن الشمس  
قد لا تغيب ذلك اليوم إلا ويكون قد فارق الحياة. ما أكثر ما تألم  
حتى الآن من الاستفزات والألاعيب والأكاذيب؛ فإذا مات.. فالموت  
أفضل من عالم يسكنه بنكندورف ونيقولا الأول ودانتس وهيكرن.  
ومهما يكن، فهو لا يعتقد أنه سيموت، ذلك أن الله عادل.

وتلقَى رسالة من "دارشياك" - شاهد "دانيس" - يلح فيها على ضرورة الاجتماع بشاهده، قبل ظهر اليوم. فأجاب بأنه لن يأخذ شاهده إلا إلى مكان اللقاء مباشرة، وإلا فإنه يقبل أن يختار له خصمه شاهداً، ولن يعترض عليه مطلقاً. واستدار إلى عمله: يجب أن يجهز العدد الخامس من مجلته "المعاصر"، وكان يريد أن يضمها مقاطع من الشاعر الإنجليزي "بارى كورنوال"، أبدت السيدة "إيشينوف" استعداداً لترجمتها. تصفح ديوان الشاعر، وأشار - بالقلم الرصاص - على قصيدتين كى تترجما، حيث يتحدث الشاعر فى الأولى عن الغيرة، وفى الثانية عن حق كل إنسان فى الانتقام.

ارتدى أجمل ثيابه، وتعطّر، وتناول معطفه، وخرج. وعلى درجات الدار التقى بأحد الجيران فحياه. أليس من السخف أن يموت المرء بعدما اغتسل، وبدل ثيابه، وتعطّر، وضبط ساعته، وحيّاً جاره، التقى بدانزاس فى الرابعة، فتناول معه كأساً من الليمون، وركبا العربة فى اتجاه "تشيرناياريتشكا".

التقت عربتهما بعربة "ناتالى" فى الطريق، لكن أنظار الزوجين لم تتلاق أبداً. لعل نظرة وابتسامة صغيرة كانتا كافيتين لتجنب الكارثة. وكان "دانزاس" يأمل طول الوقت أن يعترض الجنود سبيلهما، فالبارزات ممنوعة منعاً باتاً بحكم القانون، وخبر المباراة

قد بلغ السلطات، فلماذا لم تحرك ساكناً لمنع اللقاء المسلح؟ إذا قُتل بوشكين، فإن النظام القيصري سيكون قد تخلص من عدو لدود له. أما إذا جُرح فقط، فيمكن للسلطات- فى هذه الحالة- أن تعتقله، وتدينه، وتنفيه أو تسجنه، لأنه خرق القوانين. وقد أوصت إحدى الأميرات "بنكندورف"- قائد البوليس-: "ما عليك إلا أن ترسل الجنود فى الاتجاه المعاكس!". وقرر "بنكندورف" أن يعمل بالنصيحة.

وصلا إلى المكان المحدد مع "دانتس" وشاهده فى وقت واحد. تبادل الشاهدان التحية بأدب، وراحا يتفحصان أرض المكان، ثم اختارا موضعاً على بُعد ثلاثمائة متر من الطريق، وأخذا يمهدان الثلوج بأقدامهما مثل طفلين يلعبان. جلس "بوشكين" على الأرض يراقبهما، و"دانتس" يقف بالقرب منه، وزى الحرس الأبيض يظهر من تحت معطفه.

سأله "دانزاس" ما إذا كان المكان يلائمه، فأجاب بأن الأمر سيان عنده، بشرط أن يسرعاً. قاسا الشاهدان المكان، وصنعاً من معطفى الخصمين حاجزين متباعدين بمسافة عشر خطوات، ثم راحا يحشوان المسدسين. ولما انتهيا، وضعا الخصمين على مسافة خمس خطوات من الحاجزين، وأعطياهما المسدسين. وأعطى "دانزاس" إشارة البدء ملوحاً بقبعته.

تقدم "بوشكين" بسرعة من الحاجز، وبدأ فى التسديد. لكن "دانيس" - الضابط المحترف بالحرس الإمبراطورى- لم ينتظر أن يصل هو الآخر إلى الحاجز، فأطلق النار من مكانه. وخرَّ "بوشكين" فوق معطفه ووجهه فى الثلج، وجسده لا يتحرك. انطلق الشاهدان إليه، فرفعا رأسه، وبان وجهه رمادياً رطباً مثل كتلة من طين. همس قائلاً: "أعتقد أن فخذى قد كُسرت". وعندما رأى "دانيس" يهم بمغادرة مكانه، صاح به: "انتظر، أحس أن لى من القوة ما يكفى لإطلاق النار". فرجع "دانيس" إلى مكانه، ووقف بصورة جانبية، واضعاً ذراعه اليمنى على صدره ليحمى منطقة القلب.

كان المسدس قد سقط من يد بوشكين- حين سقط- وغرق فى الثلج، فأعطاه "دانزاس" مسدساً آخر تناوله بيد ثابتة، وصوبه وهو ممدد على الأرض، مستنداً إلى ذراعه اليسرى. صوب طويلاً، ثم أطلق النار، فأصاب الرصاصة غريمه فى ذراعه اليمنى، واصطدمت بالأزرار النحاسية، مخترقة اللحم. كان الجرح طفيفاً، إلا أن عنف الصدمة طرحه أرضاً.

كانت بقعة من الدماء تلون الثلج بمحاذاة بطن "بوشكين". وأغمى عليه مرتين، وحين استرد وعيه، سأل: "هل قتلته؟"، فأجابه "دارشياك": "كلاً، لكنك جرحته"، فقال: "عجباً! كنت أظن أن قتله يلذ لى، لكنى أشعر أنى كنتُ مخطئاً".

كان الدم ينزف منه بغزارة، فجاء بالعربة إلى مكانه، ثم رُفِع إليها. كان يحاول - من حينٍ إلى آخر - أن يبتسم ويمزح، لكنه ذلك الألم القارض الذى يهاجمه فى البطن بصورة مباغتة، فتموت الابتسامة. اختنق صوته، وأغمى عليه، وحين أفاق حاول أن يتكلم من جديد. كان الدم ينزف بلا انقطاع، وحركة العربة تضاعف النزيف بصورة خطيرة، فلم يكن بُدُّ من التوقف فى الطريق عدة مرات.

وجاء الطبيب فى حوالى الساعة السابعة. ضمد جرحه، وأعلن لدانزاس - وهو يغادر الدار - أن حالة المريض سيئة، ولا بد أنه سيموت. جاء أصدقاؤه فى هذه الأثناء.. إنهم يقفون الآن جميعاً على ضفة واجدة، وهو على الضفة الأخرى المقابلة، يبتعد لى كل ضربة من ضربات قلبه. ليس الموت بشيء رهيب، لكن هذا الألم فى بطنه يودى به إلى حافة الجنون.

ولم يدعه "نيقولا الأول" فى سلام على فراش الموت، وأرسل له خطاباً يطالبه بضرورة مراعاة طقوس الدين المسيحى قبل موته، جاعلاً من ذلك شرطاً لضمان مسانדתه لزوجته وأطفاله بعد الموت. لم يعد يتمالك نفسه مع الوقت؛ فالاختلاجات الرهيبة تسطو على جسده، فيتقلب من جانب الفراش إلى جانبه الآخر، وينزلق إلى الأرض، ويسيل الزبد من فمه والعرق من وجنتيه.

هدأت الأزمة قليلاً عند الصباح، فطلب أن يرى زوجته التي ارتمت عليه باكيةً تجس أطرافه الناحلة، وتغمر يديه بالقبلات. ودخل أصدقاؤه، فراح "بوشكين" يتطلع إلى وجوههم المتعبّة، وعيونهم الدامعة. وجرى إليه بأولاده، الواحد تلو الآخر، وقد أوقظوا من النوم. لم يفهموا شيئاً، لكنهم سيفهمون فيما بعد. وهو لن يراهم يكبرون، ولن يكون فخوراً بنجاحاتهم، فهو يتحول منذ اليوم إلى صورة واسم على كتاب.

وخيم المساء على المدينة، ولا يزال "بوشكين" على قيد الحياة، يشرب الماء البارد بملقعة شاي، وينظر إلى الليل بجزن؛ فثمة أشياء كثيرة لم يقلها بعد، وما أكثر الألوان والأفكار والإيقاعات التي تملأ رأسه. وقصيدة على مكتبه لم يفرغ منها:

لَقَدْ نَضَجْتُ مِنْ أَجْلِ الأَبَدِيَّةِ

وَسَيْلُ أَيَّامِي قَدْ هَدَأَ ...

كل شيء ينام في الدار، وأرصفت نهر "النيقا" مقفرة، والفارس البرونزي في ساحة مجلس الشيوخ يرتدى عباءة من الثلوج، وثمة حراس يتجلدون في أماكنهم، وأناس يرقصون في مكانٍ ما، ولا يزال الفجر يطوفون السهول بلا انتهاء.



وعند ظهيرة اليوم التالى- التاسع والعشرين من يناير- طلب  
مرأة، وراح يتأمل ملامح وجهه طويلاً.. ها هو يودع صورته  
الإنسانية، يودع هذا الجسد، وهذا الشعر، وهاتين العينين، وقد  
كانت جميعاً له. وهو الآن ينحسر عنها فى نعومة.

وتجثو زوجته عند سريرها، تطعمه بضع ملاعق من الخوخ  
المعقود، فيمضغها على مهل بجديةٍ وحرصاً.. ما أطيب ذلك! إنه  
بذكره بطفولته، و"إرينا روديونوفنا" مربيته، والأشجار الكبيرة،  
والأطعمة الشهية. وأسندت "ناتالى" وجنتها على جبين زوجها، فراح  
"بوشكين" يلاطف شعرها بيدٍ ثقيلة: "حسناً.. حسناً.. لا بأس. كل  
شئ سينتهى على خير". لم يتبق من العالم شئ بالنسبة له، سوى  
مذاق هذا الخوخ المعقود، ورائحة الأدوية المنتشرة فى الغرفة.  
وعندما يتلاشى ذلك المذاق وتلك الرائحة، فإنه الموت إذًا. وها هو  
يترنح الآن خارج السرير على أمواج الكتب وحروف الطباعة،  
وأشعار تدوى فى أذنيه، فلماذا؟ لماذا.. القيصر والبلاط  
و"بنكندورف" و"النيقا" و"ناتالى" و"دانتس" و"هيكيرن"، والشرف،  
والرسائل، والدم.. هذا الدم الذى يصعد الآن إلى حلقة ويخنقه..؟

تراخى جسده، وصار تنفسه منتظماً، وازداد وجهه شحوباً  
وأطرافه برودة. انحنت رأسه قليلاً، وتراخت يداها، بعد أن كانتا

فريسةً للاختلاجات العصبية. كان يبدو جديداً ومألوفاً في نفس الوقت: وما كان يُعبّر عن النعاس ولا عن الراحة، ما كان يُعبّر عن الذكاء ولا حتى الإشراق الشعري؛ كلاً، بل إن فكرة عميقة، مدهشة، قد انتشرت في ملامحه، كأنها شارة معرفة غريبة، راضية.

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والخامسة والأربعين، من بعد

ظُهر ٢٩ يناير ١٨٢٧.

أَلَا أَعْلَمُوا الْآنَ، أَيُّهَا الْمُلُوكُ  
 إِنَّ شَيْئًا لَنْ يَسْتَطِيعَ حِمَايَتَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ  
 لَا الْعُقُوبَاتِ، وَلَا الْمَكَافَاتِ،  
 لَا مَذَابِحَ الْهَيَاكِلِ، وَلَا السُّجُونِ.

"كان مصيرٌ رهيبٌ كئيبٌ ينتظر عندنا كل شخص يتجرأ ويرفع رأسه إلى مستوى أعلى مما خطّه له الصولجان الإمبراطورى، سواء كان شاعراً، أو مواطناً، أو مفكراً. كان مصيرٌ لا يرحم يدفعهم جميعاً إلى القبر"<sup>(١)</sup>.

وكان أمراً معتاداً أن يلعب المالك العقارى القمار على مصير فلاحه بدلاً من النقود، أو يبادل الفلاح بكلب؛ فلم يكن الفلاح الروسى يتمتع بغير حقوق الميت. كما كان معتاداً أن نقرأ- فى إحدى الجرائد- أنه "فى القسم الخامس عشر من الحى الثانى، فى شارع "ميشاسكايا" الرابع رقم ١١، تُباع فتاة تجيد خياطة الملابس الداخلية والكى والتنشية، كما تجيد طبخ الطعام، ويُباع خياط. وفى

(١) «هيرزن»، انظر التعريف فى «الأعلام» بنهاية الكتاب.

نفس المكان، تُعرض مجوهرات وأحجار ملونة وثور وبقرة أصيلان  
بسعر مناسب<sup>(١)</sup>.

## ٢

فمنذ منتصف القرن الثامن عشر، كان نظام القنانة قد بدأ فى  
الانحلال، وبدأت العلاقات الجديدة- الرأسمالية- تنمو فى صلبه.  
كانت طبقة النبلاء هى الطبقة المسيطرة؛ إذ تملك أهم ثروة فى  
البلاد: الأرض. وكان أكثر من نصف الفلاحين مملوكين للمُلاك  
العقاريين، الذى يتصرفون بأشخاص الأفتنان بحرية مطلقة. أما  
القسم الباقى من الفلاحين، فكانوا فى التبعية الإقطاعية للدولة،  
وأطلق عليهم "الفلاحون الحكوميون". ولعبت القيصرية دوراً مهماً  
فى الإبقاء والدفاع عن مصالح وامتيازات النبالة، والحفاظ على  
أسس نظام القنانة، فيما كان قد توطد أسلوب الإنتاج الرأسمالى،  
والعلاقات الاجتماعية البرجوازية، فى بلدان أوروبا الغربية.

ولهذا، شهدت هذه الفترة الانتقالية- فى روسيا- أهوال المخاض  
الأليم، التى كشفت فيها النبالة والقيصرية عن آخر أنيابهما تشبهاً

(١) «أحد إعلانات جريدة «موسكو فيدوموستى»، عام ١٧٩٧.

بالبقاء. كما شهدت الملاحقة والقمع الشديدين لكل بادرة تمرد. وتعرض الأدب الروسي للاضطهاد والمطاردة، وفُرضت مراقبة صارمة على المطبوعات؛ فكان كل مؤلف يمر على رقيبين أو ثلاثة، يشطبون كل ما يخيل إليهم أنه مشكوك فيه. وكان الرقباء مهديين بالسجن والطرده من الخدمة، إذا ما مرت مقالة "مشاغبة".

### ٣

كان الاستياء يتعاظم في كل مكان مع تزايد الاضطهاد. وانتشرت الانتفاضات الشعبية في أنحاء روسيا، وكان أخطرها الحرب الفلاحية عام ١٧٧٣ بقيادة "بوجاتشوف". فقد شملت الانتفاضة - وهي أقوى حركة معادية للإقطاع في تاريخ روسيا - مساحات هائلة من الدون ويايك حتى الأورال وأعلى الشولجا وكاما. ومنح "بوجاتشوف" الفلاحين والقوزاق - في المناطق المحررة - "الحرية الدائمة" و"الأرض والعشب والمرتببات النقدية والرصاص والبارود والخبز".

وهزت الانتفاضة كيان القيصرية ونظام القنانة حتى الجذور، برغم أنها انتهت بالهزيمة والتنكيل الدموي، لكونها تعبيراً عن الاحتجاج العفوي للجماهير المسحوقة المفتقرة إلى الوعي السياسي.

وعلى إثر الانتفاضة، ضاعفت القيصرية من توجهها الرجعى وإجراءات الإرهاب، والقوانين التى تؤكد جميع الحقوق والامتيازات للنباله، لكن...

#### ٤

فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، بدأ فى روسيا نشاط المُنورين البارزين، الذين دافعوا عن مصالح الجماهير الشعبىة فى مواجهة القنانة. ففضح "نوفيكوف" قسوة نظام القنانة، وأوضح كيف أن كل ثروات الأرض هى نتاج عمل الفلاحين. وقد تعرف القراء الروس- عن طريق مطبوعات "نوفيكوف"- لأول مرة على مؤلفات "شيكسبير" و"ثيرفانتيس" و"موليير" و"بومارشيه"؛ كما تعرفوا على منورى القرن الثامن عشر الفرنسين: "فولتير" و"ديرو" و"روسو".

أما "راديشيف"، فكان أول من دعا فى التاريخ الروسى إلى القضاء على عبودية الأقتان والحكم المطلق وإقامة الجمهورىة فى روسيا. ولعب كتابه "رحلة من بطرسبرج إلى موسكو" وقصيدته "الحرىة"- التى دعا فيها الشعب إلى الثورة والانتقام من القيصر- وغيرهما من مؤلفاته دوراً بالغ الأهمية فى تكوين الأيدىولوجيا المعادية للقنانة وتطور الأفكار الاجتماعىة فى روسيا.

وأدت حرب ١٨١٢ دوراً رئيسياً فى يقظة الوعى القومى. فقد وحدت المقاومة والدفاع عن الأرض فى مواجهة الغزو النابليونى كل الجماهير الروسية، بما أسبهم فى تشكيل وعى الجماهير بنفسها وأوضاع اضطرها.

وفى ١٤ ديسمبر ١٨٢٥، كانت انتفاضة الديسمبريين. كان الديسمبريون أوائل الثوريين الروس الذين أسسوا تنظيمات سرية، ونظموا انتفاضةً ثوريةً سافرةً ضد القيصرية. لقد رأوا منذ الطفولة أهوال نظام القنانة، ولعبت أفكار التنوير الروسية، واطلاعهم على أعمال منورى القرن الثامن عشر الفرنسيين وآداب أوروبا الغربية، دوراً كبيراً فى تكوين نظريتهم.

وقد حدثت الانتفاضة عقب موت "الكسندر الأول"، وفور اعتلاء "نيقولا الأول" العرش فى "سانت بطرسبرج". وتجمع فى ساحة مجلس السينات حوالى ثلاثة آلاف جندى وبحار، لمنع أعضاء مجلس السينات ومجلس الدولة<sup>(١)</sup> من أداء اليمين للإمبراطور

(١) مجلس السينات ومجلس الدولة هما أعلى هيتين فى الإمبراطورية.

الجديد، وإرغامهم على التوقيع على البيان الذى أعدوه لتوجيهه إلى الشعب.

وفى بيانهم، طرح الديسمبريون برنامجاً هو من أكثر البرامج تقدميةً فى ذلك الوقت؛ برنامج إصلاح شامل لكل النظام الاجتماعى: إلغاء الحكم السابق، وحرية النشر وإلغاء الرقابة، وحرية ممارسة كافة الأديان، وإلغاء حق الملكية فيما يخص البشر، وتساوى كافة الفئات أمام القانون، وعلنية المحاكمات، إلخ.

وقد سُحقت الانتفاضة، كما سُحقت الانتفاضة التى هبت فى أوكرانيا بعد ذلك بأسبوعين. ونكل النظام القيصرى بالديسمبريين بوحشية؛ فحُكِم على خمسة منهم بالإعدام، وأكثر من مائة بالأشغال الشاقة والنفى إلى سيبيريا.

وهكذا فشلت الانتفاضة، ذلك أن الغالبية العظمى من النبلاء- بحكم مصالحها- كانت تقف فى صف "نيقولا الأول"؛ كما أن الديسمبريين كانوا عاجزين عن تحقيق أى ارتباط حقيقى بمن قاموا من أجلهم، برغم أن برنامجهم كان يمثل طموحات وأحلام الشعب.



ظل الاتجاه الكلاسيكى مسيطراً على المفهوم الجمالى الروسى (مناً طويلاً، وكان ذا تأثير قوى على تطور الثقافة الروسية، وخصوصاً فى أواسط القرن الثامن عشر. ولكن فى النصف الثانى منه، بدأت الكلاسيكية تعجز عن الإجابة على متطلبات تطور الفكر الاجتماعى والفعاليات الفنية، وتعرضت- بالتالى- للانتقاد الشديد وإعادة النظر من قِبَل ممثلى المفهوم الجمالى الجديد.

وقد تميز الاتجاه الكلاسيكى الروسى باهتمامه بمسألة تشكيل لغة أدبية روسية، كما شغلت مسألة الدور التربوى للفن- أو دوره الأخلاقى التربوى، بمعنى أدق- مكانةً مهمة فى المفهوم الجمالى الروسى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر.. زمن الانتفاضات الفلاحية و"بوجاتشوف". فقد اتجه الفكر الجمالى الروسى- فى بحثه هذه المسألة- إلى توضيح الترابط الداخلى بين المفهوم الجمالى والأخلاقى، واستخدام الوسيلة الجمالية للتأثير على أخلاق الفرد. واتجه هذا الفكر- من ناحية أخرى- إلى بحث كيفية التوصل إلى أكبر التأثيرات العملية لإبراز فعاليات الفن الأخلاقية التربوية. وربط "راديشيف"- لأول مرة فى تاريخ الفكر الجمالى الروسى- بين هذه المسائل وبين الأفكار التحررية والثورية.

ووقع الأدب فيما قبل "بوشكين" - بصورة كبيرة- تحت تأثير الكلاسيكية، وأوقف اهتمامه الأكبر على تقليد الآداب القديمة، بما فرض استخدام لغة مصطنعة كئيبة متعالية. وإذ كرس الأدب الروسى نفسه من أجل الأرستقراطية الحاكمة وتسليتها، فقد كان محتمماً عليه الهروب من معطيات الحياة الواقعية المعاصرة، باضطرابها وصراعاتها الدموية، واللجوء إلى التلفيق والافتعال.

أما الشعر الروسى الحديث، فقد بدأ على يدى "ميخائيل لومونوسوف" (١٧١١-١٧٦٥) الابن البكر لانفتاح روسيا على أوروبا، والممثل الحقيقى لعصر التنوير الروسى. ولعبت مؤلفاته دوراً رائداً فى تطوير اللغة الروسية. وكان كتابه "قواعد اللغة الروسية" أول كتاب علمى لنحو اللغة الروسية، أما رسالته عن أصول نظم الشعر الروسى، فقد وضعت أسس إصلاح نظم الشعر الروسى.

ويُعد "ميخائيل درجاڤين" (١٧٤٣-١٨١٦) المؤسس العظيم للكلاسيكية الروسية فى الشعر. فقصائده عن انتصارات الجيش الروسى تفيض بروح الوطنية وثرء اللغة وتعبيريتها. وسخرت أشعار "درجاڤين" من أخلاق رجال الحاشية، وفضح الأرستقراطيين والوجهاء المتبطلين.

ومع "نيقولا كارامزين" (١٧٦٦-١٨٢٦) و"جوكوفسكى" (١٧٨٢-١٨٥٢)، ظهرت بدايات التحول إلى حساسية جديدة فى الشعر، وبداية الصراع ضد الكلاسيكية التى كانت تعاني من الذبول. ومع هذا الجيل من الشعراء، دخلت الرومانسية حركة الشعر الروسى، ومعها بدأ الفرد وحياته الداخلية يعرفان الطريق إلى القصيدة الروسية. وحاربت الرومانسية القواعد المصطنعة للشعر التى أرستها الكلاسيكية، لكنها عجزت عن خلق أدب شعبى واقعى، ذلك ان ما اهتمت به كان "إنسان الأرسقراطية".



أُرِيدُ أَنْ أُغْنِيَ الْحُرِّيَّةَ

وَأَفْضَحُ الشَّرَّ الْمَتْرَبِعَ عَلَى الْعُرُوشِ.

١

وسط هذه العواصف التي كانت تهز المجتمع الروسي من الجذور، وُلِدَ "الكسندر سيرجيفيتش بوشكين" في السادس والعشرين من مايو ١٧٩٩ في موسكو. كان والده "سيرجى لِقُوفيتش بوشكين" ينتمى إلى أسرة عريقة من طبقة النبلاء، إلا أن أسرته فقدت- في حوالى الفترة التي وُلِدَ فيها- عزها ونفوذها السابقين. وهكذا تركت الأسرة أمر تربية "ساشا" الصغير إلى الخدم والمزيين الأجانب. وتكفل تعليمه الفرنسى بإدخاله- وهو بعد صبىٌ صغير فى الحادية عشرة- إلى عالم الكلاسيكيين الفرنسيين وموسوعى القرن الثامن عشر.

أما مربيته القنَّة "إرينا روديونوفنا"، فتكفلت بأن ينسل إلى ذلك العالم الباهر السحرى: عالم الخيال والقصص الشعبى والأساطير

والأغاني القديمة؛ هذا العالم الغامض الذى يفيض بالينابيع الحية،  
وطيران الساحرات، والقصور الممتلئة بالنوافذ، الموشاة بالهيكل  
العظمية المتكلسة والرماح الصدئة. وطاف الوصيف "نيكيتا  
كوزلوف" به شوارع موسكو وأحيائها، والأعياد الشعبية، حيث  
الممثلين والأقنعة المزيفة والشعور المستعارة والتهرج الروسى  
وضحكات الجمهور العريضة، وحيث الحياة ولغة الشارع التى كاد  
أن ينساها فى صالونات أبيه الأرستقراطية.

## ٢

التحق بمدرسة الليسيه المخصصة لذوى الامتيازات الطبقية.  
وتوطدت العلاقات الحميمة بينه وبين كثير من الطلبة، ممن  
أصبحوا- فيما بعد- "ديسمبريين". ونمت موهبة "بوشكين" الأدبية،  
وتطورت بفضل اطلاعه على كلاسيكيات الأدب الأوروبى والروسى  
المعاصر، وبفضل بيئة الليسيه التى كانت تموج فيها الاهتمامات  
الأدبية. وشارك "بوشكين" بشكل نشط فى الجدلالات الأدبية التى  
ثارت فى ذلك الوقت. وفى مواجهة جمعية "المائدة المستديرة لمحبي  
الأداب الروسية"- التى توحدت فيها القوى الأدبية الرجعية لمقاومة  
إصلاح اللغة الأدبية- انضم "بوشكين" إلى جمعية "إرزاماس" التى

ضمت أنصار المبادئ التقدمية الجديدة فى الأدب. وقد مهد نشاط  
"إرزاماس" الأرض للواقعية الروسية فى الأدب.

أما تقييمات مدرسى الليسيه لمواهب "بوشكين"، فلم تخل من  
تقرير أنه "كسولٌ جداً، غير منته فى الفصل، غير متواضع، ذو  
قدرات إلى حد ما، ذكى- وهذا هو الأسوأ- فى الثرثرة الفارغة،  
يحقق تقدماً ضعيفاً جداً".

### ٣

عُين "بوشكين"- بعد تخرجه من الليسيه- بوزارة الشئون  
الخارجية. وخلال الفترة التى قضاها فى سانت بطرسبرج، كرس  
كل وقته للمشاركة فى الحياة الاجتماعية والأدبية الصاخبة فى  
العاصمة. وانضم إلى جمعية "المصباح الأخضر" الأدبية التى نظمها  
الديسمبريون لنشر أفكارهم، بعد أن انهارت جمعية "إرزاماس".

وكانت قصائد بوشكين- فى هذه الفترة- تبشيراً بمثل  
الديسمبريين- دون المشاركة فى تنظيماتهم- فى إدانة الأوتوقراطية  
ونظام القنانة، والدعوة إلى الانتفاضة، وتقويض أسس الظلم  
السائد. وفى ١٨١٧ كتب قصيدته "أغنية إلى الحرية":

أهٍ فلتَهْتَرُوا وَلْتَرْتَجِفُوا يَا طُغَاةَ الْعَالَمِ  
وَأَنْتُمْ أَرْهَضُوا السَّمْعَ أَيُّهَا الْعَبِيدُ السَّاقِطُونَ  
تَسْلِحُوا بِالشَّجَاعَةِ، وَهَبُوا.

وكان للقصاصد والأقوال الساخرة، التي انتقد فيها بوشكين الأوتوقراطية ونظام القنانة، وتغنت بالحرية- والتي كُتبت منها مئات وآلاف النسخ بخط اليد- كان لها نفس تأثير بيانات الديسمبريين السياسية، بل استخدمها الديسمبريون أنفسهم لنشر آرائهم بصورة واسعة.

وخلال نفس الفترة أنهى بوشكين أول مؤلَّف أدبي كبير له، هو "روسلان ولودميلا"، ملحمة شعرية أكدت ازدياد استقلاله الأدبي، وكانت أولى القذائف التي أطلقتها واقعية بوشكين المقبلة. وأثارت الملحمة الهياج بين المؤيدين والحانقين، بروحها الأسطورية المعتمدة على قصص الجنيات، ولغتها غير العادية فى دقتها وبساطتها، بالمقارنة مع لغة الشعر السائدة، الثقيلة.

ولم تكن قصائد بوشكين، ولا تعليقاته، لتمر دون عقاب. فقد استدعاه الحاكم العسكرى لسانت بطرسبرج. وبعد الاستجوابات، ومن خلال دفاع صديقيه "كارامزين" و"جوكوفسكى" ذوى النفوذ،



قرر الاكتفاء بنفسه إلى الجنوب تحت مراقبة الجنرال "إينزوف" -  
المشرف على المستعمرات العسكرية في الجنوب- بدلاً من نفيه إلى  
سيبيريا.

ويفادر بوشكين سانت بطرسبرج إلى إيكاتيرينوسلاف في  
الجنوب في ٦ مايو ١٨٢٠.

#### ٤

وجاب الجنوب مع أسرة الجنرال "راييفسكى" - بعد استئذان  
الجنرال "إينزوف" - التي عثرت عليه في كوخ متهدم متداعٍ مصاباً  
بالبرد والحُمى وحيداً.

وفي القرم بدأ في التعرف - مع أبناء "راييفسكى" - على أعمال  
الشاعر الإنجليزي "بايرون"، الذي ذاعت شهرته في أوروبا في ذلك  
الحين. ولم يلبث أن ارتحل إلى "بيسارابيا"، وطاف سهولها مع  
إحدى القبائل الفجرية.

وفي منفاه الجنوبي تعرف بوشكين وازداد احتكاكه  
بالديسمبريين، إلا أنهم أخفوا عنه حقيقة وجود تنظيم لهم.

تابع بوشكين باهتمام شديد الأحداث الأوروبية التي كانت تناقش  
بحماس بين أصدقائه الديسمبريين: الحركات الثورية في ألمانيا

وفرنسا وأسبانيا، بل وروسيا ١٨٢٠. وبلغت إيقاعات الثورة- التي رددتها قصائده- درجةً عاليةً من الرفعة والحدة؛ فقد كان ينتظر بحماس اندلاع ثورة ظافرة.

وانتقل إلى "أوديسا" للعمل تحت إمرة الكونت "فورونتزوف"، الحاكم العسكري الجديد. ورداً على اضطهاد "فورونتزوف" له، كتب عدة أبيات شعرية تسخر منه، فطلب الحاكم العسكري نقله من "أوديسا". وفي نفس الوقت، ضبقت السلطات خطاباً له ينكر فيه وجود الله وخلود الروح، فأمر "الكسندر الأول" بطرده من الخدمة الحكومية، ونفيه إلى قرية "ميخايلوفسكوى" ليصبح تحت رقابة السلطات المدنية والكهنوتية.

وأثناء إقامته بمنفاه الجنوبي، كتب بوشكين "سجين القوقاز" و"نافورة بختشيساراي"، وأنجز معظم "الفجر"، وبدأ "يوجين أونيجين"، وأنهى "جافريلادا"، بالإضافة إلى العديد من القصائد الغنائية.

ويغادر بوشكين أوديسا في ٣٠ يوليو ١٨٢٤ إلى منفاه الجديد.

٥

عاش في "ميخايلوفسكوى" حياةً متفردة. وأبدى اهتماماً كبيراً بالفولكلور وطريقة حياة العامة، وأصغى بابتهاج إلى القصص

الشعبية، وكان يزور الأسواق وأضرحة القديسين، ويتحاور مع الفلاحين.

وفى منفاه الجديد أنهى "الغجر" و"بوريس جودونوف" و"الكونت نيلين"، وأضاف أربعة فصول أخرى إلى "يوجين أونيجين". وحين سُحقت انتفاضة الديسمبريين، ونكل "نيقولا الأول" بهم شنقاً ونفيًا إلى سيبيريا، أصابته الصدمة الهائلة، "فالشنق هو الشنق، أما الأشغال الشاقة لمائة وعشرين صديقًا، لمائة وعشرين أخًا ورفيقًا فهو أمرٌ فظيع".

وأصبح واضحًا لدى الحكومة أن شعر بوشكين قد لعب دورًا تحريضياً كبيراً فى الحركة الديسمبرية. لكنها لم تجد فى أوراقهم السرية سوى قصائده فحسب. ولم يجد "بوشنيك" - رجل البوليس السرى الذى أرسلته الحكومة للتجسس عليه- أى دليل على مؤامرة أو تمرد أعده بوشكين. وقرر "نيقولا الأول" ألا يحاكمه، ولكنه عزم على اتباع أسلوب مختلف.

وفى ١٤ سبتمبر ١٨٢٦، أُحضر بوشكين على عجل إلى موسكو، إلى القيصر.

قابل القيصر بوشكين بؤد زائف. وسأله عما كان سيفعله فيما لو كان موجوداً فى سانت بطرسبرج فى ١٤ ديسمبر، فأجاب بوشكين بلا تردد: "كنت انضممتُ إلى صفوف المتمردين". وأعلن القيصر له أنه سىأخذ على عاتقه شخصياً مهمة مراقبة أعماله. واضطُر بوشكين إزاء ذلك- فى بعض الأحيان- إلى أن ينشر أعماله باسم مستعار أو دون توقيع.

واستمر القيصر على عدم ثقته به، رغم تعهده له بأن يسلك نحو الحكومة مسلماً موالياً؛ فاستُجوب بوشكين عدة مرات على قصيدته "أندريه شينييه"، للشك فيما حوته من تعبيرات تشير إلى التعاطف مع الديسمبريين، وانتقاد العقاب الذى أنزله القيصر بهم. ووُضع أخيراً تحت رقابة البوليس السرى.

لم يكن لبوشكين الحق فى الانتقال من مكان إلى آخر دون تصريح من "بنكندورف"، واضطُر إلى توقيع تعهد كتابى بعدم قراءة أعماله الجديدة على أى شخص قبل مرورها على الرقابة. بل لم يكن فى مقدوره أن يتزوج دون إذن من القيصر والشرطة.

وفى ربيع ١٨٣٠، قبلت "ناتالى جونشاروفا" وعائلتها طلب بوشكين الزواج بها. واضطُر بوشكين للتوجه إلى القيصر للحصول

منه على الموافقة على زواجه، فتلقى الموافقة مقرونة بأنواع جارحة من التوبيخ والتحذيرات المتغطرسة والأكاذيب.

وفى هذه الفترة، أسهم بوشكين بنشاط واسع فى الإشراف على "الجريدة الأدبية" التى كان يصدرها صديقه الشاعر "دلفيج".

## ٧

أقام بوشكين فى سانت بطرسبرج بعد الزواج. وأدرجه "نيقولا الأول" فى سلك موظفى الحكومة مرةً أخرى؛ فقد كان يريد أن تتردد "ناتالى" - زوجة بوشكين الفاتنة - على البلاط القيصرى. ولم يسمح له القيصر بمغادرة المدينة.

وخلال السنوات القليلة التى أعقبت زواجه، كتب بوشكين مؤلفاً تاريخياً عن تمرد "بوجاتشوف" بعنوان "تاريخ بوجاتشوف"، ورواية "دوبروفسكى" و"الفارس البرونزى" و"ملكة البستونى".

ولم يوافق القيصر على نشر "الفارس البرونزى"، واعتبر وصف تمرد "يقجيني" وتهديداته للفارس البرونزى - بطرس الأكبر - "أموراً غير مسموح بها".

وفى عشية رأس السنة الجديدة ١٨٣٤، أنعم القيصر عليه برتبة "نبيل من نبلاء الحضرة القيصرية"، مستهدفاً إذلاله من ناحية لأنها كانت تُمنح لشبان الأرستقراطية الصغار- ومنح زوجته الحو فى التردد على بلاط القيصرية بحرية، من ناحية أخرى.

وازداد اضطهاد الحكومة الذى لا يُحتمل. وفقد حرية تبادل الخطابات مع زوجته: "لم أكتب إليك، لأن تصرف سلطات البريد- الذى لا يخرج عن كونه تصرف خنازير- نقرنى من الكتابة لدرجة جعلتنى لا أستطيع أن أمسك بالقلم فى يدي".

وفى أواخر يونيو ١٨٣٤، قدم طلباً للتقاعد، لكنه اضطر- تحت التهديد- إلى سحبه. وظل مقيداً فى سانت بطرسبرج. وازداد اضطهاده، وشدت النقد والصحافة الحكوميون تهجماتهم عليه.

وكانت أحواله المالية قد تفاقمت، فقد وصلت ديونه إلى ستين ألف روبل، وكان عليه أن يتحمل عبء إعالة أطفاله الأربعة واثنتين من شقيقات زوجته وشقيقته، والمساهمة فى معونة والديه، فضلاً عن النفقات التى تتطلبها رتبته فى البلاط وزوجته. ولم يستطع مواصلة الكتابة.

لكنه استطاع- رغم كل ذلك- إصدار مجلة "المعاصر" ١٨٣٥،  
ونشر فيها أعماله ومذكراته، وكان أحد الأوائل الذين تنبهوا لعبقريّة  
جوجل "القادمة، وشجعوه.

٩

ضيقّت حلقة الشائعات المبتذلة خناقها حوله. وعقب استلام  
أحد الخطابات التي تُعرِّض بالعلاقة بين زوجته والقيصر- والخالي  
من التوقيع- أرسل إلى "دانتس"، وهو مهاجر فرنسي يعمل ضابطاً  
بالحرس الإمبراطوري الروسي، يطلبه للمبارزة. وخروجاً من المأزق،  
تقدم "دانتس" بطلب الزواج من شقيقة بوشكين، حتى يصبح أكثر  
اقترباً من زوجة بوشكين التي لاحقها طويلاً.

واستأنف المجتمع "الراقي" تلطّيح سُمعة بوشكين بأحوال  
النميّة، فأرسل خطاباً مهيناً إلى "هيكرن"- السفير الهولندي في  
سانت بطرسبرج الذي يتبنّى "دانتس"- سُدّت به جميع سُبُل  
التراجع. وقبل "دانتس" التحدى.

وقُتل بوشكين.

صدرت الأوامر بأن يُدفن جثمان بوشكين سرّاً. فسُحب النعش-  
وبه جثمان الشاعر- في زحافة عادية، وفي حراسة أحد جنود  
الشرطة، يصحبه صديق واحد، ليُدفن في مدافن دير  
"سقيياتوجورسكوى"، بالقرب من "ميخايلوفسكوى".



النُّصْبُ الَّذِي أَقَمْتَهُ لَمْ تَبْنِهِ الْأَيْدِي  
 وَسَتَحْفَظُ عَامَّةُ الشَّعْبِ الطَّرِيقَ مُمَهَّدًا  
 إِلَى حَيْثُ يَنْتَصِبُ شَاهِقًا مُتَحَرِّرًا  
 أَكْثَرَ سُمُوقًا مِنْ نُصْبِ الْكُسَنْدَرِ.

١

والآن.. فيم تكمن أهمية بوشكين والإبداعات التي قدمها؟

يمكننا أن نعود- في ذلك- إلى "بيلينسكى" حين قرر أنه "لم يكن لدينا قبله مجرد تحسس لما يمكن أن يكون عليه الفن.. كما لم يكن لدينا أدب، مجرد أدب! لقد كان بوشكين مدعواً ليكون كشافاً حياً عن أسرار هذا الأدب في روسيا. ولما كانت مهمته هي تمهيد الأرض الروسية وإعدادها إلى الأبد لأدب فنى، بحيث يملك الأدب الروسى فيما بعد إمكانية التعبير عن أى اتجاه وأى تأمل دون أن يخشى الخروج عن حظيرة الأدب.. لهذا كله، فمن الطبيعى أن يصبح بوشكين فناً بصورة استثنائية".

ويؤكد "لوناتشارسكى": "إن ما فعله دانتي وبترارك من أجل إيطاليا وعمالقة القرن السابع عشر من أجل فرنسا، وليسنج وشيللر وجوته من أجل ألمانيا - قد فعله بوشكين لنا".

إن هذه الخصائص المتعلقة بعبقرية بوشكين هي التي أدت إلى  
اعتباره- وهو يخلق أدباً كفن- ليس مجرد شاعر، بل وممثلاً للوعي  
الاجتماعي الذي أخذ يستيقظ لتوه.

لقد تغلب بوشكين- بفضل طاقات عبقريته الهائلة- على اللغة  
الأدبية للقرن الثامن عشر، والأسلوب المتعالى الشهير للشعر  
القديم، وخلق لغةً أدبيةً جديدة. كان الشعر الروسى- قبل بوشكين،  
وإلى درجة كبيرة- "غرساً لنباتات منقولة من أرض أجنبية"، على  
حد تعبير "بيلينسكى"؛ فخلق بوشكين جميع متطلبات التعبير  
الشعري عن أفكار الشعب وآرائه وأحاسيسه، فى نفس الوقت الذى  
خلق متطلبات التطور المقبل للثقافة الروسية.

## ٢

وكبديل عن الأدب الذى "يزين" الطبيعة والحياة، رأى "بوشكين"  
الجمال فى الطبيعة والحياة نفسيهما، ووعى أن الحياة هي مصدر  
الأدب الحقيقى؛ وهنا تكمن- أيضاً- قوته وأهميته الكبرى فى تاريخ  
الأدب الروسى. لقد اكتشف الشعر الكامن فى الواقع، ورأى أن  
الأدب يصبح ممكناً فحسب باعتباره أدب الواقع.

ومن هنا، كان أدبه غريباً على كل ما هو حاله وكاذب ومثالي-  
ضبابي؛ إنه مشبعٌ حتى الأعماق بروح الواقع، لا يلطخ وجه الحياة  
بالمساحيق، بل يكشفها كما هي. ويقترن هذا التأكيد للحياة  
"الأرضية"- المنافية للتصورات المجردة والرومانتيكية الباهتة-  
بتفاؤل شجاع يليق بفارس أسطوري يشق رحم القنانة صوب  
الحرية. فقد وجه شعره فكرَ الشعب إلى تلك الأشياء التي يجب أن  
تشغله، كما صرف هذا الشعر فكر الشعب عن كل ما هو غامض  
وشبهي، وحلمى بصورة مرضية، وعن كل ما رأى فيه الشعراء-  
فيما مضى- مثال الجمال والكمال السامى.

### ٣

كان التراث الثقافى للشعب الروسى بكرةً لم يمتد إليه خيال  
شاعر من قبل: اللغة، والأساطير، والأغانى، ذكريات الانتفاضات  
الفلاحية العظيمة، تمثيلات المهرجين فى الشوارع، ألعاب الأطفال  
فى القرى البعيدة، والحلم الأبدى الذى يحلق فى السماء الروسية  
بالعدالة والحرية.

وكان مُقدراً لبوشكين أن يكون أول من يفجر هذه الينابيع الثرية.  
فلم تعد اللغة الفخيمة سوى دليل على التعالى والعجرفة الممقوتة،

وحلت محلها لغة أقرب إلى لغة الشعب، بسيطة تختزن آلاف الصور، عذبة تتفجر بالموسيقى والسخونة، وأحياناً قاطعة كالخنجر أو الطلقة.

وخرجت الأساطير والأغاني والأبطال الشعبيون من ذاكرة الشعب، لتسكن- على يد بوشكين- الشعر الروسى، الذى كان قلعةً حصينةً فى مواجهة كل ما هو "شعبى": أساطير الجنيات، أغاني الفجر فى السهول المترامية، الفرسان الذين تفور دماؤهم بعشق الحرية والعدالة والحب، والأهواء العارمة والأشواق المضطربة التى تستلب الأرواح فتشعلها فروسيةً وطموحاً مجنوناً.

#### ٤

وكان من امتلك الجرأة ليجعل من عواطف الإنسان "المغمور موضوعاً للشعر، الإنسان الذى لا يُعتبر استثناءً من القاعدة، بل القاعدة: "يُجِئِنِي" فى "الفارس البرونزى"، الفجرى العجوز وابنته "زَمْفِيرا" فى "الفجر"، "هيرمان" فى "ملكة البستونى"، وغيرهم.. مقدماً معهم مرحلةً تاريخيةً كاملةً، يتبدى فيها المخاض الروسى للخروج من زمن القنانة.

وقد مكَّن تقديم الجانب التاريخى- بصورة ملموسة- بوشكين من جعل موقف أبطاله، تجاه المشاكل التى يواجهونها، إنسانيةً على

نحو عميق، ومن إعطائها تعبيراً درامياً أخلاقياً. فهو لم يكن بحاجة إلى اختلاق علاقات وعواطف تجريدية تهوم في فضاء المطلق، بل إن الدوافع الإنسانية "الخاصة" (الحب والصدقة.. إلخ) متقلصة إلى ما لا غنى عنه درامياً. إنها مطروحة بشكل مكثف إلى درجة عالية، و فقط بقدر ما هي ضرورية كلياً لوصف الشخصيات الرئيسية في علاقاتها بمشاكل الحياة الشعبية.

وهذا السياق الاجتماعي الموضوعي، المصور تصويراً واسعاً وعميقاً، هو الذي مكّن الشخصيات من التجلي أمامنا بصورة مفعمة بالحيوية والحرارة، وبدون خلق أي انطباع بالافتعال والذهنية المجردة.

## ٥

ويحتل "الإنسان الزائد عن الحاجة" مساحةً كبيرةً في أعمال بوشكين. إنه الإنسان الذي لا يرى معنى للحياة، ولا يجد مبرراً للقيام بأي نشاط، ومع هذا يتميز بطموح غير مثمر للعمل، وبالأمل في القيام بشيء ما نافع، لا يقوم به أبداً. ولا يمل من البدء بهذا الشيء أو ذلك، إلا أنه لا ينهيه أبداً..!

هو بطل رومانتيكي ذو طبائع باهرة، غير أنها تافهة في جوهرها، لأنها أنانية. وأفكاره تبدو في عينيه باعتبارها الحقيقة

الوحيدة، فقط لأنها أفكاره. وإذا ما أهينت مشاعره فى مسألة تتعلق بهوى شخصى، فإنه يظن أن العالم كله قد أهين من خلال ذاته؛ وعندها فليست هناك وسيلة للانتقام يمكن أن تكون غير مشروعة.

ذلك هو "أليكو" ("الفجر"): فهو يفر من قيود المدينة إلى "حرية" الفجر. لكنه لا يرى- أو لا يريد أن يرى- سوى حرية هو فقط؛ وهنا يكمن مبرر سقوطه الدموى. لقد أنكر المدينة وفر منها، لكنه لم يُنكر أسس علاقاتها وأخلاقياتها الباطنة، فحملها معه وظل أسيراً لها حتى لحظته الأخيرة. فهو يرى فى حبه لزمفيرا امتلاكاً لها، لا يقل جزاء الإفلات منه عن القتل. لكن الفجر لا يرون فى الحب سوى نزوة قلبية تفلت من ريقه سائر القواعد.. هو حرية ولعبٌ ومصادفةٌ، وقوةٌ بدائيةٌ مستقلةٌ عن الخير والشر معاً.

وتقود هذه الحرية القصوى- بالتالى- إلى التسامح الأقصى. فليس ثمة محرّم ومباح، وخيرٌ وشرٌّ، فى الحب الفجرى؛ إنما هى شهوة الإنسانية العارمة والحرية الإنسانية المطلقة.

لم يخرج "أليكو"- إذا- عن قوانين وأخلاقيات العلاقات المدنية، بقتله لحبيبته، وأيضاً لم تخرج قبيلة الفجر- إزاء ذلك- عن قوانين وأخلاقيات العلاقات الفجرية؛ فليس ثمة انتقام، بل ترفع القبيلة

خيامها وتسير، تتابع التجوال اللانهائى فى السهول، مخلفة وراءها  
عربة مهجورة وطائراً مكسور الجناح لا يستطيع التحليق، إنه الرجل  
الذى خرج من زنزانة الحياة المدنية، لكنه لا يمتلك القوة ليحرر  
نفسه منها.

٦

وفى "الفارس البرونزى"، كما فى "الفجر"، يقدم بوشكين "البطل  
غير البطولى": هذا الإنسان "العادى" الذى تتنازعه أفكاره وغرائزه  
وهمومه "الصغيرة"؛ هذا البطل "العام" الذى لا يحمل أفكاراً "ساميةً  
رفيعة"، ولا شخصيةً مهيبة، ولا أية سمة بطولية كلاسيكية؛ الأمر  
الذى حمل "جوكوفسكى" الكلاسيكى على أن يقول عنها: "أنا لا  
أعرف شيئاً أكمل من قصيدتك "الفجر" من حيث الأسلوب.. ولكن،  
ما هو هدفك يا صديقى العزيز؟ قل ماذا تريد أن تبرهن ببطلك  
هذا؟ أية ذكرى تريد أن تترك للوطن عنك، الوطن الذى يحتاج إلى  
صور سامية؟"

٧

وحتى فى أيام "نيقولا الأول"، عندما وجدت نظرية "الفن للفن"  
فى بوشكين مدافعاً قوياً عنها، كان ذلك نوعاً من المقاومة لنظام  
القيصر الجيد.

فبعد هزيمة الديسمبريين، واختفاء القسم المتفوق من الشعب الروسي بعلو تعليمه واتساع ثقافته من ميدان الحياة العلمية والثقافية، غدا كل شيء- كما يقول هيرزن- "ياباً قفراً، وتحولت كل حركة إلى صمت رهيب. مجتمع تجرد من جميع صفات الرجولة ومميزات الإنسانية، تحجرت فيه القلوب بعد أن فقدت إنسانيتها وآمالها. مجتمع يقابل فيه الاسترحام بالتهديد والتخويف والإذلال، ولم يبق فيه للإنسان سوى أن يقبل الإساءة فى صمت، أو يفر هارباً من ذلك الجحيم".

ويكشف التقرير الذى رفعه "بنكندورف" رئيس البوليس والساعد الأيمن للقيصر عن بوشكين- من أنه "وغدٌ يصعب ترويضه، لكننا إذا ما نجحنا فى توجيه قلمه ولسانه، فسيكون أمراً مفيداً"- يكشف دلالة وضرورة التجاء بوشكين لنظرية "الفن للفن". وبنفس القدر تكشفها رسالة "جوكوفسكى"- شاعر البلاط المرموق- إلى بوشكين فى أبريل ١٨٢٦: "إن الشباب غدا اليوم ميالاً لأفكارك الثورية المكتسبة إطار الشعر. لقد سببت للكثيرين أضراراً كثيرة لا تُحصى، وهو ما يجب أن يجعلك ترتجف. الموهبة لا شيء، فالشيء الرئيسى هو العظمة الخلقية".

ولعل هذين المثالين يكشفان كيف أن شاعراً كبوشكين- الذى لم يتجنب المعارك فى عهد "الكسندر الأول"، بل كان متلهفاً عليها- يثور



مُهْلُضًا هَذِهِ "العظمة الخلقية"، وينقلب مضطراً للدفاع عن "الفن"،  
ساخرًا مزدريًا من طلبوا منه نظم القصائد لتأييد الأخلاق  
الاجتماعية السائدة:

اذْهَبُوا، أَيُّهَا الْمُتَأَفِّقُونَ!

مَاذَا يَهْمُ الشَّاعِرِ الْأَمِينِ مِنْ مَصِيرِكُمْ؟

اذْهَبُوا، وَانْغَمِسُوا بِوَقَاحَةِ فِي الْإِثْمِ:

فَمَعَكُمْ لَنْ يَحْمِلَ الْغِنَاءُ أَيْةً قِيَمَةً.

وَإِزَاءَ أَفْعَالِكُمْ أُدِيرُ ظَهْرِي.



القصاص



## النُّصْبُ الَّذِي أَقَمْتُهُ...(\*)

النُّصْبُ الَّذِي أَقَمْتُهُ لَمْ تَبْنِهِ الْأَيْدِي

وَسَتَحْفَظُ عَامَّةُ الشَّعْبِ الطَّرِيقَ مُمَهَّدًا

إِلَى حَيْثُ يَنْتَصِبُ شَاهِقًا مُتَحَرِّرًا

أَكْثَرَ سُمُوقًا مِنْ نُصْبِ الْكَسْتَنْدَرِ.

لَنْ أَمُوتَ تَمَامًا - فَفِي قِيَارَتِي الْمُقَدَّسَةِ

سَتُعَمَّرُ رُوحِي بَعْدَ فَنَاءِ رُفَاتِي -

وَسَأَنَالُ التَّكْرِيمَ، طَالَمَا ظَلَّتْ النَّارُ الْمَجِيدَةَ

---

(\*) العناوين ذات الخط المائل ليست من وضع بوشكين، فهي - في الأصل - قصائد بلا عناوين. وتم اختيار جملة من السطر الأول كعنوان، وفقاً للطريقة المعهودة في هذا الصدد، والتي اعتمدها الطبعة الروسية لأعمال بوشكين.

لِلشَّعْرِ مُشْتَعِلَةً فِي أَدْنَى مَكَانٍ.

سَمَّمَلَا بَلَدِي الشَّاسِعَةَ كُلَّهَا الْأَحَادِيثُ عَنِّي،  
وَسَتَّتَطِقُ اسْمِي بِكُلِّ لِسَانٍ.  
الذرية السُّلَافِيَّةُ الْأَبِيَّةُ، وَالْفِنْلَنْدِيَّةُ، وَالتُّونْجُو  
- غَيْرُ الْمَكْتُوبَةِ - وَالكَالْمِيكَ عَاشِقَةُ السُّهُوبِ.

وَسَيُكْرِمُنِي الشَّعْبُ مَعَ ذَلِكَ طَوِيلًا  
لَأَنَّ قِيَّارَتِي مَضْبُوطَةٌ عَلَى حُبِّ الْمَوَدَّةِ  
وَفِي عَصْرِ قَاسٍ، غَنِيَّتُ الْحُرِّيَّةِ  
وَتَسَوَّلْتُ الرَّحْمَةَ مِنَ الْعَدَالَةِ فِي عَمَاهَا.

هَكَذَا، بِلَا مَبَالَاةٍ بِالْمَدِيحِ أَوْ الْمَلَامِ  
لَا يَعْينِي، يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ، سِوَى الصَّوْتِ الْإِلَهِيِّ  
بِلَا خَوْفٍ مِنَ الْأَذَى، بِلَا سَعْيٍ إِلَى الشُّهُرَةِ،  
وَلَا نَثْرٍ الدُّرِّ عَلَى الْخَنَازِيرِ.

## إلى شاداييف

لَمْ تَخْدَعْنَا طَوِيلًا أَمَالَ الشَّبَابِ الْفَارِغَةَ،  
وَلَا أَحْلَامُهُ بِالْحُبِّ وَالشُّهُرَةِ الْمُتْبَاهِيَةِ.  
لأَحَقَّتْنَا، بِاخْتِصَارٍ، خَاطِفَةَ،  
وَمَرَّتْ كَمَا الضَّبَابِ، ثُمَّ لَا شَيْءَ.  
لَكِنَّا مَا نَزَالُ نَائِرِينَ، وَقُلُوبُنَا مُشْتَعِلَةَ،  
تَحْتَ نِيرِ الْاِسْتِبْدَادِ،  
وَسَاهِرِينَ عَلَى شَكْوَى وَطَنِنَا،  
وَشَوْفِهِ لِلْحُرِّيَةِ بِكُلِّ الْحُمَى،  
بِالْأَلَمِ الْخَفِيِّ وَاللَّهْفَةِ،  
قَبْلَ أَنْ تَسْتَنْزِفَ سَاعَةَ الْفَرَحِ الْمَوْعُودَةَ،

العاشق الصغير المتوهج .  
وما دامت شعلة الحرية تحيا فينا ،  
وما دُمننا قد سرنا وراء صوت الشرف ،  
فلنمنح روسيا ، يا رفاق ،  
أرواحنا كاملة بلا نقصان .  
أيها الصديق المخلص :  
السماء الساهرة تبشر بفجر المعجزة -  
لسوف تنهض روسيا من نومها الطويل ،  
وفيما تحطم الطغيان ، نافذة الصبر ،  
ستحفر أسماءنا على أنقاضه !



## أمنية

تُظَلُّ أَيَّامِي مُتَوَانِيَةً، بَطِيئَةً وَقَاسِيَةً

وَكُلُّ لَحْظَةٍ تُضَاعِفُ الْحُزْنَ

هِيَ قَلْبِ الْحُبِّ سَيِّءِ الطَّلَعِ

مُبْغِثَةً كُلِّ آمَالِ الْجُنُونِ

وَأَنَا صَامِتٌ؛ لَا أَلْفُظُ كَلِمَةً.

أهبي، دموعي - عزائي

وزوجي، أسيرة الحزن

تُظَلُّ تَعَثُّرُ عَلَى الْبَهْجَةِ فِي هَذَا الْإِحْسَاسِ.

لَمْ أَعُدْ أَبَالِي بِمَا إِذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ تَتَقَضَى،

أه، سرابًا أجوفًا إلى ظلامٍ هارِبٍ؛

فَالْأَسَى عَلَى حُبِّي عَزِيزٌ عَلَيَّ-

فَإِنْ كَانَ لِي أَنْ أَمُوتَ عَاشِقًا، فَارْجُوا أَنْ أَمُوتَ!

## إلى أ. ب. كيرن

بأ نَهَا مِنْ لَحْظَةٍ مُدْهِشَةٍ  
هَيْنَ تَجَلَّيْتُ أَمَامِي  
كَحُلْمٍ مُشْرِقٍ خَاطِفٍ،  
كَلِمَةٍ مِنَ الْأَنْوَةِ الْمُكْتَمَلَةِ.

خِلَالَ كُلِّ حُزْنٍ الْحَيَاةِ،  
كُلُّ اهْتِيَاجِهَا الْمُرْدَهِي لَكِنِ الْيَأْسِ الْقَلِقِ،  
انْتَابَ رُوحِي وَجْهَكَ الْجَمِيلِ،  
وَدَاعَبَ أُذُنِي صَوْتُكَ الْحَنُونِ.

عَوَاصِفُ خَاطِفَةٍ، مُنْفَجِرَةٌ - فَوْقِي - مُفْتَاطَةٌ،  
بَعَثَرَتِ أَحْلَامَ الْأَوْقَاتِ الْخَالِيَةِ،  
أَصْبَحَتِ صُورَتُكَ ضَبَابِيَّةً، وَهِيَ تَهْجُرُ قَلْبِي،  
وَلَمْ يَعدِ صَوْتُكَ يُدَاعِبُ أُذُنِي.

فِي الْعُزْلَةِ الْكَثِيْبَةِ الْبَارِدَةِ،  
مَرَّتِ الْأَعْوَامُ، الْأَعْوَامُ الْوَحِيدَةَ،  
مَحْرُومَةٌ مِنْ وَجْهِ اللَّهِ، مِنْ الطُّمُوحِ،  
مَحْرُومَةٌ مِنْ الْحَيَاةِ، وَالْحُبِّ، وَالِدُمُوعِ.

بَعْدَيْدٍ - يَا لِلنُّعْمَةِ! - مُنْتَصِرَةٌ عَلَى تَحْلِيْقِ الزَّمَنِ،  
أَتَيْتِ مِنْ جَدِيدٍ وَأَنْتَصَبْتِ أَمَامِي،  
كَرُؤِيَا مُشْرِقَةَ خَاطِفَةٍ،  
كَحَلْمٍ مِنَ الْأُنُوثَةِ الْمُكْتَمَلَةِ.

أَفَعَمَّتْ قَلْبِي نَشْوَةً جَدِيدَةً،  
وَمِنْ جَدِيدِ يَنْتَابُهُ الشَّوْقُ، مِنْ جَدِيدٍ تَنْتَابُهُ الْمَهَابَةُ،  
وَيَصْحَوُ عَلَى الطُّمُوحِ،  
يَصْحَوُ عَلَى الْحَيَاةِ، وَالْحُبِّ، وَالِدُمُوعِ.

١٨٢٥

## الأغنية الباخوسية

لِمَاذَا صَمَتَ، يَا صَوْتَ الْبَهْجَةِ؟  
فَلْتَصَدِّحْ، أَغَانِي بَاخُوسِ رَاعِينَا!  
أَلَا فَلْتَعِشْنَ، أَيَّتِهِنَّ النِّسَاءُ وَالْفَتَيَاتُ!  
أَيَّتِهِنَّ الْجَمِيلَاتُ أَلَلَّائِي مَنَحْتُنَّ الْحُبَّ عَنْ إِرَادَةٍ!  
فَلتَشْرَبُوا، يَا أَصْدِقَاءُ، اشْرَبُوا بِاسْتِمْتَاعٍ وَتَلَذُّذٍ!  
مِثْلَمَا أَفْعَلُ أَنَا نَفْسِي،  
وَفِي كُنُوسِ خَمْرِكُمْ  
فَلتَلْقُوا بِلَا مَبَالَاةٍ بِالْخَاتَمِ الَّذِي تُحِبُّونَ!  
هَيَّا، فَلْنَمْسِكْ كُنُوسَنَا وَنَرْفَعَهَا عَالِيًا!  
الْمَجْدُ لِلرِّبَاتِ! الْمَجْدُ لِلْعَقْلِ! فَلْنُسَبِّحْ بِحَمْدِهَا!

وَأَنْتِ، يَا شَمْسَ الْعَبْقَرِيَّةِ السَّاطِعَةِ، فَتُشْرِقِي!  
فَمِثْلَمَا يُعْتَمُ هَذَا الْقَنْدِيلُ الْعَتِيقُ  
وَيَذْوِي مَعَ ضَوْءِ الْفَجْرِ الْقَادِمِ،  
هَكَذَا تَشْحَبُ الْحِكْمَةُ الزَّائِفَةُ مَعَ الْوَمُضَةِ النَّحِيلَةِ الْأُولَى  
لِلضُّوءِ الثَّابِتِ لِلْحِكْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.  
فَلْيَعِشِ النَّهَارُ الْمُضِيءُ، وَلْيَمُتِ اللَّيْلُ وَالظُّلَامُ!

١٨٢٥

إلى...

لَا تَسْأَلْنِي لِمَاذَا كَثِيرًا مَا يُفَعِمُنِي الصَّرَاعُ  
وَحِيدًا فِي تَفْكِيرٍ كَثِيبٍ خِلَالَ أَوْقَاتِ الْمَرَجِ،  
وَلِمَاذَا تَحْدِيقِي الْمُرْهَقُ بِالْغُ الشَّوِيشِ،  
وَلِمَ لَا أَسْتَمْتَعُ بِحُلْمِ الْحَيَاةِ؛

لَا تَسْأَلْنِي لِمَاذَا بَادَتْ رُوحِي بِبُيْطَاءِ  
وَكَفَّتْ عَنِ حُبِّ الْحُبِّ الَّذِي كَانَ يُمْتَعِنِي آنَذَاكَ  
وَلَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعُو أَحَدًا "عَزِيزِي" -  
فَمَنْ أَحَبَّ ذَاتَ مَرَّةٍ لَنْ يُحِبَّ مِنْ جَدِيدٍ؛



وَمَنْ أَحْسَنَ مَرَّةً بِالنُّعْمَةِ فَلَنْ يُحْسِنَ بِجَوْهَرِهَا أَبَدًا،

وَالْحِظَةُ سَعَادَةٌ هِيَ كُلُّ مَا نَتَلَقَّى:

مِنَ الشَّبَابِ، وَالْأَزْدِهَارِ وَالْمُتَعَةِ الْبَهِيجَةِ

وَكُلُّ مَا تَبَقَّى هُوَ الْفُتُورُ وَالْحُزْنُ...

## النَّبِيُّ

ظَامِئًا قَلْبِي الْوَحِيدِ،  
فَقَطَعْتُ الْأَرْضِي الْبُورَ الْقَاحِلَةَ  
حِينَ وَجَدْتُهُ أَمَامِي، سَارُوفِيمَ الْمُجَنِّحِ،  
صَامِتًا، مُتَّصِبًا،  
وَعَلَى مُفْتَرِقِ الطَّرِيقِ انْتَهَرْتَنِي.  
عَلَى عِيُونِي الطَّيْنِيَّةِ الْعَمِيَاءِ  
وَضَعَ أَصَابِعَهُ بَرِيقِ،  
وَكَعَيْتَنِي نِسْرٍ عِنْدَ الرُّعْبِ،  
فُتِحَتَا وَرَاقِبَتَا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ،  
لَمَسَ أُذُنِي، ثُمَّ الْأُخْرَى،

وواضحة متميزة تماماً،

انثنى الرقرفة الرهيفة لأجنحة الملاك،

طسمت الكرمة

وهي تفوص في الأرض، وترتفع في السماء،

وهولات أعماق البحر

تنزلق في الماء كالأسماك..

اعتصر لسانى الآثم البارغ من فمى،

وانتزعه بيد دامية،

مال فوقى بلا شفقة

ودس ناب أفعى بين شفتى الهامدتين..

ثم- غارساً سيفه اللامع ببطء-

شق صدرى،

واقطلع قلبى المرتعش المعتم، الكالح،

وغرس بتأقل فى الفجوة المفتوحة

جمرة، سرت مع اللهب..

رَقَدْتُ هُنَاكَ، مَيِّتًا،

وَإِلَهِي، تَكَلَّمْ يَا إِلَهِي،

وَهَذَا مَا قَالَ:

انْهَضْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، يَا مَنْ تَسْمَعُ دَعْوَتِي

افْعَلْ كَمَا أَطْلُبُ، يَا مَنْ يَعُوقُكَ الْعَدَمُ؛

تَقَدَّمْ عَلَى الْأَرْضِ، نَبِيًّا، لِأَفْحَا قُلُوبَ الرُّجَالِ

بِكَلِمَةِ الْحَقِّ.

## الوصية العاشرة

لَا تَشْتَهِ طَيِّبَاتِ الْآخِرِينَ-

هَكَذَا أَمَرْتُ، يَا إِلَهِي؛

وَتَعْرِفُ حُدُودَ إِرَادَتِي-

أَعْلَى أَنْ أَتَحَلَّى بِمَشَاعِرِ مُرَهَفَةِ؟

إِنِّي لَا أَتَمَنَّى إِغْضَابَ صَدِيقِي،

وَلَا أَشْتَهِي قَرِيْبَتَهُ،

وَلَا أَنْطَلِعُ إِلَى عَجَلِهِ،

فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضَا؛

لَمْ يُغَوِّنِي رِجَالُهُ، وَمَنْزِلُهُ وَقَطِيعُهُ،

رَغِمَ أَنْ كُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٍ.

لَكِنْ فَلنَتَخَيَّلُ أَنَّ جَارِيَتَهُ

جَمِيلَةٌ .. إِذَا فَقَدْ خَسِرْتُ المَعْرَكَةَ!

وَإِذَا مَا كَانَتْ امْرَأَتَهُ بِالمُصَادَفَةِ فَاتِنَةً

وَتَتَمَتَّعُ بِبِشْرَةِ مَلَكَ

فَسَيَغْفِرُ الرَّبُّ إِذَا لِي خَطِيئَتِي

بِكُونِي حَسُودًا وَشَرِهًا!

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ السَّيْطِرَةَ عَلَى مِثْلِ هَذَا القَلْبِ؟

وَمَنْ يَكُونُ عَبْدًا لِلْمَسْعَى الوَاهِي؟

وَمَنْ لَا يُحِبُّ الشَّخْصَ المُبْجَلَّ؟-

مَنْ يَمْلِكُ مُقَاوَمَةَ نِعْمَةِ السَّمَاءِ؟

إِنِّي أَتَنَهَّدُ مِنَ الحُزْنِ وَالعُوعَى،

لَكِنْ لِأَبْدٍ لِي مِنَ تَشْرِيفِ عَقِيدَتِي،

خَوْفًا مِنَ إِطْرَاءِ طُمُوحِ القَلْبِ،

صَامِتٌ أَنَا .. وَوَحِيدًا يَنْتَابُنِي الحُزْنُ.

## الشيَّاطِين

مُدْوَمَةٌ سَحْبُ الْعَاصِفَةِ، مُنْدَفِعَةٌ سَحْبُ الْعَاصِفَةِ،

السَّمَاوَاتُ غَائِمَةٌ، وَالْمَسَاءُ غَائِمٌ،

وَقَمَرٌ مَّاكِرٌ

مَنْ يُشْعَلُ الضِّيَاءَ سِرًّا فِي التَّلُوجِ الطَّائِرَةِ.

فِي مَسِيرِنَا .. الِامْتِدَادُ لَا نِهَائِي،

تَنْزَلِقُ السُّهُولُ الْمَجْهُولَةُ وَالتَّلَالُ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْوَرَاءِ.

وَمَشْحُونًا بِالْخَوْفِ أَجْلِسُ بِلَا حِرَاكٍ...

تَرِنٌ .. تَرِنٌ .. تَرِنٌ الْأَجْرَاسِ.

"أَيُّهَا الْحُوذِي، هَيَّا، اسْتَيْقِظْ.."

"الْخَيُْولُ، يَا سَيِّدِي، مُرْهَقَةٌ، وَبَطِيئَةٌ؛

أَمَّا أَنَا، فَأَنَا تَقْرِيْبًا أَعْمَى

فِي هَذِهِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ وَالتَّلْجِ!

لَا طَرِيقَ أَرَاهُ أَمَامِي هُنَاكَ، لِيَذَا سَاعِدْنِي؛

مَا الْعَمَلُ؟.. ضَلَلْنَا طَرِيقَنَا.

إِنَّهُ الشَّيْطَانُ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَيْنَا

وَيَقُودُنَا إِلَى الضَّلَالِ.

"انظُر! هَا هُوَ يَمْرَحُ وَيَسْتَفِرُّ هُنَاكَ،

يُزِيدُ وَيَعْصِفُ، وَمُفْعَمًا بِالْحَقْدِ

يَدْفَعُ ضَاحِكًا حِصَانًا فَحَلًا

عَلَى حَافَةِ أَحَدِ الْوَهَادِ.

سَوْفَ يَطْلُعُ الْآنَ، كَعَلَامَةِ طَرِيقِ عِمْلَاقَةَ،

قَائِمًا أَمَامِي؛



الآن، تَتَوَهَّجُ شَرَارَةٌ وَتُومِضُ،  
وَالْمِهْيَبُ هَامِدَةٌ فَجَاءَتْ فِي الظَّلَامِ".

مُدْوَمَةٌ سَحُبُ العَاصِفَةِ، مُنْدَفِعَةٌ سَحُبُ العَاصِفَةِ،  
السَّمَاوَاتُ غَائِمَةٌ، وَالْمَسَاءُ غَائِمٌ،  
وَقَمَرٌ مَآكِرٌ

مَنْ يُشْعَلُ الضِّيَاءَ سِرًّا فِي التَّلُوجِ الطَّائِرَةِ.  
مُنْهَكَةٌ مِنَ الِاتِّفَافِ الدَّائِرِي،  
تَرْتَجُّ الخِيُولُ وَتَتَوَقَّفُ.. وَتَمُوتُ الأَجْرَاسُ.  
"أَهْوَجِدُ شَجَرَةَ أَمْ ذِئْبٌ؟"

"فَخَامَتَكُمْ، لَا أَسْتَطِيعُ حَقًّا رُؤْيَةَ مَا أَمَامِي"

عَالِيًا تَنْتَحِبُ العَاصِفَةُ التَّلْجِيَّةُ، وَتَحْتَدِمُ،  
وَتَصْهَلُ الخِيُولُ فِي رُعبٍ.

فَوْقَ السَّهْلِ المُنْبَسِطِ يَخْتَالُ الشَّيْطَانُ،

وَفِي الظُّلْمَةِ تَتَوَهَّجُ عَيْنَاهُ بِالْبَهْجَةِ .  
تَبْدَأُ الخُيُولُ فِي الارتِعَادِ ،  
وَتَمْضِي الأَجْرَاسُ فِي الرِّينِ نَحْوِ ..  
الشَّيَاطِينِ ، الشَّيَاطِينُ بِلا حَصْرٍ  
يَتَجَمَّعُونَ حَوْلَنَا فِي دَائِرَةٍ .

فِي اللَّعِبِ المُخِيفِ لِضَوْءِ القَمَرِ  
يُكْشَرُونَ ، يَعْوِلُونَ ، يَصْرُخُونَ ،  
مُلْتَفِينَ ، مُتَقَافِزِينَ ، وَهُمْ بِجُنُونٍ يَرْقُصُونَ  
كَأوراقِ الخَرِيفِ تَذُرُوهَا الرِّيحُ .  
فَلِمَآذَا هُم إِلَى هَذَا الحَدِّ مُتَوَحِّشُونَ ، هَكَذَا مُهْتَاجُونَ؟  
لِمَآذَا هِيَ غَرِيبَةٌ هَكَذَا الأَصْوَاتُ الَّتِي يُصْدِرُونَ؟  
أَيَكُونُ ذَلِكَ زِفَافَ جَنِّي  
أَمْ ، رُبَّمَا ، اسْتِيقَاطَ سَاحِرَةٍ؟

مُدَوِّمَةٌ سَحْبُ الْعَاصِفَةِ، مُنْدَفِعَةٌ سَحْبُ الْعَاصِفَةِ،

السَّمَاوَاتُ غَائِمَةٌ، وَالْمَسَاءُ غَائِمٌ،

وَقَمَرٌ مَّاكِرٌ

مَنْ يُشْعَلُ الضِّيَاءَ سِرًّا فِي التُّلُوجِ الطَّائِرَةِ.

هَالِيًا نَحْوَ السَّمَاءِ، تَعْلُو الشَّيَاطِينُ الدَّوَّارَةَ،

مُغْطَاةً بِالتُّلُوجِ الْمُتَهَاوِيَةِ،

وَعَوَاؤُهُمُ الْمُرُوعُ الْأَلِيمُ

بِمَلَأُ قَلْبِي بِالْوَيْلِ وَالرَّهْبَةِ.

١٨٣٠

## مرثية

المرحُ والضحكُ المنطَفِئُ لأعوامِي المَجنُونَةِ  
يَعْتَرِينِي كَضُحَى مُفْعَمٍ بِالدُّخَانِ.  
مَا هَكَذَا الأَلَمُ المَاضِي - فَهوَ بِالنَّسْبَةِ لِي كَالخَمْرِ  
الذِي يَزْدَادُ عُنْفُونًا مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ.  
حَزِينٌ هُوَ الدَّرْبُ أَمَامِي: العَنَاءُ وَالأسَى  
يَكْمُنَانِ فِي بَحَارِ المُسْتَقْبَلِ القَلِقَةِ.

لَكِنِّي، آه أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ، أَنْقِضُ مِنْ فِكْرَةِ المَوْتِ؛  
فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحْيَا - أَنْ أُعَانِي وَأُفَكِّرُ،  
أَنْ أَذُوقَ الهَمَّ وَالْحُزْنَ وَالاهْتِيَاجَ،

لِلغَيْبَةِ وَعُدُوبَةِ الْاِبْتِهَاجِ ؛  
ان اسكّر بالتَّعَاغُمِ؛ اَنْ اَمْسَ اوتارَ الْخِيَالِ  
واهكى بِحُرِّيَّةٍ عَلَيَّ خِيَالَاتِهِ...  
وَمَضَّةُ الْحُبِّ الْاٰخِرَةِ، بَسْمَةٌ وِدَاعِهِ الْحَنُونِ  
هُدًى يَجْعَلُهَا اَقْوَلِي الْحَزِينَ اَقْلَّ حُزْنًا.

١٨٣٠

## مَنَسِيَّةٌ بِصَمَاتِ الْحَقِيبَةِ...

صَدِيقِي، مَنَسِيَّةٌ بِصَمَاتِ الْحَقِيبَةِ الْعَابِرَةِ  
مَنَسِيَّةٌ نَهْرُ شَبَابِي التَّائِرِ  
فَلَا تَسْأَلْنِي عَمَّا أَفْتَقِدُ بَعْدَ ذَلِكَ،  
عَمَّا أَحْسَسْتُ فِي أَوْقَاتِ الْبَهْجَةِ وَالْبَلَاءِ،  
عَمَّا أَحْبَبْتُ، وَكَيْفَ هُجِرْتُ  
فَمَا زَالَ لِي أَيْضًا أَنْ أَذُوقَ الْبَهْجَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، - الْفَطْرِيَّةَ؛  
لَكِنَّكَ بَرِيءٌ! مَجْبُولٌ فَحَسَبَ مِنْ أَجْلِ النُّعْمَةِ  
فَلْتَوَمِّنْ بِهَا وَلْتُمْسِكْ بِنَصِيبِ كُلِّ لَحْظَةٍ  
فَرُوحُكَ خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِ الصَّدَاقَةِ وَالْإِخْلَاصِ،  
مِنْ أَجْلِ قُبْلَةِ عَاشِقَةٍ مَشْبُوبَةٍ.

رُوحَكَ طَاهِرَةً وَلَيْسَتْ عُرْضَةً لِلْحُزْنِ

وَضَمِيرُكَ نَاصِعٌ كَأَيِّ نَهَارٍ

فَلِمَ إِذَا تَلْتَفَتُ إِلَى خَبَلٍ وَجُنُونٍ

السَّائِمَةُ الْمُغْرِضَةُ؟

فَسْتَجَلِّ مَحَلَّ سَلَامِكَ الْإِهْتِيَاغِ

سَتَرْتَعِدُ مَعَ قَلْبِكَ وَتَصْرُخُ فِي الْفِرَاشِ

سَتَفْقِدُ رُوحَكَ ثَمَّتَهَا فِي الْإِثَارَةِ

وَأَنْتِ، رَبِّمَا.. يَا حُبِّي قَدْ تَتَنَامَى حَتَّى الْفَرْعِ

مَنْ يَدْرِي؟ رَبِّمَا إِلَى الْأَبَدِ.. لَا، يَا عَزِيزِي

أَخْشَى أَنْ تُطِيحَ بَعِيدًا بِالْبَهْجَةِ الْوَحِيدَةِ

فَلَا تَطْلُبْ هُنَا اعْتِرَافَاتٍ خَطِرَةَ

فَالْيَوْمَ أَنَا أَحِبُّ، وَأَنَا الْيَوْمَ سَعِيدٌ.

## مَاذَا يَعْنِي لَكَ اسْمِي؟

مَاذَا يَعْنِي لَكَ اسْمِي؟ .. فَسَيَمُوتُ

كَمَا يَمُوتُ الْهَدِيرُ الْمُوحِشُ

لِلْأَمْوَاجِ الْبَعِيدَةِ، أَوْ الْآهَةِ اللَّيْلِيَّةِ

الْمَكْتُومَةُ لِلْغَابَةِ ذَاتِ صَيْفٍ.

عَلَى وَرَقَةِ الْبُومِ ذَاوِيَةِ،

سَيَبْدُو بَاهِتًا وَمُلْغِزًا،

كَكَلِمَاتٍ مَخْطُوطَةٍ عَلَى مَقْبَرَةٍ، أَوْ

بَقَايَا عَصْرِ مُتَلَأَشٍ وَمَيِّتٍ مُنْذُ الْقِدَمِ.



ماذا نَكْمُنُ فِي اسْمِي؟ ... مَنَسِيًّا طَوِيلًا،

وَهْدَ مَحَاهِ الْهَوَى الْجَدِيدِ، الْعَاصِفِ

لَنْ نَبْرُكَ فِيكَ مِنَ الْمَحَبَّةِ،

الْإِحْسَاسَ الْعَذْبَ الْبَاقِي.

لَكِنْ فِي سَاعَةِ عَذَابِ،

فَلْتَنْطِقِي بِهِ، أَرْجُوكِ، وَلْتَسْتَدْعِي صُورَتِي،

وَلْتَقُولِي: "إِنَّهُ مَا يَزَالُ يَذْكُرُنِي،

وَقَلْبُهُ وَحْدَهُ مَا يَزَالُ يُكِنُّ لِي التَّقْدِيرَ".

١٨٢٠

## عِنْدَمَا أَخَذُ قَوَامَكَ النُّحِيلِ ...

عِنْدَمَا أَخَذُ قَوَامَكَ النُّحِيلِ بَيْنَ ذِرَاعِي

- غَنِيمَةً لَا تُقَدَّرُ بِئَمَن-

وَكَلِمَاتُ الْحُبِّ، دَافِئَةٌ، مُهْتَاجَةٌ،

تَتَدَفَّقُ إِلَيْكَ فِي فَرْحٍ وَنَشْوَةٍ،

فِي صَمْتِ عِنَاقِي الطَّائِشِ

تُخَلِّصِينَ نَفْسَكَ،

وَلِبْرَهَةٍ، تَبْدُو عَلَى وَجْهِكَ ابْتِسَامَةٌ

تُصْبِحُ فَجَاءَهُ مُرْتَابَةٌ، شَاحِبَةٌ، وَنَائِيَةٌ.

وَعَلَى الْفُورِ تَسْتَدْعِي ذَاكَرْتِكَ،

شَائِعَةً أَسَالِيْبِي الْمَلْتَوِيَّة-

الْحَدُثُ، وَأَنْتِ مُعْتَكِرَةُ الْمِرْجَاجِ،  
الرَّافِعُ عَنِ قَضِيَّتِي، وَأَنْتِ ضَجْرَةٌ...  
إِهْ كَمِ الْعَنُ التَّسْلِيَّاتِ الْعَذْبَةِ  
وَمَبَاهِجِ شَبَابِي الشَّرِيرِ،  
لِقَاءَاتِ الْحُبِّ اللَّيْلِيَّةِ،  
وَالنُّزَهَاتِ فِي أَحَدِ الْأَمَاكِنِ الْمُنْعَزَلَةِ الْمُظْلَمَةِ  
أَوْ فِي طَرِيقِ بُسْتَانِ،  
الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَثَارَ صَدَاهَا الدَّمُّ وَحَفَزَهُ،  
الْقُبَلَاتِ الْحُنُونَةِ الَّتِي مَنَحْتَهَا - قَبْلَ الْأَوَانِ - حَبِيبَاتٌ وَائْتِقَاتٌ  
وَنُؤَاحُهُنَّ الَّذِي جَاءَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

١٨٣٠

## الصَّدى

عِنْدَمَا يَضْرِبُ الرَّعْدُ إِيقَاعَهُ الْمُخْفِيفُ  
أَوْ تَصْرُخُ الْحَيَوَانَاتُ الْوَحْشِيَّةُ فِي الْغَابَاتِ،  
عِنْدَ صَوْتِ النَّفِيرِ أَوْ أُغْنِيَةِ الْعَذْرَاءِ-  
إِجَابَتُكَ وَاضِحَةٌ  
لِكُلِّ صَوْتٍ تَأْتِي حَادَّةً قَوِيَّةً  
مِنَ الْهَوَاءِ الْخَالِيِ.

وَتَسْمَعُ صَدْمَةَ الرَّعْدِ السَّاحِقَةِ،  
الْعَاصِفَةَ الْهَادِرَةَ وَالصُّخُورَ الْهَاطِيَةَ،  
وَنِدَاءَ الرَّاعِي إِلَى قَطِيعِهِ

تَتَّبَعْتُ بِإِجَابَتِكَ

فَدَرَكْتُ.. أَلَّا تَتَلَقَّى شَيْئًا مِنْ جَدِيدٍ

بِأَصْدِيقِي الشَّاعِرِ.

١٨٣١

## الرَّغْبَةُ تُتَلَّاشَى...

عِشْتُ لِأَرَى الرَّغْبَةَ تُتَلَّاشَى،  
كَبُرْتُ بِبُطْءٍ مَعَ الْأَمَلِ فِي الرَّحِيلِ،  
وَهَا قَدْ تَرَكْتُ فَحَسَبَ مَعَ الْعَذَابِ،  
ثَمْرَةَ خَوَاءِ الْقَلْبِ.

تَحْتَ عَوَاصِفِ الْقَدْرِ الْقَاسِيِ  
ذَوَى إِكْلِيلِ زُهُورِي-  
وَفِي حُزْنٍ، وَوَحْشَةٍ، هَا أَنَا مُنْتَظِرٌ:  
مَتَى سَتَأْتِي نِهَائِي؟

مثل الورقة الأخيرة، في الأغصان العارية،

للتوى في حزنٍ وحيدة،

عند صفير العاصفة الثلجية،

نحت لدغات الصقيع القاتلة.

## إِذَا مَا خُدِعْتَ بِالْحَيَاةِ،

إِذَا مَا خُدِعْتَ بِالْحَيَاةِ ...

فَلَا تَكْتَبِ، لَا تَتَهَوَّرِ!

وَفِي يَوْمِ الْحُزَنِ، فَلْتَكُنْ مُعْتَدِلًا

فَالْأَيَّامُ الْبَهِيجَةُ سَتَأْتِي، صَدَّقْنِي.

فَالْقَلْبُ يَعِيشُ فِي الْغَدِ؛

وَالْحَاضِرُ هُنَا مَنْكُودُ؛

وَفِي لَحْظَةٍ، يَمْضِي الْحُزْنُ؛

وَمَا يَمْضِي سَيَكُونُ غَالِيًا.



## تحتى يستلقى القوقاز

تحتى يستلقى القوقاز ذو القُبعة الفضيّة...  
وعند أقدامى يندفع أحد السيول، مُزِيداً وصَاحِباً.  
أراقب نِسراً يُحلّق فى سَكِينَةٍ فَوْقَ القِمَمِ،  
يَنحَرِفُ مُقْتَرِباً كُلَّمَا دَارَ - بِلاَ حِرَاكٍ - حَوْلَ السَّمَاءِ.  
هنا وُلِدَتِ الأنهارُ كى تُمزّقَ الجِبَالِ إلى أشلاء  
وتَبْدَأُ الانهياراتُ بوقع الهَزِيمِ، كما هَزِيمِ الرِّعْدِ.

هنا تطفو مهيبةً سحُبُ العاصِفةِ،  
وخلالها تساقطُ سيولُ الماءِ الرشيقةِ؛

فَتَقْتَحِمَ حَوَافَّ الْمُنْحَدَرَاتِ الْهَائِلَةِ الْعَارِيَةِ،  
وَتَنْدَفِقُ سَاقِطَةً إِلَى الْأَعْمَاقِ  
مُجْتَاحَةً مِسَاحَاتِ الطُّحْلَبِ وَالْأَدْعَالِ الْمَيْتَةِ.  
فِي الْأَسْفَلِ تَنْتَشِرُ الْبَسَاتِينُ الْخَضْرَاءُ،  
الْمُورِقَةُ بِالْأَعْشَابِ وَالرَّائِحَةُ الْعَذْبَةَ  
حَيْثُ تَسْكُنُ الطُّيُورُ فِي سَلَامٍ، وَيَرَعَى الْأَيْلُ فِي اطمئنان.

فِي الْأَسْفَلِ، يَسُوقُ الرَّجَالُ قُطْعَانَ الْغَنَمِ عَلَى التَّلَالِ  
مُطَوِّفِينَ بِالْمَرَاعِي إِلَى الْمَرْجِ الْمُزْدَهَرِ الزَّاهِيِ.  
وَحَيْثُ يَجْرِي "أَرَاخْمًا"، وَقَدْ اكَتَسَى شَاطِئَاهُ بِالظَّلَالِ  
يَنْحَدِرُ أَحَدُ الرُّعَاةِ.

وَفِي أَحَدِ الْوَهَادِ الْقَرِيبَةِ الْعَمِيقَةِ،  
يَخْتَبِي فَارِسٌ بَائِسٌ مُتَوَتِّرًا وَسَاهِرًا،  
وَيَرْكُضُ "تِيرِيك" الْوَحْشِيُّ الضَّاحِكُ بِجُنُونٍ،  
مُتَهَاوِيًا مُتَقَافِرًا.

يَنْدَفِعُ بِعُنْفٍ كَحَيَّوَانَ وَحَشِيٍّ فِي قَفْصٍ

لَا يَصِلُ إِلَى الطَّعَامِ،

وَهُوَ مُتَخَمٌّ بِالْجُوعِ وَالْحُرْفَةِ،

يَلْفَقُ الصُّخُورَ،

وَصَارِحًا مُهْتَاجًا يَنْدَفِعُ بِقُوَّةٍ إِلَى الشَّاطِئِ فِي سُعَارٍ وَثَوْرَةٍ.

وَأَسْفَاهُ لَقَدْ أَحْيَيْتُ: فَالْجِبَالُ تُحَاصِرُهُ؛

وَحَرْسَاءُ - كَمَرْدَةٍ مُتَوَعِّدِينَ - تَعْتَصِرُهُ فِي خَفَاءِ.

١٨٢٩

## عِنْدَمَا أَتَمَشَى ...

سَوَاءَ مَا إِذَا كُنْتُ أَتَمَشَى فِي شَوَارِعِ صَاخِبَةٍ،  
أَوْ أَدْخُلُ كَنِيسَةً تَعِجُّ بِالنَّاسِ،  
أَوْ أَقْضِي اللَّيْلَ فِي صُحْبَةِ صَاخِبَةٍ - لَا فَرْقَ! -  
أُطَلِّقُ العِنَانَ لِأَفْكَارِي.

أَقُولُ لِنَفْسِي: الأَعْوَامُ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ،  
وَنَحْنُ جَمِيعًا الَّذِينَ نَتَجَمَعُ هُنَا الْآنَ  
سَنَلْمَحُ قَبْلَ وَقْتِ طَوِيلٍ وَجَهَ الْمَوْتِ الْمُخِيفِ؛  
فَسَاعَةَ الْمَرِّ فِعْلًا فِي مُتَّوَلِّ الْيَدِ.

وهدمًا أنظرُ إلى شجرةِ سِنديانٍ عتيقة

اهلًا؛ إنها سيِّدةُ الغابة.

ستتجاوزُ عمري المنسي؛

مبلمًا تجاوزت أعمارَ أسلافِي!

وإذ أداعِبُ طفلًا صغيرًا،

في الحالٍ يخطرُ ببالي: الوداع!...

سأخلي مَكَاني لك..

فلأبدُ لي أن أدوي فيما تتألقُ وردتك.

كُلُّ يومٍ، كُلُّ عامٍ يَمُرُّ، زائلًا،

أتابعُه، في فِكْري، حتَّى نهايته،

مُحاولًا، نافِدَ الصَّبْرِ،

تخمينَ لحظةٍ موتِي سُدِّي.

أَسَيَطُلُبُنِي الْمَوْتُ فِي مَعْرَكَةٍ؟  
أَمْ فِي أَسْفَارِي، أَمْ وَسَطَ الْأَمْوَاجِ؟  
أَمْ أَنْ وَادِيًا قَرِيبًا  
سَيَمْنَحُ رُقَاتِي الْبَارِدَ قَبْرًا هَادِتًا؟

فَالْمَكَانُ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ الرَّقَادُ الْأَبَدِي  
لَا أَهْمِيَّةَ لَهُ بِالنَّسْبَةِ لِلْجَسَدِ الْمَيِّتِ.  
لَكِنِّي أَفْضَلُ أَنْ أَبْقَى  
تَحْتَ سَمَاوَاتِ مَوْطِنِي...  
وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

لَعَلَّ الْحَيَاةَ، الْفَتِيَّةَ أَبَدًا، تَتَسَابُ  
أَنْتِذِ، فَوْقَ قَبْرِي، كَيْنُبُوعِ مُتَدَفِّقِ،  
وَالطَّبِيعَةَ، الْجَمِيلَةَ الْكَثِيبَةَ،  
تَرْمِي عَلَيَّ كُلَّ شَيْءٍ إِشْرَاقَهَا الْبَاهِرِ.

## الفنّان

كَانَ الْفَنَّانُ الرَّيْفِيُّ الْكَسُولُ يُلَطِّخُ بِالسَّوَادِ  
لَوْحَةَ الْعَبْقَرِيِّ بِمَوَادِّهِ،  
بِلَا أَيِّ إِحْسَاسٍ بِصِيَاغَةِ  
رَسْمِهِ الرَّخِيفِ فِي الْأَعْلَى.

لَكِنَّ اللَّوْحَاتِ الْغَرِيبَةَ، عَلَى مَرِّ السَّنِينِ،  
تَهْوِي كَغُفَارٍ،  
فِيمَا تَتَجَلَّى دُرَّةُ الْعَبْقَرِيِّ

لَنَا بِتَأْلُفِهَا السَّابِقِ.

هَكَذَا، فَالْأَشْبَاحُ السُّودَاءُ  
تَرْحَلُ عَنْ قَلْبِي الْمَعَذَّبِ،  
وَتُعِيدُ مِنْ جَدِيدٍ إِحْيَاءَ رُؤْيِ  
الْأَيَّامِ الْبِكْرِ الَّتِي تَرَكْتُهَا وَرَائِي.



## أحببتك

أحببتك، وهذا الحبُّ، إذ يرفضُ الموت،  
قد يبقى - من يدري! - مُستكناً في صدري.  
فأرجوكِ ألا تألمي - صدقيني، باختيارِ  
الأأكون قد أزعجتكِ ولا حتى أوجعتكِ.

أحببتكِ في صمت، بلا أملٍ وبصورةٍ حقيقية،  
متوقداً بالحياةِ وحتى الرقة المشبوبة؛  
فهوأي غيورٌ وصعبُ المراس...  
فلعلَّ السماءَ تمنحكِ شخصاً آخرَ يحبُّكِ هكذا!

# الحلم

لَا مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ، فِي حُلْمٍ سَاحِرٍ،  
رَأَيْتُ نَفْسِي - مَلِكًا بِثَرْوَةِ النَّجَاحِ؛  
كُنْتُ فِي حَالَةٍ حُبٍّ مَعَكَ، فِيمَا يَبْدُو،  
وَكَانَ الْقَلْبُ يَخْفِقُ بِالسَّعَادَةِ.  
غَنَيْتُ أُغْنِيَةَ هَوَايَ عِنْدَ رُكْبَتَيْكَ السَّاحِرَتَيْنِ.  
فَلِمَآذَا، أَيَّتَهَا الْأَحْلَامُ، لَمْ تُطِيلِي سَعَادَتِي إِلَى الْأَبَدِ؟  
لَكِنَّ الْآلِهَةَ لَمْ تَحْرِمْنِي مِنْ كُلِّ فَضْلِهَا:  
فَلَمْ أَفْقِدِ سِوَى مَمْلَكَةِ أَحْلَامِي.

## المغنى

كُنَّا كَثِيرِينَ قَدْ مَلَأْنَا الْقَارِبَ:  
الْبَعْضُ مُحَلَّقًا فِي الْأَعَالِي يَضْبِطُ الْأَشْرِعَةَ،  
وَالْبَعْضُ يَكْدُ بِالْمَجَازِيفِ، مُتَحَدِّيًا الرِّيَّاحَ الْمُعَانِدَةَ  
فَطَلَّلْنَا بِذَلِكَ طَافِينَ.  
أَدَارَ الرِّيَّانُ دَفَّةَ الْقَارِبِ،  
الْمُثْقَلِ الْمُمْتَلِي، عَلَى حَالَتِهِ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْأَمَامِ.  
وَأَنَا مَنْ أُغْنَى لَهُمْ، مُرْتَاخَ الْبِالِ،  
وَلَا مِبَالِ..  
فَاجَأَتِ الْقَارِبَ عَاصِفَةٌ هَوَّجَاءَ  
وَأَثَارَتِ الْأَمْوَاجَ حَتَّى الضَّرَاوَةَ...

ضَاعَ كُلُّ شَيْءٍ ...

أَمَّا أَنَا،

فَقَدَفْتُ بِى الْأَمْوَاجُ الْمُصْطَخِبَةَ مِنَ الْأَعْمَاقِ،

مُطِيحَةً بِجَسَدِي فِي عُنْفٍ إِلَى الرِّمَالِ

لَقَدْ تَلَأَشَوْا ..

وَالآنَ، هَا أَنَذَا أُجْلِسُ أُجَفِّفُ نَفْسِي فِي الشَّمْسِ

فِي غِنَاءٍ عَذْبٍ مَعَ أُغْنِيَاتِي الْقَدِيمَةِ الْمَحْبُوبَةِ.

## إِلَى شَوَاطِئِ الْوَطَنِ ...

إِلَى شَوَاطِئِ الْوَطَنِ، بِاللِّغَةِ الْعُدُوبَةِ لَكِنَّ الْبَعِيدَةَ،  
عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَلَ عَنِ الْمَكَانِ الْأَجْنَبِيِّ؛  
كَانَتْ السَّاعَةُ حَزِينَةً وَمُنْسَابَةً،  
وَالدَّمُوعُ تُنْسَابُ عَلَى وَجْهِهِ.  
بِأَيْدٍ بَارِدَةٍ، بِشُعُورٍ مَرِيرٍ،  
حَاوَلْتُ سُدِّي أَنْ أُسْتَوْقِفَكَ؛  
وَالْأَلَمُ الرَّهِيْبُ لِلْفِرَاقِ  
تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ أَلَّا تَعْتَرِضِيهِ.  
لَكِنَّكَ، مِنْ الْقُبَلَةِ الْأَلِيْمَةِ،  
انْتَزَعْتَ شِفَاهَكَ الرَّقِيْقَةَ،

وَمِنْ أَرَاضِي النَّفْيِ وَالْفُقْدَانِ الْحَزِينِ  
دَعَوْتِي إِلَى انْدِفَاعَاتٍ أُخْرَى.  
قُلْتُ لِي: "فِي يَوْمِ اللَّقَاءِ،  
تَحْتَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ أَبَدًا،  
فِي ظِلِّ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ  
سَنَبْدُ الْقُبَلَاتِ، يَا صَدِيقِي، مِنْ جَدِيدٍ".

لَكِنْ هُنَاكَ، وَآسْفَاهُ! حَيْثُ السَّمَاءُ تَزْدَادُ حَرَارَةً  
وَزُرْقَةً فِي ضَوْءِ شَمْسِي،  
حَيْثُ أَشْجَارُ الزَّيْتُونِ تَرْمِي بِظِلِّ عَلَى الْمِيَاهِ،  
تَرْقُدِينَ نَائِمَةً مَعَ حُلْمِكَ الْأَخِيرِ.  
وَجَمَالَكَ، وَأَلْمَكَ، وَعَذَابِكَ  
تَلَاشُوا فِي جَرَّةِ رَمَادِ الْمَيْتِ؛  
مَعَهُمْ، تَلَاشَتْ الْقُبَلَةُ الْمَوْعُودَةَ...  
وَمَا أَرَأَى أَنْتَظِرُ جَرَّةَ رَمَادِكَ...

## أَزْهَارُ الْخَرِيفِ الْأَخِيرَةِ

أَزْهَارُ الْخَرِيفِ الْأَخِيرَةِ

أَعَذَّبُ مِنَ الْأَزْهَارِ الْأُولَى لِلسُّهُولِ.

ذَلِكَ أَنَّهَا تُوقِظُ إِحْسَاسًا،

فَوِيًّا، رَغَمَ أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ حَزِينَةً،

مِثْلَمَا يَكُونُ أَلَمُ الْفِرَاقِ

أَقْوَى مِنْ عُدُوْبَةِ الْمَوْعِدِ الْغَرَامِيِّ.

## على تلال جورجيا...

على تلال جورجيا يستلقي ضباب المساء..  
في الأسفل، يزيد "أراجفا"  
الكتابة التي تملأ فراغ الأيام  
مبهجة جزئياً، بصورة غريبة،  
هي الألم العذب والسعادة الأعذب.

ولأنك تحتل قلبى، فلن تواتيه السكينة،  
حتى وهو مرح، ولا مبال بالأفكار الكئيبة..  
فهو يحب..  
يحب لأنه يجب، قبل كل شيء،  
أن يظل راضياً.



## إلى شاعر

أيتها الشاعر! لا تُبَالِغِ بِحُبِّ النَّاسِ الْمُحِيطَةِ بِكَ،  
فَسُرْعَانَ مَا يَزُولُ - تِلْكَ الِهِمْمَةُ الْمُجَدَّةُ -  
وَيَأْتِي تَوَدُّدُ الْبُلْهَاءِ وَضَحِكُ الْجُمْهُورِ الْبَارِدِ -  
لَكِنْ عَلَيْكَ دَائِمًا أَنْ تَظَلَّ صَارِمًا، مُتَّجِهًا وَسَاكِنًا.

أَنْتَ مَلِكٌ: فَالْتَعِشِ الْوَحْشَةَ. عَلَى امْتِدَادِ طَرِيقِ الْحُرِّيَّةِ،  
فَلْتَمَشْ هُنَاكَ، إِلَى حَيْثُ يَتَجَلَّى عَقْلُكَ الْحُرُّ،  
فِيمَا تَقُومُ بِتَحْدِيثِ ثَمَارِ الْأَفْكَارِ، الْحَبِيبَةِ،  
دُونَ أَنْ تُطَالِبَ بِجَوَائِزَ لَكَ.

الجَوَائِزُ دَاخِلُكَ. فَأَنْتَ الْحَكْمُ الْأَعْلَى؛  
بِصَرَامَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، تُقَدِّرُ عَنَّاكَ.  
حَسَنًا، فَهَلْ أَنْتَ رَاضٍ، آه، يَا فَنَّانِي الصَّارِمِ؟

أَنْتَ رَاضٍ. إِذَا فَدَعَ الْفَوْغَاءَ يُدِينُونَ شِعْرَكَ،  
يَبْصُقُونَ عَلَى الْمَذْبَحِ، حَيْثُ تَشْتَعِلُ نَارُكَ،  
وَيُنَاقِشُونَ مِرْجَلَكَ النُّحَاسِي  
بِشِرَاسَةٍ صَبِيَانِيَّةٍ إِلَى حَدِّ مَا.

## إلى الجمال

هِيَ كُلُّهَا تَنَاجُمٌ وَرَوْعَةٌ تَمَامًا،  
أَسْمَى مِنَ الْعَوَاطِفِ وَالْعَالَمِ،  
تَسْتَرْخِي، بِحَيَاتِهَا الْعَذْبِ،  
تَحْتَ الْمَقَامِ الطَّقْسِيِّ لِجَمَالِهَا؛  
تَتَطَلَّعُ حَوْلَهَا فِي صَمْتٍ:  
لَا مُنَافِسَاتٍ لَهَا، لَا أَصْدِقَاءَ،  
فَحَلَقَةٌ جَمِيلَاتِنَا، الشَّاحِبَةُ الْمُؤْتَلِفَةَ،  
تَخْبُو فِي إِشْرَاقِهَا الْبَاهِرِ.

لَكِنَّكَ، حَيْثُمَا لَا تَكُونُ عَلَى عَجَلٍ،

حَتَّى لِلِقَاءِ غَرَامِيٍّ مَعَ حَبِيبَتِكَ،  
وَقَلْبِكَ لَا يُزَعِجُهُ أَيُّ إِحْسَاسٍ،  
حَتَّى بِأُغْنِيَةَ مِنْ أَسْمَى صَبُوتٍ،-  
إِذَا مَا التَّقِيَّتَهَا عَلَى حِينِ غِرَّةٍ،  
فَإِنَّكَ فَجَاءَةٌ تَتَوَقَّفُ، مُرْتَبِكًا-  
فِي نَشْوَةٍ، كَأَحَدِ الْمُصَلِّينِ،  
وَهُوَ يُحْسِئُ بِقَدَاسَةِ الْفِتْنَةِ.

## فِي مَنَاجِمِ سَيِّبِيرِيَا...

عَمِيقًا فِي مَنَاجِمِ سَيِّبِيرِيَا،  
دَعِ الْهَلَكَ يَقْهَرُ رُوحَكَ الْأَيُّمَةَ الصَّبُورَةَ  
فَلَنْ يَضِيعَ عَنَاؤُكَ السَّاحِقُ وَأَفْكَارُكَ النَّبِيلَةَ-  
لَا تَخَفِ.

شَقِيقُ الْمِحْنَةِ، الْأَمَلُ السَّامِي،  
فَسَيَنْجَلِي الْأَلَمَ مِنَ الزُّنْزَانَةِ الْمُعْتَمَةِ؛  
سَيَصْحُو الْفَرْحُ، وَالْأَسَى يَزُولُ..

وَسَيَّاتِي الْمَوْعُودُ الْمُنْتَظَرُ مِنْ زَمَنِ طَوِيلٍ:

الرَّتَاجَاتُ الثَّقِيلَةُ سَوْفَ تَنْفَجِرُ - فَاَبْتَهَجِ!

وَالْحُبُّ وَالصَّدَاقَةُ بِأَلَا خِدَاعٍ،

سَيَّاتِيَانِكَ إِلَى عَزْلَتِكَ الضَّارِيَةِ،

كَصَوْتِي الْعَاشِقِ لِلْحُرِّيَّةِ.

جُدْرَانُ السُّجُونِ سَوْفَ تَتَحَطَّمُ.. فَاطْمَئِنِّي،

وَعَلَى الْبَابِ سَوْفَ تَنْتَظِرُكَ الْحُرِّيَّةُ لِتَتَلَقَّاكَ

وَأَخَوْتِكَ الْمُسْرِعُونَ لِتَحِيَّتِكَ،

سَيُقَدِّمُونَ لَكَ - مُبْتَهَجِينَ - السَّيْفَ.

## عِنْدَمَا أَهِيْمُ فِي الْمَدِينَةِ...

عِنْدَمَا أَهِيْمُ فِي الْمَدِينَةِ، غَارِقًا فِي التَّفْكِيرِ  
وَأَصِلُ إِلَى الْمَقْبَرَةِ الْعَامَّةِ-  
السِّيَاحُ، الْأَعْمِدَةُ، الْمَقَابِرُ الْحَجَرِيَّةُ النَّاعِمَةُ الْجَمِيلَةُ،  
الَّتِي يَتَعَفَّنُ تَحْتَهَا كُلُّ مَوْتَى الْمَدِينَةِ،  
مَصْفُوفَةٌ إِحْدَاهَا جَنْبَ الْأُخْرَى عَلَى الْمَرْجِ الطَّرِيِّ  
كَضِيُوفِ شَرَاهِينِ عَلَى مَائِدَةٍ خَاوِيَةٍ،  
أُضْرِحَةُ ذَوَى الْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الرَّفِيعَةِ،  
الرَّخَارِفُ الْقَبِيحَةُ لِبَنَائِينَ مِنْ الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ،

وَالنُّفُوسُ، الْمَحْفُورَةُ نَثْرًا وَشِعْرًا،

الَّتِي تُعَدُّ فِضَائِلَهُمْ، وَمَنَاقِبَهُمْ، وَطَبَقَاتِهِمْ،

الزَّوْجُ الْوَلَهَانُ الْمَغْفَلُ تَمِيْزُهُ آلِهَةُ الْحُبِّ النَّائِحَةُ،

الْأَعْمِدَةُ، الْمَسْرُوقَةُ مِنْ تَوَابِيْتِهَا، الْمُرْخَرَفَةُ بِصُورَةٍ بِأَيْسَةِ

الْقُبُورِ الْمَعْتَمَةِ، الَّتِي تَنْتَظِرُ بِفُوهَةٍ كَثِيْبَةٍ،

النُّزْلَاءُ الْمَحَدَّدُ لَهُمْ صَبَاحُ الْغَدِ-

أَضْطَرَبُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ عَنِ الْحَمَاقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ

حَتَّى أَسْقُطَ فَرِيْسَةً لِلْكَأَبَةِ وَالسُّوْدَاوِيَّةِ

وَأُرِيدُ أَنْ أَبْصُقَ وَأَجْرِي..

فَكَيْفَ لِي مَعَ ذَلِكَ أَنْ أُحِبَّ

فِي أُمْسِيَّاتِ الْخَرِيْفِ، عِنْدَمَا تَنَامُ السَّمَاءُ فِي الْأَعَالِي

كَمِيَّتٍ فِي هُدُوءٍ مَهِيْبٍ،

أَنْ أَتَمَشَى فِي الْعُزْلَةِ الْقَدِيْمَةِ لِمَقْبَرَةِ قَرِيْبَتِنَا الْفَقِيْرَةِ،

حَيْثُ الْفَرَاغُ مُتَاحٌ لِمَدَافِنِ حَجْرِيَّةٍ بَسِيْطَةٍ،

وَوَجْهُ اللَّصِّ الْمَدْعُورِ



لَا يَقْتَحِمُ لِلسَّرِقَةِ حِينَ يُوحِشُ اللَّيْلُ،  
لَكِنَّهُ الْفَلَاحُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَمُرُّ مَتْرَحًا  
يُهَمِّهِمْ وَيَتَنَهَّدُ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى هَذِهِ الْأَحْجَارِ، الْقَدِيمَةِ الْبَسِيطَةِ،  
يَكْسُوهُ الْمَرَضُ الْجَلْدِي،  
وَبَدَلًا مِنَ التَّوَابِيَتِ وَالْأَهْرَامَاتِ  
ذَاتِ التَّمَاثِيلِ مَجْدُوعَةِ الْأَنْفِ، وَالْأَعْمَدَةِ - التَّمَاثِيلِ الشَّائِعَةِ،  
تَنْتَشِرُ شَجَرَةُ السَّنْدِيَانِ فَوْقَ الْمَقَابِرِ الْجَلِيلَةِ  
تُصَدِرُ الْحَفِيفَ، إِذْ تُرْعِشُ الْأُورَاقَ.

# مُحَادَثَةٌ بَائِعِ كُتُبِ مَعَ شَاعِرٍ

(شَذْرَةٌ)

مُبَارَكٌ، مَنْ فِي وَحْدَتِهِ  
حَفِظَ أَجْمَلَ مَخْلُوقَاتِهَا،  
وَلَمْ يَنْتَظِرْ، مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ الْقُبُورِ،  
مَدِيحَهُمْ لَهُ، عَلَى الْوَعَى!  
مُبَارَكٌ، مَنْ كَانَ - فِي صَمْتِهِ - شَاعِرًا  
وَلَمْ يَضَعِ تَاجَ الشُّوكِ،  
مَنْ، مَنْسِيًّا مِنَ الْجُمْهُورِ الْحَقُودِ،  
بِلَا اسْمٍ، تَخَلَّى عَنِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ الْعَسِيرَةِ.

الثر مكرًا من أوهام القلب،  
ما الشهرة؟ ما الصوت الواهي للقارئ؟  
ما دعوى الأوغاد غير المكتوبة؟  
أو صخبُ البلهاء المبتهجين؟

## وَحِيداً فِي نَهَايَاتِي..

تُرِكْتُ وَحِيداً فِي نَهَايَاتِي،  
الْوَلَائِمُ، وَالْعَشِيقَاتُ، وَالْأَصْدِقَاءُ  
تَلَاشُوا مَعَ الْأَوْهَامِ الْوَاهِيَةِ-  
ذَوَى الشَّبَابِ بِلَا انْقِطَاعِ  
مَعَ كُلِّ هِبَاتِهِ مِنَ الْإِيمَاءَاتِ الزَّائِفَةِ.  
هَكَذَا، فَالشَّمُوعُ، الَّتِي كَانَتْ خِلَالَ اللَّيْلِ  
تَحْتَرِقُ مِنْ أَجْلِ رُؤْيَا الْمُحْتَفِلِينَ،  
فِي انْتِهَاءِ الْبَدَخِ الْمَجْنُونِ،  
تَشْحُبُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ.

## أَنْشَارٌ

فِي الصَّحْرَاءِ، حَيْثُ شُرُوقُ الشَّمْسِ لَعْنَةً،

يَنْتَصِبُ أَنْشَارٌ، كَحَارِسٍ رَهِيْبٍ، شَرِسٍ

وَحِيدًا فِي كُلِّ الْكَوْنِ،

مَشْدُودًا إِلَى السُّكُونِ الْقَاحِلِ.

أَنْجَبَتْهُ السُّهُوبُ الظَّامِئَةَ،

وَالشَّمْسُ فِي الْأَعَالِي تُوْشِعُ فِي اتِّقَادِ،

وَعَدَّتْ، حَقُودَةً، جُدُورَهُ وَأَعْضَاءَهُ،

بِالسُّمُومِ الْقَاتِلَةِ سَرِيعَةِ الْمَفْعُولِ.

وَفِيْمَا يَنْزُ السُّمُّ فِي نُبَاخِهِ،

يَذُوبُ فِي لَهَيْبِ وَحَرَارَةِ الصَّبَاحِ،

لَكِنَّهُ يَتَكَثَّفُ مَعَ حُلُولِ الظَّلَامِ،

فِي قَطْرَاتِ بِلُّورِيَّةٍ تُزِينُ الشَّجَرَةَ.

لَا طَيُّورَ وَلَا حَيَوَانَاتَ تَجْرُؤُ عَلَى الْمُخَاطَرَةِ بِالِاقْتِرَابِ.

وَحَدَهَا الرِّيَّاحُ السُّودَاءُ، بِإِلَاءِ أَىِّ وَجَلِ،

تَنْدَفِعُ، لَكِنَّهَا تَفِرُّ فِي خَوْفِ،

مِنْ أَنْفَاسِهِ الْمُلَوَّتَةِ بِالْحَمْدِ.

وَعِنْدَمَا تَرُشُّ غَيْمَةً مَاطِرَةً تَاجَهُ

وَتَتْرِكُ الغُصُونِ الثَّقِيلَةَ مَبْلُوءَةً،

تَتَهَمَّرُ القَطْرَاتُ مِنَ الشَّجَرَةِ

مُثْقَلَةٌ بِالسُّمُومِ.

لَكِنْ ذَاتَ مَرَّةٍ أَرْسَلَ رَجُلٌ رَجُلًا إِلَى أَنْشَارِ-

رَجُلًا يَبْدُو كَأَفِيًّا... انطَلَقَ الْعَبْدُ،

فِي حَمِيَّةٍ، وَرَغِمَ أَنْ الطَّرِيقَ كَانَتْ نَائِيَّةً،

عَادَ فِي الْفَجْرِ، حَامِلًا السُّمَّ.

فِي خُضُوعٍ صَامِتٍ، أَمَامَ سَيِّدِهِ،

وَضَعَ غُصْنًا وَرَاتِينَجَ،

وَعَلَى جَبِينِهِ الرَّمَادِيَّ كَانَتْ تَتَسَاب

قَطْرَاتٌ عَرَقٍ رَصَاصِيٌّ بَارِدٌ.

وَمَتَّهَاطِيًّا فِي وَهْنٍ عَلَى حَصِيرَةٍ،

وَوَجْهُهُ قِنَاعٌ لَامْتِقَاعٍ مَرِيضٍ،

مَاتَ، عَبْدًا ذَلِيلًا،

عِنْدَ أَقْدَامِ سَيِّدِ جَبَّارٍ .

بِالْإِسْمِ غَمَسَ عُمَالُ الْأَمِيرِ

سِهَامَهُ حَسَبَ أَوْامِرِهِ ،

وَأَلَى جِيرَانِهِ الْأَقْرَبِينَ وَالْأَبْعَدِينَ ،

أَرْسَلَ بِالْمَوْتِ عَبْرَ الْحُدُودِ .

١٩٢٨



## لَا أَسَى...

لَا أَسَى عَلَى أَعْوَامِ رَبِيعِي،  
حَيْثُ الْأَحْلَامُ وَالْحَيَاةُ لَمْ يَكُونَا عَلَى وِفَاقِ،  
لَا أَسَى عَلَى خَاتَمِ اللَّيَالِي الْغَامِضِ،  
الَّذِي غَنَّتْهُ قَيْثَارَةٌ فِي هَوَى مَشْبُوبِ.

لَا أَسَى عَلَى الْأَصْدِقَاءِ الزَّائِفِينَ وَالْمُخَادِعِينَ،  
أَكَالِيلِ الْوَلَائِمِ، وَكُتُوسِ الْحَفَلَاتِ،  
لَا أَسَى عَلَى الْفَرَامِیَّاتِ الْجَمِیلَةِ-

كَغَرِيبٍ مُتَأَمِّلٍ، أَتَفَادَى هَذِهِ النَّزَوَاتِ.

لَكِنْ أَيْنَ زَمَنُ الرَّغْبَةِ الْمُرْهَفَةِ،

زَمَنُ صَمْتِ الْقَلْبِ وَخَيْوِطِ الْأَمَلِ الشَّابِّ؟

أَيْنَ شُعْلَةُ الْإِلْهَامِ وَدُمُوعُهُ؟

فَلْتَعُودِي مِنْ جَدِيدٍ، يَا أَعْوَامَ رَبِيعِي!

## جَهْلِيَّ الْمُعْتَادُ...

جَهْلِيَّ الْمُعْتَادُ - ذَاتَ لَحْظَةٍ

صَافَحْتَهُ يَدُ الشَّيْطَانِ،

وَرَبَّطَ وُجُودِيَّ الْبَائِسِ

بِوُجُودِهِ إِلَى النَّهْيَةِ.

أَصْبَحْتَ لِي عَيْنَاهُ الشَّرِيرَتَانِ،

أَكْسَبَ ثُرُوءَ بَائِسَةٍ مِنَ الْعَوَالِمِ،

وَقَلْبِي كَانَ يَخْفِقُ فِي تَنَاغُمِ

مَعَ الْكَلِمَاتِ الْغَامِضَةِ.

نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ بِنَظَرَةٍ ثَاقِبَةٍ،

وَصَدِمْتُ بِمَا رَأَيْتُ؛

أَمْ أَنْ مِثْلَ هَذَا الْعَالَمِ يُمَكِّنُ أَنْ يَبْدُو لِي

ذَاتَ مَرَّةٍ عَظِيمًا وَجَمِيلًا؟

فَمَا تَطَلَّمْتَ إِلَيْهِ، كَحَالِمٍ صَغِيرٍ

فِي عَالَمٍ كَهَذَا، بِلَهْفَةٍ عَارِمَةٍ،

مِنْ أَجْلِهِ، بِكُلِّ قَلْبِكَ الْمَاضِي،

أَلَنْ تَشْعُرَ بِالْخِزْيِ مِنَ التَّوَسُّلِ لَهُ إِلَى الْأَبَدِ؟

وَنَظَرْتُ إِلَى النَّاسِ، أَيْضًا:

"الْقُضَاةُ" مِنْ أَحَطِّ مُسْتَوَى-

بِالْفِي الْقِسْوَةِ، الْمُتَعَالِينَ، الْمُنْحَازِينَ، الْحُقَرَاءَ-

الْحَمَقَى الْمُنْجَرِفِينَ دَائِمًا إِلَى الشَّرِّ.

أَمَامَ هَذِهِ الْجُمُوعِ الْمَرْعُوبَةِ أَبَدًا،

التَّافِهَةِ، الْبَارِدَةِ، الْمُفَعَّمَةِ بِالْإِنْتِقَامِ،

يَضِيعُ بِبَسَاطَةٍ وَبِلَا حِيلَةٍ-

صَوِّفِ الْحَقَّ، مَعْرِفَةَ الْعُصُورِ.

الْبَدِ عَلَى صَوَابٍ، أَيَّتَهَا الْأُمَمُ الْبَارِعَةُ أَبَدًا،

طُلُبَاءُ الْحُرِّيَّةِ يَفْطُطُّ فِي النَّوْمِ!

وَالْقَطْمَانُ لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى اخْتِرَاعَاتِ الْحُرِّيَّةِ،

طَلَبَهَا فَحَسَبُ أَنْ تُذْبَحَ وَتُسَلَخَ،

كُرَائِمًا مُنْذُ أَجْيَالٍ-

النَّيْرُ مَعَ أَجْرَاسِ الْجُوكَرِ وَالسَّوْطِ.

نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ بِنَظْرَةٍ ثَاقِبَةٍ،

وَصُدِّمْتُ بِمَا رَأَيْتُ؛

أَمْ أَنْ مِثْلَ هَذَا الْعَالَمِ يُمَكِّنُ أَنْ يَبْدُو لِي

ذَاتَ مَرَّةٍ عَظِيمًا وَجَمِيلًا؟

فَمَا تَطَلَّعْتَ إِلَيْهِ، كَحَالِمٍ صَغِيرٍ

فِي عَالَمٍ كَهَذَا، بِلَهْفَةٍ عَارِمَةٍ،

مِنْ أَجْلِهِ، بِكُلِّ قَلْبِكَ الْمَاضِي،

أَلَنْ تَشْعُرَ بِالْخِزْيِ مِنَ التَّوَسُّلِ لَهُ إِلَى الْأَبَدِ؟

وَنَظَرْتُ إِلَى النَّاسِ، أَيْضًا:

"الْقُضَاةُ" مِنْ أَحَطِّ مُسْتَوَى-

بِالْفِي الْقَسْوَةِ، الْمُتَعَالِينَ، الْمُنْحَازِينَ، الْحُقَرَاءَ-

الْحَمَقَى الْمُنْجَرِفِينَ دَائِمًا إِلَى الشَّرِّ.

أَمَامَ هَذِهِ الْجُمُوعِ الْمَرْعُوبَةِ أَبَدًا،

التَّأْفِهَةِ، الْبَارِدَةِ، الْمُفَعَّمَةِ بِالْإِنْتِقَامِ،

يَضِيعُ بِبَسَاطَةٍ وَبِلَا حِيلَةٍ-

صَوْتُ الْحَقِّ، مَعْرِفَةُ الْعُصُورِ.

أَنْتِ عَلَيَّ صَوَابٌ، أَيَّتَهَا الْأُمَّمُ الْبَارِعَةُ أَبَدًا،

فَنِدَاءُ الْحُرِّيَّةِ يَغُطُّ فِي النَّوْمِ!

وَالْقُطْعَانُ لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى اخْتِرَاعَاتِ الْحُرِّيَّةِ،

فَلَهَا فَحَسَبُ أَنْ تُذْبَحَ وَتُسَلَخَ،

تُرَاثُهَا مِنْذُ أَجْيَالٍ-

النَّيِّرُ مَعَ أَجْرَاسِ الْجُوكَرِ وَالسَّوْطِ.

لَا تَغْنِي، أَيَّتَهَا الْجَمِيلَةُ...

لَا تَغْنِي، أَيَّتَهَا الْجَمِيلَةُ، مَرَّةً أُخْرَى، أَرْجُوكِ،

أَغَانِي جُورْجِيَا، فِي حُضُورِي،

فَأَيْقَاعُهَا النَّائِحُ يُثِيرُ ذِكْرِي

حَيَاةٍ وَشَاطِئِ بَعِيدِينَ؛

لَأَنَّهَا فَهِيَ تَذَكِّرُنِي، فِي قَسْوَةِ وَنِقْمَةِ،

بِسُهُولِ ضَوْءِ الْقَمَرِ وَالْمَسَاءِ،

وَبِوَجْهِ ضَاعٍ مِنْ عَيْنِي طَوِيلًا،



أَحْبَبْتَهُ جِدًّا، لَكِنِّي تَرَكْتُهُ، وَآ أَسْفَاهُ، وَرَأَيْتِي.

عِنْدَمَا تَكُونِينَ قَرِيبَةً، أُحْمَلِقُ فِيكَ،

وَعَجَبًا! لَا يَنْتَابُنِي حُزْنٌ مُمِيتٌ.

وَلَكِن لَدَى أَوَّلِ نَعْمَةٍ مِنْ غِنَائِكَ،

يَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ، يُعَذِّبُنِي وَيَسْخَرُ مِنِّي.

لَا تُغْنِي، أَيَّتَهَا الْجَمِيلَةُ، مَرَّةً أُخْرَى، أَرْجُوكِ،

أَغَانِي جُورَجِيَا، فِي حُضُورِي،

فَإِقَاعُهَا النَّائِحُ يَثِيرُ ذِكْرِي

حَيَاةٍ وَشَاطِئِ بَعِيدِينَ.

## الأسير

أسيراً، أُقِيمُ وَحْدِي فِي بُرْجِ حَصِينِ،  
مَدْفُونًا فِي صَمْتِ وَظِلَامِ زِنزَانَةٍ.  
فِي الْخَارِجِ، فِي الْفِنَاءِ، وَفِي حَرَكَةِ جُنُونِيَّةٍ،  
يَنْقُضُ رَفِيقِي، النَّسْرُ، عَلَى فَرِيستِهِ.  
ثُمَّ، إِذِ يَتْرُكُ بَقَايَا الْوَلِيمَةِ الْمُلَوَّتَةَ بِالِدَّمَاءِ،  
يُحَدِّقُ فِيَّ، بِصَرَخَةٍ حَزِينَةٍ،  
صَرَخَةٍ أَشْبَهَ بِنِدَاءٍ أَوْ دِفَاعٍ  
"هُوَ الْوَقْتُ"، قَائِلًا، "هُوَ الْوَقْتُ، فَلْتَنْفِرَا!"

افْتَرَنَ كِلَانَا بِالْحُرِّيَّةِ، وَلِهَذَا فَلْنَمَضِ بَعِيدًا  
حَيْثُ تَشْرُدُ فِي جُرْأَةِ سَحْبِ الْعَاصِفَةِ الْوَحِيدَةِ،  
حَيْثُ تَتَدَفَعُ الْبِحَارُ الْهَائِجَةَ لِتَذُوبَ فِي السَّمَاءِ،  
حَيْثُ لَا يَجْرُؤُ عَلَى الْمَغَامَرَةِ سِوَى الرِّيَّاحِ  
وَأَنَا...!"

١٨٢٢

## طَائِرٌ صَغِيرٌ

فِي أَرَاضٍ أجنبيَّةٍ أَحْتَفِظُ  
بِجَسَدِ الطُّقُوسِ وَالْأَشْيَاءِ الْقَدِيمَةِ مِنْ مَسْقَطِ رَأْسِي:  
سَعِيداً أُطَلِّقُ سَرَاحَ طَائِرٍ صَغِيرٍ  
احْتِفَالاً بِالرَّبِيعِ.

أَنَا الْآنَ مُتَحَرِّرٌ لِلْعَزَاءِ،  
وَشَاكِرٌ لِلرَّبِّ الْعَظِيمِ:  
فَعَلَى الْأَقْلِّ، مَنَحْتُ الْحُرِّيَّةَ فِي هَذَا الْعَالَمِ

## المُغْنَى

لأحدِ مخلوقاتِهِ.

هل أصغيت؟ فقد غنى عند البستانِ الريّانِ  
شاعرُ الحبِّ، مُنشدُ الحِدادِ.

عندما كانت الحُقُولُ صامِتةً في الصِّباحِ الباكِرِ،  
هل أصغيتَ للأصواتِ الحزينةِ البسيطةِ من المزمارة؟

هل أبصرتَ في ظُلْمَةِ أوراقِ الغابَةِ  
شاعرَ الحبِّ، مُنشدَ الحُزنِ.

هل أبصرتَ أثرَ الدُّموعِ، والابتِسامةِ، والشُّحوبِ التّامِ،

وَالنَّظْرَةَ الْهَادِئَةَ، الْمُفْعَمَةَ بِالْأَسَى الْأَبْدِيِّ؟

هَلْ تَتَهَدَّتْ أَنْئِذٍ عِنْدَ سَمَاعِ كَيْفِ يَبْكِي

شَاعِرُ الْحُبِّ، مُنْشِدُ الْإِحْسَانِ؟

عِنْدَمَا رَأَيْتَ الشَّابَّ فِي الْغَابَاتِ، وَحِيدًا،

وَالْتَقَيْتَ بِنَظْرَةِ عَيْنَيْهِ الْمُنْطَفِئَتَيْنِ، هَلْ تَتَهَدَّتْ أَنْئِذٍ؟

## مساء

صَوْتِي، الَّذِي يُضْفِي عَلَيْهِ الْحُبُّ الْوَهْنَ وَالْحَيْنَ،  
يَشُقُّ ظِلَامَ الْمَسَاءِ وَالْهُدُوءَ الْحَالِمِ..  
شَاحِبًا بِجَانِبِي، مُحْتَرِفًا،  
يَغِيبُ الضَّوْءَ الْوَاهِيَّ بَعِيدًا..  
وَمِنْ قَلْبِي  
تَمُوجُ هُنَاكَ الْقَصَائِدُ الرَّشِيقَةُ وَجَدَاوِلُ الْحُبِّ  
الَّتِي تَهْمَهُمْ وَتُغْنِي وَتَذُوبُ  
وَتَتَدَفَعُ، حَافِلَةً بِكَ، بِالْهَوَى الطَّاعِي.

يَبْدُو لِي أَنِّي أَرَى عَيْنَيْكَ، مُضِيَّتَيْنِ، مُتَوَهَّجَتَيْنِ،

تَقَابِلَانِ بِعَيْنِي.. أَرَى ابْتِسَامَتَكَ

تُحَدِّثُنِي وَحْدِي:

صَدِيقِي، يَا أَعَزَّ الْأَصْدِقَاءِ..

إِنِّي أُحِبُّ.. إِنِّي لَكَ.. مَلِكُ.



## يَزْدَادُ الْحُطَامُ الْمُحَلَّقُ...

يَزْدَادُ الْحُطَامُ الْمُحَلَّقُ لِلْغُيُومِ شَفَافِيَةً فِي الْبَعِيدِ.

أَهْ يَا نَجْمَةَ الْأَسَى اللَّامِعَةَ، يَا نَجْمَةَ الْمَسَاءِ!

لَقَدْ لَمَسْتَ إِشْعَاعَاتِكَ السُّهُولَ الْخَرِيفِيَّةَ لِتُلَوِّنَهَا بِالْفِضَّةِ،

وَالْقِمَمَ السُّودَاءَ لِلصُّخُورِ، وَالنَّهْرَ الْحَالِمِ.

إِنِّي أَحِبُّ وَمِيضَكَ الْوَاهِنِ فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ.

فَهُوَ يَسْتَثِيرُ الْأَفْكَارَ الَّتِي نَامَتْ طَوِيلًا لِتَصْحُوَ وَتَتَحَرَّكَ،

عِنْدَمَا أَتَذَكَّرُ شُرُوقِكَ، أَيَّتَهَا النَّجْمَةُ الرَّفِيقَةَ،

فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ الْأَمْنَةِ، مُحْتَوِيًا كُلَّ الْمَبَاهِجِ،

حَيْثُ تَنْمُو شَجَرَةُ الْحُورِ النَّحِيلَةُ فِي الْوَادِي،  
حَيْثُ تَنْعَسُ شَجَرَةُ الْأَسْرِ الرَّقِيقَةُ وَالسَّرْوُ الْمُعْتَمَةُ،  
وَبُوهَنٍ تَتْرَامَى الْبِحَارُ الشَّمَالِيَّةُ.  
هُنَاكَ تَجَوَّلتُ ذَاتَ مَرَّةٍ، مُتَأَمِّلًا بِاسْتِرْخَاءٍ،  
عَالِيًا فِي الْجِبَالِ، بَعِيدًا فَوْقَ الْبَحْرِ.  
إِلَى أَنْ جَاءَتْ - عِنْدَمَا فَاضَ الْفَسْقُ عَلَى الْوَادِي وَالْمَرْجِ -  
عِذْرَاءٌ تَبَحَّتْ عَنْكَ خِلَالَ الظَّلَامِ،  
وَأَخْبَرَتْ أَصْدِقَاءَهَا الْحَمِيمِينَ كَيْفَ أَنْتَ تَحْمِلِينَ اسْمَهَا.

## العاصفة

مَنْ رَأَى الْفِتَاةَ عَلَى الصَّخْرَةِ -  
مَلْفُوفَةً بِالْبَيَاضِ - وَحَوْلَهَا الْأَمْوَاجُ،  
عِنْدَمَا كَانَ الْبَحْرُ سَجِينًا فِي الظَّلَامِ الْعَاصِفِ،  
يَلْعَبُ مَعَ الْأَرْضِ؟

عِنْدَمَا كَانَتْ تُضَاءُ كُلَّ لَحْظَةٍ  
بِأَنْوَارِ قُرْمُزِيَّةٍ فِي قَعْقَعَةِ الرَّعْدِ،  
وَكَانَتْ الرِّيحُ تَسْتَلِبُهَا وَتَنْطَلِقُ

فِي طَيْرَانَ مَجْنُونٍ بِمِعْطَفِهَا الْأَبْيَضِ؟

الْبَحْرُ جَمِيلٌ، عِنْدَمَا تَكُونُ الصُّخُورُ،  
وَالسَّمَاوَاتُ - ذَاتِ الْوَمِيضِ، خَالِيَةً مِنَ الزُّرْقَةِ؛  
لَكِنِ، يَا إِلَهِي! فَالْفَتَاةُ عَلَى الصَّخْرَةِ  
كَانَتْ أَجْمَلَ مِنَ الطَّبِيعَةِ!

## هُوَ الْوَقْتُ ...

هُوَ الْوَقْتُ، يَا صَدِيقِي، هُوَ الْوَقْتُ! فَالْقَلْبُ يَهْفُو إِلَى السَّلَامِ:  
يَنْسَابُ الْيَوْمُ بَعْدَ الْيَوْمِ- وَسَيَلُ السَّاعَاتُ الْمُنْسَابَ  
يُفْتَتُّ شَوَاطِئُ الْوُجُودِ- وَكِلَانَا، أَنْتَ وَأَنَا،  
كَانَ يَنْتَوِي أَنْ يَعِيشَ، وَلَكِنْ، انظُرْ، هَا نَحْنُ نَمُوتُ.

وَرَعْمَ أَنَّ الْفَرَحَ يَهْرُبُ أَبَدًا، فَالسَّلَامُ يَبْقَى وَالْاِحْتِشَادُ.  
وَمُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ كَانَ عَزَائِي،  
كَعَبْدٍ يُعَانِي، أَنْ أَخْطَطَ لِلْهُرُوبِ  
إِلَى مَلَأْدٍ نَاءٍ لِلْعَمَلِ وَالْبَهْجَةِ الْبَرِيئَةِ.

# الفارس البرونزي

إحدى حكايات سانت بطرسبرج

تقديم

تستند الواقعة الموصوفة هنا على الواقع، والتفاصيل المتعلقة  
بالفيضان مستمدة من مطبوعات معاصرة. ويمكن - لمن يريد -  
المقارنة بينها وبين الوصف الذي تركه ف. ن. بيرغ.

افتتاحية

حَيْثُ حَاوَلْتَ الْمِيَاهُ الْمَعْرُوزَةَ، مُكَافِحَةً،

الْوُصُولَ إِلَى الْبَحْرِ، تَوَقَّفَ هُوَ

غَرِيْقًا فِي التَّفْكِيرِ، وَحَدَّقَ فِي الْأَمَامِ.

انْدَفَعَ النَّهْرُ كُلَّهُ بِقُوَّةٍ إِلَى الْوَرَاءِ.

وَسَطَ التِّيَّارِ، تَقَافَزَتْ وَارْتَعَشَتْ  
فِشْرَةً مِنْ لِحَاءِ الشَّجَرِ عَلَى الْأَمْوَاجِ.  
وَهُنَا وَهُنَاكَ، عَلَى الشَّوْاطِئِ السَّبْخِيَّةِ وَالطُّحْلِبِ النَّامِي،  
وَكُوخٌ يَلُوحُ مَعْتَمًا، مُخْلَخَلًا، مُتَدَاعِيًا،  
- هُوَ مَسْكَنٌ "فِينِيس" الْبَائِسِ-  
احْتَجَبَ ضَوْؤُ الشَّمْسِ الْمُتَوَهِّجُ فِي الضَّبَابِ اللَّبْنِي  
سَاقِطًا عَنِ الْغَابَاتِ الْكَثِيفَةِ،  
وَشُعَاعُهُ الْوَاهِي لَا يَخْتَرِقُ عَتَمَاتِهَا أَبَدًا.

وَتَأْمَلْ: هَا هُوَ السُّوَيْدِيُّ الْمُتَغَطَّرِسُ  
الَّذِي سَنَكَّبَحُهُ وَتُوقِفُهُ عِنْدَ الْخَلِيجِ  
وَهُنَا، لِنَغِيظِهِ، سَنُؤَسِّسُ مَدِينَةَ.  
وَكَمَا تَأْمُرُ الطَّبِيعَةُ يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ:  
هَآ هِيَ نَافِذَةٌ سَنَعْبُرُهَا إِلَى أُورُوبَا،  
مَعَ مَكَاسِبِ قَاعِدَةِ الْانْطِلَاقِ عَلَى هَذَا السَّاحِلِ،  
وَالسُّفُنِ الَّتِي سَنُحْيِيهَا مِنْ كُلِّ جَنْسِيَّةٍ،  
وَبِحُرِّيَّةٍ نُبْحِرُ عَبْرَ هَذِهِ الْبِحَارِ،

وَلَنْ نَكْبَحَ أَنْفُسَنَا مِنْ جَدِيدٍ.

قَرْنٌ مَرٌّ، وَهُنَاكَ انْتَصَبَتْ

مِنْ خِيَلَاءٍ وَفِتْنَةِ الْأَرَاضِي الشَّمَالِيَّةِ،

مَدِينَةٌ فِتْيَةٌ، فَاتِنَةٌ، مُتَأَلِّمَةٌ،

تَخْتَرِقُ ظِلَامَ الْوَحْلِ وَالْغَابَةِ.

وَحَيْثُ أَتَى "فِينِيس" الصِّيَّادِ،

ابْنُ الْحِظِّ الْبَائِسِ الْمَنْبُودِ،

مُتَطَفِّلاً عَلَى السُّكُونِ،

لِيَرْمِيَ بِشَبْكَتِهِ الْبَالِيَّةِ، الْمُرْتَقَّةِ مِرَاراً،

إِلَى الْمِيَاهِ السَّاجِيَةِ الْغَامِضَةِ،

تَتَبَّقُ هُنَاكَ الْآنَ أَبْرَاجٌ وَقُصُورٌ هَائِلَةٌ،

مَتَاهَةٌ مِنَ الْأَشْرَعَةِ وَقِمَمِ الصَّوَارِي تَزْحَمُ الْمِيْنَاءُ؛

هُنَا تَرَسُو سَفُنٌ كُلُّ الْمَوَانِي

إِلَى هَذِهِ الشَّوَاطِئِ التَّرِيَّةِ الْمَكْتَنَّةِ بِالْبَشَرِ؛

يَسَابُ "النِّيْفَا" الْوَاسِعِ الْمَهِيْبِ الْهُوَيْنِي، مُكْتَسِباً بِالْجِرَانِيْتِ،

لِيَشُقَّ طَرِيْقَهُ أَسْفَلَ قَنَاطِرِ رَشِيْقَةٍ،



الْحَدَائِقُ تُغَطِّي الْجُزُرَ الْمَعزُولَةَ الَّتِي تُبْرِقِشُ النَّهْرَ،  
وَسَطْحُهُ الزُّجَاجِيُّ رَمَادِيٌّ وَسَاكِنٌ.  
وَتَحْبُو مُوسِكُو الْقَدِيمَةِ بِجَانِبِ غَرِيمَتِهَا.  
عَجُوزًا مَهِيْبَةً، أَقَلَّ بِهَاءً،  
اِحْتَجَبَتْ أَضْوَاؤُهَا بِالْوَاوِئِدِ الْجَدِيدِ  
الَّذِي اعْتَلَى الْعَرْشَ، فِي الثُّوبِ الْأَرْجَوَانِيِّ.

إِنِّي أُحِبُّكَ، يَا إِبدَاعَ بَطْرُسِ المَهيبِ،  
جَلَالَ خَطِّكَ السَّامِيِّ،  
وَالنِّيْقَا" الْمَلَكِيُّ يُتَقَدَّمُ، صَبُورًا،  
خِلَالَ الْجُدْرَانِ الْمُتَجَهِّمَةِ لِكُتْلِ الصُّخُورِ،  
الزَّخْرَفَةِ الْحَدِيدِيَّةِ لِأَسِيْجَتِكَ،  
أُمْسِيَاتِكَ الْحَزِينَةَ، بِلَا قَمَرٍ، الصَّقِيْلَةَ  
الْمُرْتَدِيَّةَ ثُوبِ الْعَسَقِ، لَكِنَّهَا شَفَافَةٌ  
كَثِيرًا مَا يَتَصَادَفُ  
أَنْ أَكْتُبَ أَوْ أَجْلِسَ مُتَمَعِّنًا فِي كِتَابٍ  
- فِي غُرْفَتِي بِلَا ضَوْءٍ -

فِيمَا تَسْتَلْقَى الشَّوَارِعُ نَاعِسَةً، مُضَاءَةً،  
 وَرَاءَ كُتْلٍ ضَخْمَةٍ، خَاوِيَةٍ...  
 وَعَالِيَا، فِي مُوَاجَهَةِ السَّمَاءِ،  
 يَرْتَسِمُ بِوُضُوحٍ بُرْجُ الْأَدْمِيرَالِيَّةِ...  
 الظَّلَامُ يَنْدَفِعُ بَعِيدًا عَنِ السَّمَاءِ،  
 يُسْرِعُ الشَّفَقُ لِیُرْحَبَ بِالشَّفَقِ،  
 مَانِحًا الْمَسَاءَ بِالْكَادِ نِصْفَ سَاعَةٍ..  
 أَحِبُّ شِتَاءَكَ الْعَفِيفَ الصَّارِمِ  
 بِهِوَاتِهِ الْمُنْعِشِ السَّاكِنِ  
 بِاللَّذَعَةِ وَالْقَرِصَةِ الشَّهْوَانِيَّةِ لِلصَّقِيعِ،  
 سِبَاقِ الْمَطَارِقِ عَلَى شَوَاطِئِ "النِّيْفَا"،  
 تَوَرَّدَ الْخُدُودِ الشَّابَّةِ الْمَشْرِقَةِ،  
 تَأَلَّقَ وَصَخَبَ قَاعَةَ الرَّقْصِ،  
 وَالتَّقْبِيلِ وَوَمِيضِ الشَّمْبَانِيَا الْمُتَلَجَّةِ،  
 عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْفِتْيَانِ،



أَوْ عِنْدَمَا يُحَطِّمُ "النِّيِقَا" بِجُرْأَةٍ

قُبُودِهِ الزَّرْقَاءَ الشَّاحِبَةَ،

وَبَعِيدًا إِلَى الْبَحْرِ

يَنْدَفِعُ مُتَهَلِّلًا التَّلْجُ الْمُهْشِمَ.

فَلتَتَنصَّبِي، يَا قَلْعَةَ بَطْرُسْ،

كَمَا رُوسِيَا ثَابِتَةً وَرَاسِحَةً،

وَلَا تَدْعِي الْعَنَاصِرَ تَتَمَرَّدُ مِنْ جَدِيدٍ، بَلْ تَخْضَعُ؛

فَلتَقْمَعِي خَوْفَكَ، يَا أَمْوَاجَ "فِينِيس"، وَاقْهَرِيهِ،

وَلَعَلَّ عَدَاءَ الْمَوْلُودِ الْقَدِيمِ

يَذُوبُ الْآنَ وَأَبَدًا،

وَيَتْرِكُ نَوْمَ بَطْرُسْ هَادِتًا...!

حَيًّا - نَحْتَفِظُ فِي ذِكْرِيَاتِنَا

بِزَمَنِ حَزِينٍ وَمُظْلِمٍ وَمُمِيتٍ لِلْغَايَةِ...

وَلِهَذَا، فَأَنَا أَبْدَأُ حِكَايَتِي بِالرُّعْبِ،

لأنَّ المَوْجَ لأبَدٍ أَنْ يَكُونَ مُوجِعًا،

أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ الأَعْرَاءُ، وَحَزِينًا.

## الجزء الأول

لُجِيَّةً بِأَنْفَاسِ نُوفَمِيرِ القَارِسِ،

تَسْتَلْقِي المَدِينَةَ كَثِيبَةً وَمُوحِشَةً..

وَتَتَدَفَعُ بِوَحْشِيَّةٍ إِلَى الشَّوَاطِئِ الجَرَانِيَّةِ

أَمْوَاجُ المَقْدَمَةِ لِلنِّيْظَا القَلِقِ

مَعَ صَخْبِهِ المُتَرَدِّدِ كُلَّمَا تَمَلَّمَلْ بِعَصَبِيَّةٍ

وَتَقَلَّبَ كَالْمَحْمُومِ فِي الفِرَاشِ.

كَانَ الوَقْتُ مُتَأَخَّرًا:

الظَّلَامُ؛ وَالمَطَرُ يَضْرِبُ الجَانِبَ فِي غَضَبٍ؛

وَالرِّيَّاحُ تَعْوَى حَزِينَةً بِلَا انْقِطَاعٍ...

كَانَ الشَّابُّ يَفْجِينِي قَدْ عَادَ إِلَى البَيْتِ

مِنْ إِحْدَى الحَفَلَاتِ.

سَوْفَ نَدْعُو بَطْلَنَا بِهَذَا الْإِسْمِ .  
وَهُوَ اسْمٌ مَبْهِجٌ وَيُنَاسِبُهُ تَمَامًا ،  
وَكَانَ صَدِيقًا لِقَلَمِي سِنَوَاتٍ طَوِيلَةً .  
وَلَنْ نَحْتَاجَ أَبَدًا إِلَى لِقَابٍ :  
فَيُفَجِّئُنَا يُمَكِّنُهُ الْاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ .  
وَرَغِمَ أَنْ الْمَاضِي  
رُبَّمَا كَانَ قَدْ تَأَلَّقَ وَتَوَافَقَ  
كَمَكَانٍ خَصِيبٍ فِي التُّرَاثِ الرَّوسِيِّ ،  
وَرَغِمَ أَنْ "كَارَامَزِين" كَانَ قَدْ سَجَّلَ شَهْرَتَهُ  
الَّتِي لَا تُذَكَّرُ هَذِهِ الْأَيَّامَ  
وَالَّتِي نَسِيَهَا الْعَالَمُ كُلُّهُ ..  
تَجَنَّبَ بَطْلَنَا الْأَرَسْتُقْرَاطِيَّةَ ،  
وَهُوَ يَعِيشُ فِي "كُولُومَنَّا" ، كَاتِبًا ،  
بِلَا مَبَالَاةٍ - مُتَحَرِّرًا مِنَ الطُّمُوحِ الْمُخْتَالِ -  
بِأَسْلَافِهِ اللَّامِعِينَ .

وَهَكَذَا، فَذَاتَ مَرَّةٍ فِي بَيْتِهِ،  
 نَفَضَ يَفْجِينِي مِعْطَفَهُ الْمُبَلَّلَ بِالْمَطَرِ،  
 خَلَعَهُ وَأَوَى إِلَى الْفِرَاشِ  
 حَاوَلَ جُهْدَهُ أَنْ يَنَامَ، لَكِنَّهُ فَشَلَ:  
 مَلَأَتْ عَقْلَهُ أَفْكَارٌ كَثِيرَةٌ لِلْعَايَةِ.  
 أَنَّهُ فَقِيرٌ، وَاسْتَفْرَقَ فِي ذَلِكَ؛  
 أَنَّ الْحُصُولَ عَلَى وَظِيفَةٍ أَمْرٌ شَاقٌّ؛  
 أَنَّ إِمْكَانِيَّاتِ تَقَدُّمِهِ وَمَعِيشَتِهِ مَحْكُومَةٌ بِجُهُودِهِ  
 أَنَّ الثَّرْوَةَ وَالذِّكَاةَ وَهَبَاتِ اللَّهِ الْمِمَاتِلَةَ  
 هُوَ خَالَ مِنْهَا؛  
 وَأَنَّ التَّوَسُّلَ بِالْحِظِّ هُوَ الْأَقْلُ جَدَارَةٌ وَجَدْوَى؛  
 أَنَّهُ الْآنَ يَعْمَلُ كَاتِبَ دِيْوَانِ لِعَامِيْنَ كَامِلِيْنَ تَقْرِيْبًا؛  
 وَأَنَّ الطَّقْسَ - انظُرِ الْآنَ -  
 يَتَحَوَّلُ كُلُّهُ إِلَى شَيْءٍ بَغِيضٍ؛  
 وَأَنَّ مُسْتَوَى النَّهْرِ كُلَّمَا ارْتَفَعَ  
 ارْتَفَعَتْ فَوْقَهُ الْمَعَابِرُ،

وَذَلِكَ مَا يَعْنِي أَنَّهُ وَحَبِيبَتَهُ "بَارَاشًا"  
رُبَّمَا افْتَرَقَا لِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، وَرُبَّمَا أَكْثَرَ.

تَنْهَدُ، وَكَشَاعِرِ حَقِيقِيٍّ مُوهُوبٍ،

غَرِقَ فِي حُلْمٍ، تَارِكًا الْخِيَالَ يَطُوفُ:

"لِمَ لَا أَتَزَوَّجُ، وَيَكُونُ لِي بَيْتٌ، وَأُسْرَةٌ؟

فِي الْوَاقِعِ، أَنَا أَنْوِي ذَلِكَ لِكَلِينَا ..

فَلَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ سَيِّئَةً،

زَعَمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ فِي الْبِدَايَةِ شَاقَّةً-

فَأَنَا شَابٌ،

وَسَعِيدٌ أَنْ أَكْدَحَ بِإِلَاءِ رَاحَةٍ،

بِلَاءِ مَبَالَاةٍ بِمَا سِوَى ذَلِكَ ...

سَأَبْنِي لَنَا عُشًّا عُشًّا مُتَوَاضِعًا،

فِيهِ تَسْتَقِرُّ "بَارَاشًا".

وَفِي زَمَنِ كَافٍ، عَامٍ، فِي أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ،

حَالَمَا أَكُونُ قَدْ أَمَنْتُ عَمَلًا وَمَرْكَزًا اجْتِمَاعِيًّا،



سَوْفَ تَمْضِي تَرْبِيَةً وَتَنْشِئُ أَوْلَادِنَا مَعَهَا...

بِرُوحٍ تُهْدِي مِنْ عَوَاصِفِ الْحَيَاةِ

سُنُّهَجِرُ، وَنُدْفَنُ فِي نِهَائِهَا مَعًا

وَسَنُكُونُ بِجَانِبِ أَبْنَاءِ أَبْنَائِنَا...

كُذِّبَكَ كَانَتْ أَفْكَارُهُ.

وَحَتَّى عِنْدَمَا كَانَ مُكْتَتِبًا،

وَتَمَنَّى لَوْ تَعُولُ الرِّيحُ بِدَرَجَةِ أَقَلِّ حُزْنِنَا،

حَتَّى لِيُثِيرُ سَمَاعَهَا الْأَسَى،

وَلَوْ أَنَّ الْمَطَرَ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ وَحَشَّةً، أَكْثَرَ مُتَابِرَةً..

نَامَ فِي النَّهْيَاةِ...

وَفِي الْخَارِجِ رَقَّ ضَبَابُ الْمَسَاءِ الْآنَ،

مُتَلَأْشِيًا عَلَى عَجَلٍ،

وَفَوْقَ الْمَدِينَةِ أَشْرَقَ يَوْمٌ شَاحِبٌ

يَوْمٌ مُرْعِبٌ!

فَطَوَالَ اللَّيْلَ

كَانَ النَّيْفَا الْمُتَجَمِّدُ يُهَاجِمُ الْعَاصِفَةَ بِجُنُونٍ،  
مُحَاوِلًا بِلَا جَدْوَى الْوُصُولَ إِلَى الْبَحْرِ،  
وَتُحْبِطُ مُحَاوَلَاتِهِ قُوَّةَ الْعَاصِفَةِ..

وَفِي الصَّبَاحِ

أَتَتْ الْحُشُودُ لِتَشْهَدَ الْقِيَابَ الْمُرْتَفِعَةَ لِلْأَمْوَاجِ،  
الَّتِي انْدَفَعَتْ بِعُنْفٍ - هَازِنَةٌ بِكُلِّ الْعَوَاقِقِ -  
إِلَى الشَّاطِئِ بِالرِّدَازِ وَالزَّيْدِ.  
وَمَحْجُوزًا عَنِ الْخَلِيجِ بِالرِّيَّاحِ،  
اسْتَدَارَ "النَّيْفَا" - مُغْتَاظًا - عَائِدًا، وَهُوَ يُزْمَجِرُ،  
بِغَضَبٍ وَحَشِيٍّ وَهُوَى كَسِيرٍ  
وَأَغْرَقَ الْجُزُرَ...

وَدَائِمًا مَا تَتَزَايِدُ ضَرَاوَةُ الْعَاصِفَةِ:  
اضْطَرَبَ النَّهْرُ مُهْتَاجًا، وَغَلَى،  
اسْتَشَاطَ غَضَبًا، وَعَلَا،

وَكَحْيَوَانٍ تَجْتَاحُهُ الرَّغْبَةُ فِي الْإِنْتِقَامِ،  
صَبَّ غَضَبَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ.

أَمَامَهُ هَرَبَ الْجَمِيعِ، وَخَلَّتِ الشُّوَارِعُ،  
ارْتَفَعَتِ الْقَنَوَاتُ عَالِيًا وَقَاضَتْ،

انْدَفَعَتْ سِيُولٌ مُتَلَاخِقَةٌ إِلَى الطَّوَابِقِ الْأَرْضِيَّةِ وَالْمَخَازِنِ  
وَجَرِيئَةٌ اقْتَحَمَتِ الْبُيُوتَ وَالْمَتَاجِرَ الَّتِي اجْتَا حُوهَا ..  
الْمَدِينَةَ، غَرِقَتْ حَتَّى الْخَصْرُ،  
كَمَا انْبَثَقَ "تَرِيْتُونَ" \* مِنْ الْأَمْوَاجِ.

يَا لِلْحِصَارِ! هُجُومٌ ضَارٍ! يَكْتَسِحُ مُنْدَفِعًا إِلَى الْأَمَامِ،  
انكسرت تقدم الأمواج

- كَمَا تَسْلُلُ اللَّصُوصِ عَبْرَ النَّوَافِذِ -

بِالْمَرَآكِبِ الَّتِي سَحَقَتْهَا الرِّيَّاحُ ...

وَحَيْثُمَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ الْعَيْنُ،

يَأْتِي طَافِيًا حَشْدٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ:

---

\* أحد آلهة البحر عند الأغرقيق، له جسم إنسان وذيل سمكة.

جُدُوعُ أَشْجَارٍ، أَحَدُ السُّقُوفِ، أَكْشَاكُ،  
بَضَائِعُ التُّجَّارِ الْمُقْتَصِدِينَ، مِعْبَرٌ وَأَثَائَاتُ،  
أَشْيَاءُ الْفُقَرَاءِ الثَّمِينَةِ،  
كُوْحٌ، أَكْفَانٌ مِنْ أَحَدِ الْقُبُورِ...  
مُبْتَلِينَ بِغَضَبِ اللَّهِ الْمُرُوعِ غَيْرِ الْمُنْتَظَرِ،  
يَنْتَظِرُ النَّاسُ الْمَوْتَ الْمَحْتُومَ!...  
لَا طَعَامَ، لَا مَأْوَى...  
قَدَرُهُمْ جَمِيعًا الْمَرَضُ وَالْمَوْتُ...  
وَالْقَيْصَرُ الرَّاحِلُ الْمُبْجَلُ،  
الْمُهَيْمِنُ أَنْتِذِ عَلَى صَوْلَجَانِ رُوسِيَا،  
كَانَ أَلَمُهُ عَظِيمًا حَتَّى أَنَّهُ،  
مُتَقَلِّبًا بِوِطْأَتِهِ، قَالَ:

"وَلَمْ يَنْجُ حَتَّى أَمِيرٌ وَاحِدٌ مِنْ غَضَبِ الرَّبِّ،  
لَأَنَّهُ أَعَزَلُ أَمَامَ الْعَنَاصِرِ..."  
وَوَاقِفًا فِي شُرْفَتِهِ،  
رَأَى بِعَيْنِ حَزِينَةٍ،  
الدَّمَارَ الْوَحْشِيَّ الرَّهِيْبَ الَّذِي جَرَى...

كَانَ الْمَيْدَانَ بُحَيْرَةً وَاحِدَةً وَاسِعَةً  
وَكَانَتْ الشَّوَارِعُ سَيُولًا فِي كُلِّ مَكَانٍ؛  
وَبِحَقْدٍ وَاضِحٍ انْدَفَعُوا تِجَاهَهُ  
كَمَا لَوْ لاصْطِيَادِ الْجَزِيرَةِ الْمَعزُولَةِ  
وَالَّتِي كَانَتْ.. الْقَصْر..

خَاطَبَ الْعَاهِلُ قَادَتَهُ الْبَوَاسِلِ،  
"اعْبُرُوا الشَّوَارِعَ الْغَرِيقَةَ قَبْلَ سَقُوطِهِمْ،  
ابْدَأُوا فِي الْحَالِ، مُتَحَدِّينَ السُّيُولِ،  
فِي انْقِاذِ الشَّعْبِ الْغَرِيقِ الْمَجْنُونِ بِالرُّعْبِ".

فِي مَيْدَانِ بَطْرُسَ، حَيْثُ بُنِيَ وَلَكِنْ مُؤَخَّرًا،  
انْتَصَبَ أَحَدُ الْقُصُورِ، أَكْثَرَ تَرَاءٍ وَفَخَامَةً،  
نَهَضَ بِجَانِبِ مَدْخَلِهِ أَسْدَانٌ هَائِلَانِ،  
مَخَالِبُهُمَا مَرْفُوعَةٌ، كَمَا لَوْ أَحْيَاءُ،  
وَيَفْجِينِي الَّذِي انْجَرَفَ بِطَرِيقَةٍ مَا  
إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الْقَرِيبِ الرَّائِعِ،  
وَالَّذِي كَانَ خَلُوعًا مِنَ الْكِرَاهِيَةِ،

جَلَسَ جَامِداً - عَلَى وَجْهِ لَوْنِ الْمَوْتِ -  
 مُنْفَرَجِ السَّاقَيْنِ فَوْقَ الْحَيَوَانَ الرَّخَامِيِّ ..  
 ثُمَّ يَلْحَظُ اسْتِهْتَارَ الْأَمْوَاجِ الْغَاضِبَةِ  
 الَّتِي تَلَاطَمَتْ فِي الْأَسْفَلِ،  
 كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا تَشَبُّهُ إِلَى أَعْلَى  
 وَشَرِهَةً، جَائِعَةً، تَلْعَقُ قَدَمَيْهِ،  
 لَا وَلَمْ يَسْمَعْ الرِّيحَ الْعَاوِيَةَ  
 الَّتِي رَمَتْ فِي انْحِرَافِهَا بِقُبُعَتِهِ بَعِيداً  
 وَلَا أَحْسَبُ بِالْمَطَرِ يَنْهَمِرُ عَلَى وَجْهِهِ ...  
 يَأْسِئاً، حَمَلَقَ أَمَامَهُ حَيْثُ ارْتِفَاعُ الْجِبَالِ.  
 تَعَالَتْ كُتْلُ الْمَوْجِ الرَّهِيْبَةِ،  
 جَارِفَةً فِي طَرِيقِهَا الْكُلَّ،  
 حَيْثُ تَطْفُو بَقَايَا حُطَامِ سَفِينَةٍ غَرِيْقَةٍ،  
 مُبَعَثَرَةً بِفِعْلِ الْعَاصِفَةِ ...  
 لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ سَلَامَتَهُ هُوَ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مَلْحُوظًا،  
 فَقَدْ خَشِيَ يَشْجِينُنَا مِنْ - كَلَاءً

بَعِيداً عَن ...

وَهُنَاكَ عِنْدَ الْخَلِيجِ

انْتَصَبَ كُوخٌ فِي ظِلِّ الصَّفْصَافِ،

مَكَانٌ ضَيِّقٌ، خَلْفَ سِيَاجٍ مُلْتَوٍ بَاهِتٍ،

فِيهِ عَاشَتْ حَبِيبَتُهُ "بَارَاشَا" وَأُمُّهَا الْأَرْمَلَةُ

وَحِيدَتَيْنِ مَعًا ...

آه، يَا إِلَهِي! أَكَانَ ذَلِكَ حُلْمًا

أَمْ أَنَّ حَيَاتِنَا كَانَتْ دُعَابَةً أُخْرَى مِنْ دُعَابَاتِ السَّمَاءِ

وَالْإِنْسَانَ مَنْ يَدْفَعُ التَّمَنُّ،

أَكَانَتْ وَهْمًا، عَدَمًا؟ ...

كَإِنْسَانٍ مَسْحُورٍ مُكْبَلٍ،

كَكَائِنٍ ضَائِعٍ فِي الْعَالَمِ، يَجْلِسُ هُنَاكَ،

لَا يَرَى شَيْئًا، غَيْرَ الْمِيَاهِ الْمُحِيطَةِ بِهِ،

وَلَا قُوَّةَ لَدَيْهِ حَتَّى لِيَتَحَرَّكَ أَوْ يَقِفَ!

وَعَالِيًا فَوْقَهُ - لَمْ يَرَهَبِ الْجَمِيعَ

مَعَ السُّيُولِ الْمُزِيدَةِ وَالشَّوْاطِئِ الْمَغْمُورَةِ

وَأَصَمَّ إِلَى زَيْبِرِ الْعَاصِفَةِ النَّائِرِ-

اعْتَلَى التَّمْثَالُ بِذِرَاعٍ مَفْرُودَةٍ،

حِصَانًا بَرُونِزِيًّا يُحَلِّقُ فِي مَهَابَةٍ.

## الجزء الثاني

أخيراً، مع دمارٍ وحشيٍّ كاملٍ

ومرهقاً بهذا العنفِ البالغِ،

وبعدَ أنْ خمدَ الآنَ عطشُهُ ورُعبُهُ،

لم يتردد "النّيِّقاً" مرّةً أخرى

ولكن بتجاهلٍ عمديٍّ

فرّاً، مبعثراً غنائمه.

وهكذا، ربّما اقتحمَ قاطعُ طريقٍ يحملُ وشاحَ القانونِ

وسفّاحونَ ولُصوصٌ إحدى القرى،

يسلبونَ وينهبونَ فيها

يصيحونَ ويلعنونَ ويحطّمونَ ويطلقونَ النارَ



لِيَفِرُوا فِي النَّهَائِيَةِ مُنْهَكِينَ، وَتَقْرِيْبًا مَهْزُومِينَ،  
وَقَدْ تَضَاءَلَتْ ثِقَتُهُمْ بِالْخَوْفِ مِنَ الْأَسْرِ،  
تَارِكِينَ خَلْفَهُمُ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنْ غَنِيْمَتِهِمْ...  
انْخَفَضَ الْمَاءَ، وَعِنْدَمَا لَاحَظَ ذَلِكَ،  
أَسْرَعَ يَفْجِينِي، بِأَقْصَى سُرْعَةٍ،  
قَادَهُ الْمَنْظَرُ الَّذِي رَأَاهُ لِلنُّوْ،  
وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يُصَدِّقَهُ تَمَامًا،  
بِالْأَلْمِ وَالْأَمَلِ،  
إِلَى حَيْثُ لَا يَزَالُ النَّهْرُ فِي مَرْقَدِهِ  
مُهْتَاجًا، مُخْتَالًا بِالنَّصْرِ،  
وَضَرَاوَتُهُ الْغَاضِبَةُ لَمْ تَهْدَأْ،  
كَمَا لَوْ كَانَ يَتَغَدَّى بِبِيرَانٍ كَامِنَةٍ،  
لَا يَزَالُ يَحْتَرِقُ، يَتَقَاذَفُ، يُعْوَلُ، يَصْخَبُ،  
لَا يَزَالُ يُرْغَى  
كَمُقَاتِلٍ فَرًّا مُؤَخَّرًا لِأَهْنَأُ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ..

\* الكوبك: عملة روسية، تساوي واحدًا من مائة من الروبل.

يَلْمَحُ يُفْجِنِي الْآنَ زَوْرَقًا صَغِيرًا،  
وَيُسْرِعُ- لِنِدَاءِ صَاحِبِ الزُّورَقِ- إِلَى حَيْثُ رَسَا.  
عَشْرَةُ كُوبِكَاتٍ تَكْفِي\*:

وَإِذْ يُوَافِقُ عَلَيَّ نَقْلُهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ،  
يَتَوَلَّى الرَّجُلُ الْمَهْمَةَ بِجِدِّيَّةٍ،  
وَهُوَ لَيْسَ وَحْدَهُ كَيَ يَفْقِدَ أَعْصَابَهُ بِسُهُولَةٍ.

كَثِيرًا مَا سَلَكَ الْمَرَآكِبِيُّ الْخَبِيرُ  
هَذَا الطَّرِيقَ الْخَطِرَ، وَاسْتَخْدَمَ مَجَادِيفَهُ،  
وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ الْأَمْوَاجُ عَلَيَّ وَشَكَّ ابْتِلَاعَ الزُّورَقِ  
وَهُوَ يَنْدَفِعُ بِقُوَّةٍ إِلَى صَدْعٍ بَيْنَ قِمَّتَيْنِ،  
قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الشَّاطِئِ.

فِي رُعبٍ وَهَلَعٍ

حَدَقَ يُفْجِنِي حَوَالِيهِ،

لَأَنَّ هَذِهِ الشُّوَارِعَ الَّتِي عَرَفَهَا جَيِّدًا  
تَحْمِلُ الْآنَ وَجْهًا غَيْرَ مَأْلُوفٍ...

• ما الخَطِيئَةُ؟ ...

• الدَّمَارُ يُلْفُ كُلَّ شَيْءٍ:

بعضُ البيوتِ سُويَ بِالأرضِ،

البعضُ تَمَائِلَ، وَقَدْ تَحَطَّمتْ أَبوابُه ونَوَافِذُه،

البعضُ انْتَقَلَ مِنْ مَكَانِه،

وَأرْتَمَى مُبَعَثَرًا فِي مَكَانٍ قَرِيبِ،

القتلى، كَمَا فِي أرضِ مَعْرَكَةٍ ...

شِبَهَ مَذْهُوولٍ، جَرَى يَفْجِينِي إِلَى الأمامِ-

بَدَتِ الشَّوَارِعُ الَّتِي عَبَرَهَا مُعْتَمَةً،

خَالِيَةً مِنْ الكُلِّ عَدَا عَذَابِه-

إِلَى حَيْثُ يَنْتَظِرُ القَدْرُ ضَارِيًا،

كَمَا بِرِسَالَةٍ ظَلَّتْ مُغْلَقَةً حَتَّى يَفْضَحَهَا هُوَ،

مَعَ أَخْبَارٍ كَانِ الأفضَلُ كِتْمَانُهَا ...

هُنَا الآنَ كَانَتْ ضَاحِيَةُ المَدِينَةِ.

بِأَنْفَاسٍ لِأَهْتَةٍ تَوَقَّفَ لِيرَى،

وَمَفْتُوحًا لِلرُّؤْيَا، اِمْتَدَّ الْخَلِيْجُ رَمَادِيًا مُنْعَزِلًا.

بَيْتَهَا، كَمَا يَعْلَمُ، كَانَ يَقُومُ بِجَوَارِهِ...

فَقَطَّ أَيْنَ كَانَ؟ أَيْنَ...

تَحَرَّكَ مُبْتَعِدًا،

وَعَادَ مُتَعَثِّرًا فِي فَرْعٍ شَدِيدٍ.

كَانَ هَذَا هُوَ الْمَكَانَ،

تَمَّوْ صَفْصَافَةً فِي الْمَوْضِعِ الْمُجَاوِرِ...

هَلْ انْجَرَفَ الْبَيْتُ وَالسِّيَّاحُ بَعِيدًا بِفِعْلِ الْفَيْضَانِ؟..

سَارَ بِخُطَوَاتٍ مُتَبَاطِئَةٍ فِي الْمَكَانِ الْمُحِيطِ..

وَتَمَزَّقَتْ الْكَلِمَاتُ الْوَحْشِيَّةُ الَّتِي أُصْدَرَهَا

فِي تَشْنُجَاتٍ، وَنَوْبَاتٍ ضَحِكٍ مُتَّالِيَةٍ..

مَا بَعْدَ ذَلِكَ، كَانَ وَقْتًا جَمِيْلًا

كَعِطَاءٍ مِنْ ضَبَابِ الْمَسَاءِ يَهْوِي عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُتَعَبَةِ.

لَمْ يَنْمَ مِنْ سُكَّانِهَا أَحَدٌ، مَعَ ذَلِكَ.

وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، حَاوَلُوا بِالْحَدِيثِ

ان يَهْدُوا قُلُوبَهُمْ، وَهُمْ يُنَاقِشُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَاصِفِ  
 وَهَلْدَمَا أَتَتْ مُنْسَلَّةً أَشِعَّةُ الصَّبَاحِ الْمَشْرِقِ  
 هَارِجَةً مِنَ السُّحْبِ الشَّاحِبَةِ،  
 لَمْ تَجِدْ مِنَ الدَّمَارِ سِوَى أَنْثَرِ ضَيْئِلِ،  
 وَارِدِيَّةِ الْفَجْرِ الْقُرْمُزِيَّةِ تَكْشِفُ خَرَابَ الْأَمْسِ.  
 اسْتُونَفَتِ الْحَيَاةَ،  
 وَعَادَتْ إِلَى طَرِيقِهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي سَلَامِ.  
 أَسْرَعَ شَعَبُ الْمَدِينَةِ،  
 فِي لَامُبَالَاةٍ وَلَا اكْتِرَاتٍ كَمَا مِنْ قَبْلِ،  
 إِلَى النُّزُولِ فِي الشُّوَارِعِ.  
 وَفِي سَاعَةٍ مُبَكَّرَةٍ،  
 كَانَ الْبَاعَةَ الْجَائِلُونَ وَكَتَبَةُ الدَّوَاوِينَ مُهْتَاجِينَ.  
 الْأَوَائِلِ، مُهَذَّبِينَ وَإِنْ كَانُوا حَازِمِينَ،  
 لِيَفْتَحُوا الْمَخَازِنَ الَّتِي نَهَبَهَا "النِّيْقَا" وَبَدَّدَهَا تَمَامًا.  
 وَأَسْرَعُوا لِيُعَوِّضُوا خَسَائِرَهَا

عَلَى حِسَابِ التُّجَّارِ.

وَكَانَ خُوسْتُوفَ،

وَهُوَ كُونَتُ وَشَاعِرٌ مَدَّاحٌ مَحْبُوبُ الْحُكَّامِ،

قَدْ شَرَعَ يُغْنَى قَصِيدَةَ خَالِدَةَ رِنَانَةَ

عَنِ الْمِحْنِ الَّتِي عَانَتْهَا مَدِينَةُ بَطْرُسَ.

أَمَّا يَحْجِينِي الْبَائِسُ - مَا أَكْثَرَ مَا يَدْعُو إِلَى الرِّثَاءِ -

فَقَدْ اسْتَسَلَّمَ عَقْلُهُ الْمُشَوَّشُ - وَآسَفَاهُ -

لِلصَّدْمَةِ وَالْأَسَى.

وَطُورَالِ أَيَّامٍ، طَافَ الْمَدِينَةَ وَحِيدًا،

وَفِي أُذُنِهِ عَوِيلُ الرِّيَّاحِ وَصَخْبُ "النِّيِّقَا".

مُعَذِّبًا كَانَ بِخَوْفِ مَجْهُولٍ وَتَفْكِيرِ هَشِيمِ،

وَمُطَّارِدًا بِأَحْلَامٍ مُتَشَنَّجَةٍ.

أَسَابِيعُ أَتَتْ وَمَرَّتْ، شَهْرٌ،

وَضَلَّ يَطُوفُ الشُّوَارِعَ بِلَا هَدَفِ.

أَحَاطَتْهُ الْكَأَبَةُ وَطَوَّقَتْهُ.

لَمْ يَعدْ إِلَى شَقَّتِهِ مِنْ جَدِيدِ،

واجرهما إلى شاعرٍ شابٍ فقير  
 كما لم يفكر في استردادِ أشيائه أبداً  
 بل غبط نفسه على ما يرتدى.  
 وسرعان ما أصبح غريباً عن العالم كله.  
 تسكع في النهار،  
 ونام على الرصيف في الليل.  
 كان منظرًا يرثى له،  
 ملابسه أسماأل بالية،  
 ويأكل اللقيمات التي ترمى - شفقةً - إلى يديه.  
 وكما نتاج نكاحٍ شريرٍ، كان يرجم بالحجارة،  
 وكثيراً أيضاً ما كان يلسع بالسياط،  
 حين كان يعبرُ الشوارعِ بلا انتباهٍ للمركباتِ المارة،  
 غائباً عن كلِّ ما حوله، مذهولاً،  
 أصمَّ بفعلِ ألمه،  
 بل هارياً - بلا وعيٍ - منه ...  
 هكذا جرجر أيامه في شقاء،

لَيْسَ بِإِنْسَانٍ، وَلَا حَيَّوَانٍ، وَلَا شَبَّحٍ، بِصُورَةٍ حَقِيقِيَّةٍ،  
وَلَا حَتَّىٰ بِكَائِنٍ حَىٰ...

ذَاتَ يَوْمٍ

حِينَ أَخْلَى الصَّيْفُ الْمَاضِي مَكَانَهُ - فِي مَوْعِدِهِ - لِلْخَرِيفِ،

اسْتَلْقَى مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ عَلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ..

عَوَتْ وَأَنْتَحَبَّتْ أَمْوَاجُ "النِّيِّثَا" الرَّمَادِيَّةِ

وَهِيَ تُرَدِّدُ شَكْوَى مَا

وَفِي مُوَاجَهَةِ الْخُطُوَاتِ الَّتِي تَدُقُّ فِي غَضَبٍ

- كَمَنْ يُقَدِّمُ التِّمَاسُا عَلَى بَابِ قُضَاةٍ مُتَشَدِّدِينَ

تَجَاهَلُوا شَكْوَاهُ -

اسْتَيْقَظَ يَفْجِينِي

وَمُوحِشًا كَانَ الْمَنْظَرُ الْمُحِيطُ بِهِ:

مَطَرٌ مُرْهَقٌ يَسَاقُطُ قَطْرَاتٍ،

أَعْوَلَتْ رِيَّاحُ الْخَرِيفِ،



وَهَامَاتُ جَوَابًا عَلَيْهَا صِيحَةٌ الْحَارِسِ الْبَعِيدِ،  
وَهِيَ تَشْقُ الظَّلَامَ..

لَهْضَ عَلَى عَجَلٍ،

بِأَوْعَى أَيْنَ وَجَدَ نَفْسَهُ،

بَلْ وَعَقْلُهُ مُنْزَعَجٌ بِالْمَخَاوِفِ الْمَاضِيَةِ،

الَّتِي يَرَاهَا وَاضِحَةً...

تُرْتُجُ نَاهِضًا،

كُم تَوَقَّفَ، وَعَيْنَاهُ مُتَّشِحَتَانِ بِالرُّعْبِ،

وَقَدْ أَصْبَحَتْ مَلَامِحُهُ مُظْلِمَةً وَمُنْهَكَةً،

فَمَا رَأَاهُ تَرَكَّهُ ذَاهِلًا:

أَمَامَهُ هُنَاكَ انْتَصَبَ قَصْرٌ مَهِيْبٌ،

وَأَسْدَانٌ مِنْ حَجَرٍ يَشُدُّانِ الْاِنْتِيَاهَ

فَأَمَّا عَلَى شَرْفَتِهِ وَأَحَاطًا بِجَانِبِي الْبَوَابَةِ،

فِيْمَا فَوْقَ صَخْرَةٍ مُدْعَمًا بِالسَّلَاسِلِ،

حَلَّقَ التَّمَثَالُ الْمُخَيِّفُ بِاخْتِيَالٍ، فَارِدًا ذِرَاعَهُ،

عَلَى حِصَانٍ مِنْ بَرُونَزٍ.

ارْتَعَشَ يَفْجِينِي.

وَمِنْ جَدِيدِ سَمَرِهِ هُنَاكَ الْأَلَمُ الْقَدِيمُ السَّاحِقُ الْقَاسِي.

وَيَعْقِلُ صَافٍ رَأَى مِنْ جَدِيدِ

الْأَمْوَاجِ، ضَارِبَةً، تَتَدَفَعُ حَوْلَهُ

وَتَهْسُ وَتَزَارُ فِي حِقْدٍ.

تَعْرِفَ عَلَى الْمِيدَانِ، وَالْبَيْتِ، وَالْأَسْدَيْنِ،

وَعَلَى نَفْسِهِ وَقَدْ عَلَا- بِفِعْلِ الظَّلَامِ الْمُحِيطِ-

فَوْقَهُمْ جَمِيعًا مُتَحَرِّرًا وَمُسْتَقِلًّا،

إِنْسَانًا- حِينَمَا أذَعْنَ لِإِرَادَتِهِ الْقَدْرَ-

اكتَشَفَ الْمَدِينَةَ عَلَى الْبَحْرِ...

مُلْتَمًّا بِاللَّيْلِ، كَمْ هُوَ مُخِيفٌ!

إِلَى أَيِّ عُمُقٍ غَاصَ فِي الْخَيَالِ!

وَإِيَّةُ قُوَّةٍ رَهْبِيَّةٍ تَكْمُنُ فِيهِ!  
وَحِصَانُهُ، أَيَّةُ نَارٍ فِي عَيْنَيْهِ!  
إِلَى أَيْنَ تُحَلِّقُ فِي الصَّقِيحِ أَيُّهَا الْحِصَانُ  
وَإَيْنَ سَتُؤَمِّرُ بِالتَّوَقُّفِ؟  
وَهَكَذَا، أَيُّهَا الْعَاهِلُ الْعَظِيمُ  
يَا قُرْبَانَ الْقَدْرِ، وَسَيِّدَ اخْتِيَارِهِ،  
أَجَبَرْتَ رُوسِيَا، بِلِجَامِ حَدِيدِي،  
عَلَى أَنْ تَشَبَّ فَوْقَ الْهُوَّةِ!

حَوْلَ الْقَاعِدَةِ، اتَّخَذَ يَفْجِينِي الْبَائِسُ الْمَهْزُولُ،  
مُكْتَتِبًا - طَرِيقَهُ،  
وَنَظَرْتُهُ مُحَدِّقَةً فِيهِ،  
مَنْ امْتَلَكَ فِي هَيْمَنَةِ نِصْفِ الْعَالَمِ،  
وَيَحْكُمُهُ بِالرُّعْبِ.  
أَحَسَّ صَدْرُهُ بِالضِّيْقِ.

وَعَلَى حَاجِزٍ مِنَ الْقُضْبَانِ  
 ضَغَطَ وَجْهَهُ الْمُسْتَعِلِ،  
 لَكِنَّ دَمَهُ ظَلَّ يَحْتَرِقُ،  
 وَرَاحَ قَلْبُهُ يَرْكُضُ وَيَدُقُّ بِجُنُونٍ...  
 وَاهِنَ الْأَعْضَاءُ، وَحَشِيَ الْعَيْنَيْنِ،  
 أَطْبَقَتْ أَصَابِعُهُ عَلَى التَّمَالِ الْمَتَغَطِّسِ الْمَقِيَّتِ،  
 مُتَجَهِّمًا، وَهُوَ يُوَاجِهُهُ،  
 وَكَمَا إِنْسَانٍ جُنَّ، انْتَصَبَ مُرْتَعِشًا،  
 وَفِي صَوْتٍ مُرْتَجِفٍ مُتَكَسِّرٍ،  
 خَرَجَ وَاهِنًا مَعَ هَزَّةٍ غَضَبٍ بَالِغٍ:  
 "حَسَنًا، أَيُّهَا الْمُبْدِعُ الْأَعْظَمُ، حَسَنًا!  
 انْتَظِرْ فَحَسَبِ، وَشَاهِدِ!..."  
 كَانَ ذَلِكَ كُلُّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْطِقَ إِلَيْهِ بِهِ،  
 وَتَوَقَّفَ،  
 وَمَضْرُوبًا بِالرُّعْبِ، اسْتَدَارَ وَقَرَّ:

كَانَ الْقَيْصَرُ يَنْفَرُ عَلَيْهِ ...

لِلذَلِكَ النَّظْرَةِ الْمُحَدِّقَةِ الْحَانِقَةِ الَّتِي لَمْ تَتْرُكْهُ أَبَدًا،  
جَمَلْتَهُ يُسْرِعُ خُطَاهُ.

عَهَرَ الْمِيدَانَ الْخَالِي رَكْضَ يَفْجِينِي  
وَتَرَأَى لَهُ أَنَّهُ يَسْمَعُ قَصَفَاتِ رَعْدٍ هَائِلَةٍ  
مُتَزَايِدَةً قَوِيَّةً،

وَيُحْسِئُ بِأَرْضِ الشَّارِعِ تَرْتَجُ  
تَحْتَ حَوَافِرِ الْحِصَانِ الثَّقِيلَةِ.

وَهُنَاكَ، خَلْفَهُ، مَشْدُودَةٌ بِإِحْكَامٍ إِلَى الظَّلَامِ،  
بَانَتْ عَلَى أَشِعَّةِ الْقَمَرِ الشَّاحِبَةِ الْهَزِيلَةِ،  
يَدٌ ارْتَفَعَتْ فِي تَحْذِيرٍ،

لَقَدْ انْطَلَقَ الْفَارِسُ الْبَرُونزِيُّ الرَّهِيْبُ خِلَالَ اللَّيْلِ  
حَتَّى الصَّبَاحِ،

وَحَيْثُ شَدَّ يَفْجِينِي أَبَدًا خُطَوَاتِهِ، مَرْعُوبًا،  
وَتَجَوَّلَ أَبْكُمْ،

انْطَلَقَ الْفَارِسُ الْبَرُونزِيُّ الْمُتَرَجِّلُ فِي جُنُونٍ-

وَعَلَى حَاجِزٍ مِنَ الْقُضْبَانِ  
 ضَغَطَ وَجْهَهُ الْمُسْتَعِلِ،  
 لَكِنَّ دَمَهُ ظَلَّ يَحْتَرِقُ،  
 وَرَاحَ قَلْبُهُ يَرْكُضُ وَيَدُقُّ بِجُنُونٍ...  
 وَاهِنَ الْأَعْضَاءُ، وَحَشِيَ الْعَيْنَيْنِ،  
 أَطْبَقَتْ أَصَابِعُهُ عَلَى التَّمَالِ الْمُتَغَطِّسِ الْمَقِيَّتِ،  
 مُتَجَهِّمًا، وَهُوَ يُوَاجِهُهُ،  
 وَكَمَا إِنْسَانٍ جُنْ، انْتَصَبَ مُرْتَعِشًا،  
 وَفِي صَوْتٍ مُرْتَجِفٍ مُتَكَسِّرٍ،  
 خَرَجَ وَاهِنًا مَعَ هَزَّةٍ غَضَبٍ بَالِغٍ:  
 "حَسَنًا، أَيُّهَا الْمُبْدِعُ الْأَعْظَمُ، حَسَنًا!  
 انْتَظِرِ فَحَسَبِ، وَشَاهِدِ!..."  
 كَانَ ذَلِكَ كُلُّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْطِقَ إِلَيْهِ بِهِ،  
 وَتَوَقَّفَ،  
 وَمَضْرُوبًا بِالرُّعْبِ، اسْتَدَارَ وَفَرَ:

كَانَ الْقَيْصَرُ يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ ...

لِللَّكَ النَّظْرَةَ الْمُحَدِّقَةَ الْحَانِقَةَ الَّتِي لَمْ تَتْرُكْهُ أَبَدًا،  
جَمَلْتَهُ يُسْرِعُ خُطَاهُ.

عَهْرَ الْمَيْدَانِ الْخَالِي رَكُضَ يَفْجِينِي  
وَتَرَأَى لَهُ أَنَّهُ يَسْمَعُ قَصَفَاتِ رَعْدٍ هَائِلَةً  
مُتَزَايِدَةً قَوِيَّةً،

وَيُحْسُ بِأَرْضِ الشَّارِعِ تَرْتَجُ  
تَحْتَ حَوَافِرِ الْحِصَانِ الثَّقِيلَةِ.

وَهُنَاكَ، خَلْفَهُ، مَشْدُودَةٌ بِإِحْكَامٍ إِلَى الظَّلَامِ،  
بَانَتْ عَلَى أَشِعَّةِ الْقَمَرِ الشَّاحِبَةِ الْهَزِيلَةِ،  
يَدٌ ارْتَفَعَتْ فِي تَحْذِيرٍ،

لَقَدْ انْطَلَقَ الْفَارِسُ الْبَرُونزِيُّ الرَّهِيْبُ خِلَالَ اللَّيْلِ  
حَتَّى الصَّبَاحِ،

وَحَيْثُ شَدَّ يَفْجِينِي أَبَدًا خُطَوَاتِهِ، مَرْعُوبًا،  
وَتَجَوَّلَ أَبْكُمْ،

انْطَلَقَ الْفَارِسُ الْبَرُونزِيُّ الْمُتَرَجِّلُ فِي جُنُونٍ-

إِذْ دَهَمَهُ اللَّيْلُ - فِي مُطَارَدَةِ رَعْدِيَّةٍ.

وَمُذْ ذَاكَ، حِينَ كَانَ يَتَصَادَفُ

- غَيْرَ وَاعٍ أَبَدًا إِلَى أَيْنَ ذَهَبَ -

أَنْ يَعْبُرَ ذَلِكَ الْمِيدَانَ، مُشْتَتًا، مُتَزَايِدَ الْقَلْقِ،

كَانَ يَقِفُ هُنَاكَ، مُرَوِّعًا وَضَائِعًا،

وَتَضْفَعُ يَدُهُ عَلَى قَلْبِهِ بِسُرْعَةٍ،

لِتُسَكِّنَ الْأَلَمَ فِيهِ،

وَعَلَى وَجْهِهِ مَلَامِحُ الْمَرَضِ؛

ثُمَّ فِي فَرْعٍ يُحْرِكُ قُبْعَتَهُ، وَيَنْسَلُ بَعِيدًا،

لَأَلَمْ يَرْفَعَ بَصَرَهُ أَبَدًا ...

جَزِيرَةٌ مَهْجُورَةٌ تَسْتَلْقِي بَعِيدًا عَنِ الشَّاطِئِ.

فِي نِهَائَةِ الْيَوْمِ

قَدْ يَتَّخِذُ صَيَّادٌ مُتَأَخِّرٌ طَرِيقَهُ إِلَيْهَا فِي قَارِبِهِ،

وَصَامِتًا، يَطْهُو عَشَاءَهُ الْهَزِيلَ عَلَى الشَّاطِئِ



فِي غَسَقِ الْمَسَاءِ،

أَوْ يَخْتَارُهَا أَحَدُ الْكُتَبَةِ لِلنُّزْهَةِ يَوْمَ السَّبْتِ.

عَارِيَةٌ مِنَ الْأَشْجَارِ هِيَ الْجَزِيرَةُ،

لَا أَعْشَابَ تَتَبَرَّعُ فِي أَرْضِهَا.

أَتَى الْفَيْضَانَ بِكُؤُخٍ هُنَاكَ،

وَحَطَّ، مَعزُولاً، فَوْقَ الْمَاءِ

كَأَصْلِ شَجَرَةٍ شَائِهِ مُعْتِمٍ

حَتَّى الرَّبِيعِ، حِينَمَا يَنْسَاقُ بَعِيداً.

الْعَلَامَةُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي حَمَلَهَا مِنَ الْأَمْوَاجِ،

وَالَّتِي - عَلَى مَهَلٍ - صَنَعَتْ دَمَارَهُ وَقَنَاءَهُ..

بِجَانِبِهَا، اسْتَلْقَى رَجُلِي الْمَجْنُونُ، مَيِّتاً،

وَهُنَاكَ - طَيَّبَ اللَّهُ نَرَاهُ - دُفِنَ.

## الفجر

يَتَجَوَّلُ غَجْرٌ بِيَسَارًا يَبِئَا فِي حُشُودٍ صَاخِبَةٍ...  
وَعَلَى النَّهْرِ يُقِيمُونَ بِيُوتَهُمْ فِي خِيَامِ رَيْثَةٍ،  
بِأَحْثِينَ عَنِ غِطَاءٍ مِنْ نَسَائِمِ اللَّيْلِ الْبَارِدَةِ.  
فِي الْهَوَاءِ الطَّلِقِ نَوْمُهُمْ هَادِيٌّ؛  
كَمَا الْحُرِّيَّةُ إِقَامَتُهُمْ سَعِيدَةٌ...  
وَتَحْتَ حَمَائِلِ الْأَبْسِطَةِ الْمُدَلَّاةِ هُنَاكَ  
تَتَقَافَزُ شُعَلَاتُ نَارٍ مُتَوَهِّجَةٌ  
تَتَمَائِلُ ظِلَالُهَا وَتَلْعَقُ الْعَجَلَاتُ؛  
بِجَانِبِ الْوَهَجِ، تُعِدُّ أُسْرَةَ الطَّعَامِ،  
وَهِيَ مُجْتَمِعَةٌ لِلْعِشَاءِ؛

خَلْفَ الْخَيْمَةِ يَسْتَلْقَى دُبُّ الْاَيْفِ؛

بِالْقُرْبِ مِنْهُ تَرَعَى الْخَيْوُلُ طَلِيْقَةً...

السَّهْلُ الْمَحِيْطُ يَمْتَلِئُ بِالْحَيَاةِ؛

وَفِي الْفَجْرِ يُغَادِرُ الْفَجْرُ اَرْضَ مَخِيْمِهِمْ؛

يَمْتَزِجُ رَنِيْنُ السَّنْدَانِ

بِصَوْتِ صُرَاخِ الْاَطْفَالِ وَغِنَاءِ النِّسْوَةِ

ثُمَّ، دَفْعَةً وَاحِدَةً، يَحُلُّ السُّكُوْنُ عَلٰى الْمَخِيْمِ؛

يُرَدِّدُ الْهُدُوْءَ الْحَالِمُ- مِنْ حِيْنٍ لِاٰخَرَ-

صَهِيْلَ حِصَانِ

اَوْ نُبَاْحًا مَسْعُوْرًا لِكَلْبِ الْحِرَاسَةِ.

اللَّيْلَةُ السَّاكِنَةُ مَشْدُوْدَةٌ بِاِحْكَامِ اِلَى النَّوْمِ؛

لَا مِصْبَاْحَ يُضِيْءُ، وَلَا يَوْمِضُ ضَوْءٌ؛

وَيُرْسِلُ الْقَمْرُ مِنَ الْاَعَالِي

وَمِيْضًا اَبْيَضَ غَرِيْبًا كَاللُّوْلُوْ.

بِجَانِبِ اِحْدَى الْخِيَامِ،

يَجْلِسُ أَرْقًا رَجُلٌ عَجُوزُ،

مُنْحَنِيًا عَلَى نَارِ الْمُخِيْمِ الْهَامِدَةِ،

لَا يَزَالُ الْفَحْمُ دَافِتًا؛

وَنَظَرْتُهُ الضَّائِعَةَ مُحَدِّقَةً فِي السَّهْلِ،

وَأَمْتِدَادُهُ الْفَسِيحُ مَلْفُوفُ

بِالضَّبَابِ اللَّبْنِيِّ الْكَثِيفِ لِلْمَسَاءِ...

وَهُوَ يَنْتَظِرُ- صَامِتًا صَابِرًا-

ابْنَتَهُ الشَّابَّةَ: فَكَثِيرًا مَا تَكُونُ زَمْفِيرًا وَحَدَهَا فِي الْخَارِجِ؛

لَا خَوْفَ يَنْتَابُهَا مِنْ أخطَارِ الظُّلَامِ الْوَحْشِيِّ

فَهِيَ تَعشَقُ الْحُرِّيَّةَ.

لَكِنَّ قَوْسَ ضَوْءِ الْقَمَرِ، الْمَوْشِكَ عَلَى الضِّيَاعِ،

يَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ؛

تَأخَّرَ الْوَقْتُ، وَهِيَ لَا تَظْهَرُ...

وَيَبْرُدُ طَعَامُ الْعَجُوزِ الَّذِي لَمْ يُمْسَ فِي طَبَقِهِ.

ها هي الآن...

وخلفها يأتي رجلٌ غريبٌ، يتبعها.

"عكرتُ على هذا الرجلِ، خلفَ الرِّبوةَ،

تُخبرُ أباهَا، مُرحِّبَةً بهِ فِي حَرَارَةِ.

وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ بِلَا دِتَارِ،

دَعَوْتُهُ لِيُشَارِكَنَا خَيْمَتَنَا.

وَيَقُولُ إِنَّهُ سَيَكُونُ سَعِيدًا

بِأَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنَّا،

إِنْسَانًا مُتَحَرِّرًا مِنْ كُلِّ الْقَيْودِ.

سَيَاتِي، أَلَيْكُو سَيَاتِي حَيْثُمَا آخُذُهُ.

هُوَ طَرِيدٌ يَا أَبِي.

رَحَّبَ بِهِ يَا أَبِي، أَرْجُوكَ، فِي بَيْتِنَا".

العجوز:

إنني أرحب به بكل سرورٍ أرحبُ به  
يُمكِنُكَ أن تظلَّ معنا حتَّى الصَّبَاحِ أو أكثر،  
فلَكَ الأمرُ..

عَانِقِ حَيَاتِنَا الرَّحَالََةَ الحُرَّةَ، إذ تَهْجُرُ حَيَاتِكَ،  
وَسَتَكُونُ وَاحِدًا مِنَّا، أَيُّهَا الشَّابُّ الطَّيِّبُ  
تُشَارِكُنَا مُشَارَكَةً كَامِلَةً كُلِّ مَا نَمْلِكُ،  
رغمُ أَنَّهُ لَيْسَ كَثِيرًا...

فِي الفَجْرِ سَنَسَلُّ بِقَافِلَتِنَا،  
وَهُنَاكَ غُرْفَةٌ لَكَ.

تَخَيَّرِ آيَةَ مُهِمَّةٍ، كَيْفَمَا تَكُونُ،  
وَهِيَ لَكَ عَلَيَّ أَن تَكُونَ مُنَاسِبَةً:  
غَنِّ الأَغْنِيَاتِ، أو اطْرُقِ المَعْدِنَ،  
أو تَقُودُ دُبًّا وَهُوَ فِي قَيْدِهِ فِي المَكَانِ المُجَاوِرِ-  
أَعْمَالِنَا اليَوْمِيَّةَ كَثِيرَةً.

إِنِّي أَنضمُّ إِلَيْكُمْ.

أليكو:

هُوَ لِي،

زَمْضِيرًا:

وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أن يَأْخُذَهُ مِنِّي...

لَكِن كَم السَّمَاءِ كَثِيبَةً.

انظُرْ- لَقَدْ أَفَلَ القَمَرُ،

وَكَتَسَى السَّهْلُ بِالضَّبَابِ...  
وَبِالرَّغْمِ مِنِّي، هَزَمَنِي النَّوْمُ...



يَبْزُغُ الضُّوْءُ...

وَالْعَجُوزُ يَتَمَشَّى حَوْلَ الْخَيْمَةِ النَّائِمَةِ عَلَى مَهَلٍ

" زَمْفِيرًا، انْهَضِي! وَأَنْتِ يَا ضَيْفِي!

فَالشَّمْسُ تَزْحَفُ عَلَى التَّلَالِ إِلَى أَعْلَى.

لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ! السَّمَاوَاتُ مُشْرِقَةٌ.

هَيَّا اتْرُكَا فِرَاشَ الْكَسَلِ!..."

وَيَنْدَفِعُ الشَّعْبُ الْفَجْرِيُّ خَارِجَ خِيَامِهِ فِي صَخْبٍ،

يَلْفُؤْنَهَا، مُتَلَهِّفِينَ عَلَى تَحْمِيلِ قَوَافِلِهِمْ

وَأَنْ يَكُونُوا عَلَى الطَّرِيقِ..

يَبْدُؤُونَ، بَحْرًا مِنَ الْحَرَكَةِ، مَشْدُودِي الْأَجْسَادِ،

فِي الْإِنْتِشَارِ عِبْرَ السَّهْلِ، مُنْدَفِقِينَ لِلْأَمَامِ:

رِجَالٌ، زَوْجَاتٌ، شَبَابٌ وَشَبَابٌ الْقَبِيلَةِ

حَشْدٌ بَطِيءٌ لَكِنَّهُ مُبْتَهَجٌ وَمَرِحٌ وَسَعِيدٌ:

بِجَانِبِ أَسْيَادِهَا تَمْضِي الْكِلَابُ

وَهِيَ تَحْمِلُ فِي السَّلَالِ الْأَطْفَالَ الْمُبْتَهَجِينَ:

الصَّخْبُ وَالصِّيَاحُ، وَبُرْهَةٌ مِنَ الْغِنَاءِ الْفَجْرِيِّ؛

صرخة عالية من أحد الدببة،  
 فعمعة فيوده الرتيبة؛  
 النسوة في أسمال مبهرجة؛  
 حفنة من الأطفال حفاة الأقدام، أنصاف عرايا،  
 الكلاب تُرسلُ أسننتها في غضب مفاجئ،  
 صليل عجلات العرّية؛  
 أنين مزامير القرب؛ ..  
 الكلُّ في حالة احتياج،  
 في ضجيج وحشي، لکنه ملئ بالحركة والحياة،  
 مختلف عن أساليبنا الهزلية الفاترة،  
 والهزيلة الميتة، مثلما هي موحشة أغاني العيد!



حدّق أليكو في السهل،  
 وحزن غامض يحيط روحه.  
 فمن حيث جاءه، كان قليلاً ما يُريد،  
 بل، الأكثر، أنه ارتاع أن يشرح.  
 قلديه زوجة، زمفيراً ذات العينين السوداوين،  
 وهو حر،  
 وهناك- الآن- سماوات فوقه أكثر صفاءً،



مُضَاءَةٌ بِشَمْسِ السَّخَاءِ وَالرُّوعَةِ الشَّمَالِيِّينَ .  
فَلِمَاذَا اسْتَسَلَّمَ إِذَا لِلْكَآبَةِ؟  
وَأَى قَلْبِي غَامِضٍ أَحْبَبْتَهُ؟  
طَائِرٌ سَعِيدٌ  
مَنْ يَطُوفُ أَمْتِدَادَ السَّمَاءِ الْمَعْرُوفِ،  
وَقُبَّتْهَا الزَّرْقَاءُ الْمَشْرِقَةُ!  
مِنْ أَجْلِ مَقَامِ صَيْفٍ وَاحِدٍ فَحَسَبِ،  
تَبْنِي بَيْتَكَ الْمُتَدَاعِي .  
وَعَلَى غُصْنٍ فِي غَابَةِ أَوْ فِي الْعِرَاءِ  
تَجْلِسُ نَاعِسًا طَوَالَ اللَّيْلِ  
وَحِينَمَا تَسْمَعُ اسْتِدْعَاءَ اللَّهِ لِلصَّبَاحِ،  
تُحْيِي الشَّمْسَ الْمَشْرِقَةَ بِالْغِنَاءِ .  
بَعْدَ مَرُورِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ الرَّائِعَةِ  
وَالْمَوْتِ الْحَزِينِ لِلصَّيْفِ الْحَارِ  
يَأْتِي الْحَرِيفُ،  
مُجَمِّعًا السُّحْبَ الرَّمَادِيَّةَ  
فِي السَّمَاوَاتِ الْكَثِيبَةِ الضَّبَّابِيَّةِ .  
وَنَنْقَلِبُ شَاحِبِي الْقُلُوبِ، مِنْهَكِينَ...  
أَيُّهَا الطَّائِرُ الْفَرِحُ!

بِرَشَاقَةٍ تَنْطَلِقُ عِبْرَ الْبِحَارِ،  
فِي ابْتِهَاجٍ وَمَرَحٍ  
لِتَسْكُنَ الْمَنَاخَاتِ الشَّمَالِيَّةَ حَتَّى الرَّيْبِيعِ.  
طَائِرٌ تَرَحَّالٌ مُبْتَهَجٌ،  
يَطِيرُ إِلَى شَوَاطِئِ تَسْتَلْقِي بَعِيدًا عَن وَطْنِهِ،  
كَانَ ذَلِكَ الْمَنْفَى لَدَيْنَا.  
لَا عُسَّ لَدَيْهِ؛

أَحْسَ بِالْحُرِّيَّةِ فِي اتِّبَاعِ أَيِّ طَرِيقٍ؛  
وَلَمْ يُغْرَمَ بِأَيِّ مَكَانٍ؛  
حَيْثُمَا يَغْلِبُهُ النَّوْمُ، يَنَامُ،  
مُسْلِمًا كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدٍ يُوَلِّدُ إِلَى قَلْعَةِ اللَّهِ.  
وَأَبْدًا مَا لَمَسَتْ قَلْبَهُ الْخَاوِي  
حُمَى وَنَبْضَ الْحَيَاةِ،

بِرَغْمِ أَنَّ إِغْوَاءَ الشُّهْرَةِ السَّاخِرَةِ وَالسَّاحِرَةِ الْبَعِيدَةِ  
قَدْ تَحَرَّكَ فِي أَعْمَاقِهِ - بَعْضَ الْوَقْتِ  
وَبِرَغْمِ أَنَّ رُؤْيَ عَذْبَةِ اللَّعْرِبِدَاتِ الْمُتَرْفَةِ  
قَدْ وَاتَتْهُ لِلْحِظَّةِ  
لَمْ يُبَالِ بِهَزِيمِ الرَّعْدِ  
وَكَثِيرًا مَا يَسْتَلْقِي نَاعِسًا بِصُورَةٍ هَادِئَةٍ

تَحْتَ سَمَاوَاتِ غَائِمَةٍ مَاطِرَةٍ  
أَوْ تَحْتَ الْأَشِعَّةِ الدَّافِقَةِ الْمَرِحَةِ لِشَمْسِ الصَّبَاحِ.  
وَرَافِضًا قُوَّةَ الْقَدْرِ الْمَاكِرِ الْأَعْمَى،  
وَأَجْهَهُ بِلَا خَوْفٍ.

وَلَكِنْ، يَا إِلَهِي الْعَزِيزِ،  
مُتَحَدِّيةً إِرَادَتِهِ، كَيْفَ تَلَاعَبْتَ بِقَلْبِهِ الْأَهْوَاءِ!  
هَاجَتْ دَاخِلَهُ،

وَمَا تَرَكْتَ رُوحَهُ الْقَلِقَةَ الْمُعَذِّبَةَ وَحْدَهَا أَبَدًا.  
لَسَوْفَ يَسْتَيْقِظُ الْمَكْبُوتُ وَالْخَامِدُ،  
مَتَى؟ اِنْتَظِرْ وَاَنْظُرْ..

لَا أَشُكُ، فِي الْحَالِ!



زَمْفِيرًا: قُلْ لِي يَا حَبِيبِي:

هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي خَلَفْتَهَا وَرَاءَكَ

أَلَا تَفْتَقِدُهَا؟

أَلَيْكُو: قُولِي لِي، أَرْجُوكِ:

مَاذَا خَلَفْتَ؟

زَمْفِيرًا: أَتَحْتَاجُ إِلَى أَنْ أُذَكِّرَكَ؟-

أَرْضُكَ وَبِلَادُكَ وَأَهْلُكَ.

أَلَيْكُو:

أَبْدًا.

أَنَا مُتَجَرِّرٌ مِنْهُمْ بِلَا نَدَمٍ.

لَا شَيْءَ هُنَاكَ لِأَفْتَقِدَهُ

فَقَطُّ لَوْ عَلِمْتَ ذَلِكَ.

بِلَادِي أَرَوْقَةٌ خَائِنَةٌ

حَيْثُ لَا تَحْمِلُ نَسَائِمَ الرَّبِيعِ الْعَطِرَةَ أَبْدًا

مِنِ الْمُرُوجِ وَالْفَيَافِي الْمُزْهِرَةِ

نَسَمَةً تَصِلُهَا مِنَ الْهَوَاءِ الْبَارِدِ الطَّلَقُ؛

حَيْثُ يُحْتَقَرُ الْحُبُّ كَكُلِّ الْمَشَاعِرِ الْحَقِيقِيَّةِ،

وَيُذْبَحُ الْفِكْرُ، وَتُبَاعُ الْحُرِّيَّةُ،

حَيْثُ يَتَوَسَّلُ الرَّجَالُ رَاكِعِينَ أَمَامَ أَصْنَامِهِمْ،

بِصُورَةِ مُخْزِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ الذَّهَبِ وَالْقِيُودِ

مَاذَا خَلَّفْتُ هُنَاكَ؟-

مُفْرَعَةٌ وَخَائِنَةٌ

كَلِمَاتُ الْإِجْحَافِ الْمَلْعُونَةِ،

فَالْعَارُ اكْتَسَى بَثْيَابِ الْمَجْدِ

بِاضْطِهَادِ الْعَامَّةِ!

وَالْقَاعَاتُ الْمُتَوَهَّجَةُ

زَمْفِيرًا:

وَالْمَوَائِدُ الْمُتَخَمَّةُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ،

الضَوْضَاءُ وَالْأَضْوَاءُ الْكَثِيرَةَ،  
الْأَلْعَابُ، الْأَعْيَادُ، وَالْحَفَلَاتُ،  
وَالْوُجُوهُ الْمَشْرِقَةُ لِعِدَارِي مُزِينَاتٍ لِأَبْسَاتٍ بِثَرَاءٍ  
حَيْثُ لَا حُبَّ، فَلَا مَرَحَ  
وَتَافَهَةٌ هِيَ الْحَيَاةُ بِلَا أَيْةٍ مُتَعَةً.

البيكوة:

أَمَّا عَنِ الْعِدَارِي،  
فَجَمَالُهُنَّ كَالصَّحْرَاءِ الْمَيْتَةِ، بِجَانِبِ جَمَالِكَ  
الَّذِي لَا تُزِينُهُ جَوَاهِرُ أَوْ لَالِيٌّ غَالِيَةٌ.  
فَكُونِي كَمَا أَنْتِ، أَرْجُوكِ، لَا تَتَغَيَّرِي!...  
رَغْبَتِي الْوَحِيدَةُ الَّتِي اكْتَشَفْتُهَا الْآنَ فَقَطْ يَا حَبِيبَتِي  
أَنْ تُشَارِكِي مَنْفِيًّا أَشْيَاءَهُ كُلَّهَا وَحُظُوظَهُ.

العجوز:

أَعْلَمُ أَنَّكَ لَسْتَ أَقْلٌ شَبَهَا بِنَا  
رَغْمَ أَنَّكَ وُلِدْتَ لِلْفَرَاغِ وَالثَّرْوَةِ،  
لَكِنَّ مَنْ قَضَى شَبَابَهُ فِي الْبَطَالَةِ  
سَيُقَدَّرُ الْحُرِّيَّةَ بِالْأَقْلِ.  
الْأَسْطُورَةُ الَّتِي لَمْ تَمُتْ أَبَدًا  
لَكِنَّهَا تَعِيشُ بَيْنَنَا،  
تَتَحَدَّثُ عَنْ رَجُلٍ نَفَاهَ الْإِمْبِرَاطُورَ  
مِنَ الْبِقَاعِ الشَّمَالِيَّةِ.

اسْمُهُ ضَاعَ مِنِّي  
 وَكَانَ أَنْ فَتُرْتَ هِمَّتَهُ هُنَا، وَهَذَا مَا أَذْكَرُ  
 رَغَمَ أَنَّهُ كَانَ طَيِّبًا عَلَى مَرِّ السِّنِّينِ وَشَابَّ الرُّوحُ  
 بِمَوْهَبَةِ الْغِنَاءِ الرَّائِعَةِ  
 الْمَمْنُوحَةِ لَهُ مُنْذُ مِيلَادِهِ؛  
 صَوْتُهُ - إِنْ تَسْمَعَهُ  
 كَانَ كَأَنَّكَ تَسْمَعُ خَرِيرَ جَدُولٍ فِي جَبَلٍ ...  
 وَبِإِرَادَةِ الْقَدْرِ انْتَقَلَ إِلَى هَذِهِ الشَّوَاطِئِ،  
 وَأَنْتَزَعَ حُبَّ الْجَمِيعِ  
 وَبِقِصَائِدِهِ فَتَنَ قُلُوبَ الرِّجَالِ .  
 كَانَ الشَّاعِرُ طِفْلاً حَقِيقِيًّا بِالطَّبِيعَةِ؛  
 عَاوَنَهُ جِيرَانُهُ فِي صَيْدِ السَّمَكِ  
 وَأَصْطَادُوا مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ،  
 وَهَكَذَا كَانَتْ أَعْمَالُهُ .. الْأَسْهَلُ .  
 وَفِي الشِّتَاءِ،  
 عِنْدَمَا أَوْثَقَ الْجَلِيدُ النَّهْرَ، وَعَوَتْ الرِّيَّاحُ مُحْتَدِمَةً،  
 صَنَعُوا لِلْمَغْنَى الْعَجُوزِ مَلَابِسَ مِنَ الْفِرَاءِ،  
 كَقَدِيسٍ وَسَطَ رِجَالٍ عَادِيِّينَ .  
 لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ لِحَيَاةٍ بَخِيلَةٍ وَدَنِيئَةٍ تَمَامًا،

لَمْ يَسْتَطِعْ، وَآسَفَاهُ، غَيْرَ أَنْ يَتَوَافَقَ مَعَ الْمَرَضِ  
وَأَزْدَادَ ضَعْفًا كُلَّ يَوْمٍ،  
وَأَشَارَ إِلَى الْعِقَابِ الْإِلَهِيِّ  
وَقَالَ إِنَّهُ الْعَدْلُ أَنْ يَدْفَعَ الْآنَ ثَمَنَ خَطَايَاهُ  
مُتَحَمِّسًا رَاحَ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِ التَّحَرُّرِ الْعَذْبِ،  
وَعَلَى طُولِ شَوَاطِئِ الدَّأْنُوبِ  
تَجَوَّلَ حَزِينًا،  
رَجُلًا هَرِمًا مَكْسُورًا،  
وَسَافِحًا دُمُوعًا مَرِيرَةً، تَذَكَّرَ أَرْضَهُ الْغَالِيَةَ،  
تَأَمَّلَ مَصَائِرِهَا حَتَّى النِّهَايَةِ،  
وَمُمَدِّدًا عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، وَقُوَّتَهُ تُسْرِعُ بِالْانْحِسَارِ  
طَلَبَ أَنْ يُحْمَلَ جُثْمَانُهُ إِلَى الشَّمَالِ.  
حَتَّى فِي الْمَوْتِ  
تُطَالِبُ رُوحَهُ بِالشَّوَاطِئِ الَّتِي اقْتَلَعَ مِنْهَا...!  
وَهَكَذَا قَدَرُ أَبْنَائِكَ، يَا رُومًا،  
أَيُّهَا الْمَدِينَةُ اللَّامِعَةُ الْعَظِيمَةُ!...  
مَا الشُّهُرَةُ الْعَالَمِيَّةُ؟  
تَعَالِ، أَجِبْنِي،  
يَا شَاعِرَ الْآلِهَةِ، يَا شَاعِرَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ-

أَلِيكُو:

أَهَى كَلِمَةً إِطْرَاءً تَتَلَأَشَى،  
العَوِيلُ الْبَاهِتُ وَالْبَارِدُ لِدَقَّاتِ أَجْرَاسِ الْكَنِيسَةِ،  
أَقْصِيدَةٌ تَشُقُّ طَرِيقَهَا - خَالِدَةٌ - عَبْرَ الْعُصُورِ  
أَمْ أَنَّهَا حِكَايَةٌ يَرُويهَا الْفَجْرُ.



يَمُرُّ صَيْفَانِ، مُتَسَلِّلِينَ سَرِيعًا إِلَى الْأَمَامِ،  
وَلَا يَزَالُ الْفَجْرُ يَطُوفُونَ السَّهْلَ،  
وَحَيْثُمَا تَأْخُذُهُمُ الطَّرُقُ،  
يَجِدُونَ التَّرْحِيبَ فِي اسْتِقْبَالِهِمْ وَالْمُسْتَقَرَّ.  
وَمُزْدَرِيًّا قُبُودَ الْمَدِينَةِ،  
أَصْبَحَ أَلِيكُو حُرًّا مِثْلَهُمْ.  
لَا يَسْتَثِيرُ الْمَاضِي لَدَيْهِ أَيُّ حَنِينٍ:  
هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ، وَسَيَّظَلُّ.  
مَعَ زَمْفِيرًا وَأَبْيَهَا؛  
حَيَاتُهُمْ حَيَاتُهُ  
وَلَا يُمَكِّنُهُ تَذَكُّرُ حَيَاةٍ أُخْرَى؛  
يُحِبُّ الْأَسَالِيبَ الْفَجْرِيَّةَ،  
وَحَدِيثَهُمُ الْفَقِيرَ لَكِنِ الْعَذْبَ،  
وَالْأَمْسِيَّاتِ الْمُضِيئَةَ تَحْتَ النُّجُومِ،



الأيَّامُ المُنْدَفِقَةَ بِسُرْعَةٍ، وَأَيْضًا المُنْتَرَاخِيَةَ وَالبَهِيْجَةَ.  
 حَيْثُمَا يَذْهَبُونَ، مَعَهُمْ يَحْمِلُونَ  
 حَيَوَانًا مُتَوَحِّشًا، سَاكِنَ عَرِينٍ.  
 وَإِذْ يَرْقُبُهُ الحَشْدُ الَّذِي يَتَّجِعُّ فِي حَذَرٍ،  
 بِجَانِبِ حَائَةِ القَرِيَّةِ،  
 يَدْبُ الدُّبُّ بِقُوَّةٍ رَاقِصًا، إِلَى أَعْلَى وَأَسْفَلَ،  
 وَحِينَ يَتَعَبُ، يَقْضُمُ السَّلَاسِلَ،  
 وَيَزَارُ عَالِيًا بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ.  
 يَقِفُ العَجُوزُ عَلَى مَنْصَتِهِ  
 مُنْحَنِيًّا، ضَارِبًا عَلَى الدُّفِّ بِكَسَلٍ.  
 وَحِينَ يُغْنَى أَلِيكُو أُغْنِيَّةَ  
 يَتَقَدَّمُ جُمُوهْرُهُ مُلْتَفًا حَوْلَهُ.  
 تَأْتِي زَمْفِيرًا وَأَطْرَافُ ثُوبِهَا تَتَأَرْجَحُ؛  
 وَتَأْخُذُ النُّقُودَ المُقَدَّمَةَ مِنْ وَاحِدٍ لِآخَرَ...  
 يَطْبُخُونَ بَعْضَ الدُّخَنِ لِلعِشَاءِ  
 ثُمَّ، إِذَا مَا حَلَّ الظَّلَامُ،  
 يَبْسِطُ النُّومُ اللَّذِيذُ فِي الخَيْمَةِ اليَدَ العُلْيَا،  
 وَيَسُودُ السُّكُونُ عَمِيقًا حَتَّى الصَّبَاحِ.

يُدْفِيُ الْعَجْرِيُّ الْعَجُوزُ جَسَدَهُ الْمُتَأَلِّمَ فِي الشَّمْسِ؛

يَنْحِنِي عَلَى مَهْدِ أَحَدِ الْأَطْفَالِ،

تُغْنِي ابْنَتُهُ،

يُصْنِي أَلِيكُو فِي دَهْشَةٍ، وَغَضْبِهِ يَصْحُو.

عَجُوزٌ وَصَارِمٌ، زَوْجِي،

اطْعَنَ زَوْجَتَكَ، اقْتُلْ زَوْجَتَكَ!

لَنْ يُوقِفَنِي شَيْءٌ، لِأَنِّي

لَا أَخَافُ سَكِينَكَ.

عَجُوزٌ وَحَقِيرٌ، زَوْجِي،

وَأَنَا أُحِبُّ رَجُلًا غَيْرَهُ.

سَاحِبُهُ حَتَّى الْمَوْتِ،

لَكِنْ لَيْسَ أَنْتَ، لَيْسَ أَنْتَ.

كَفَى...

زَمْفِيرًا:  
أَلِيكُو:

لَا تُغْنِي أُغْنِيَتِكَ مَرَّةً أُخْرَى، أَرْجُوكِ!

فَأَنَا أَقْشَعِرُّ مِنْ رَيْنِهَا الْغَرِيبِ وَالْهَمَجِي.

حَقًّا!

زَمْفِيرًا:

هَلْ تَظُنُّ أَنِّي سَاطِيعُكَ؟

فَهِيَ لِي أَنَا، وَلَسْتُ أُغْنِي لَكَ.

عَجُوزٌ وَصَارِمٌ، زَوْجِي،

اطعني، اقدف بي في النار.

وَاعْلَمَ: أَيَا مَا تَفْعَلُ،

لَنْ أُخْبِرَكَ بِاسْمِهِ.

هُوَ شَابٌّ، هُوَ قَوِيٌّ،

وَأَنَا تَحْتَ سُلْطَانِهِ الطَّاعِي.

رَائِعٌ كَمَا الرَّبِيعُ هُوَ،

وَيُحِبُّنِي بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ.

وَاعْلَمَ: أَنِّي قَبَّلْتُهُ،

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ.

وَكَمْ ضَحِكْنَا، يَا زَوْجِي،

عِنْدَمَا فَكَّرْنَا فِي وَرْطَتِكَ.

كَفَى، يَا زَوْجَةَ!

أَلَيْكُو:

كُلُّ شَيْءٍ بِخَيْرٍ، دَعِينَا نُنْسَاهُ..

أُغْنِيَتِي-

زَمْفِيرًا:

أَتَظُنُّ أَنَّهَا لَا تَبْدُو حَقِيقِيَّةً؟

زَمْفِيرًا!

أَلَيْكُو:

هَا!

زَمْفِيرًا:

أَلَنْ تَدَعَهَا إِلَيَّ أَنْ تَسْتَفْزِكَ؟

أَمْرٌ غَرِيبٌ!

إِنِّي أُغْنِي عَنْكَ.

تستمر في الغناء وهي تسير:

"عَجُوزٌ وَصَارِمٌ... الخ"

أَعْرِفُ هَذِهِ الْأَغْنِيَةَ-

أَغْنِيَةَ سَارَةَ وَجَمِيلَةَ.

عِنْدَمَا كُنْتُ شَابًا،

كَانَتْ تَسْتَثِيرُ أُذُنَ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُهَا،

وَأَتَذَكَّرُ أَنَّهَا كَثِيرًا مَا كَانَتْ تُغْنِي.

فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ،

كَانَتْ حَبِيبَتِي "مَارِيُولَا" - جَالِسَةً بِجَانِبِ النَّارِ -

(أَتَذَكَّرُ كَمْ كَانَتْ جَمِيلَةً!)

تُغْنِيهَا لِابْنَتِنَا الصَّغِيرَةِ كَالْهَدْيَةِ.

وَإِذْ يَتَدَفَّقُ الزَّمَنُ

يُصْبِحُ الْمَاضِي أكَثَرَ إِعْتَامًا

حَتَّى لَا يَبْقَى لِي سِوَى مِرْقَةٍ.

لَكِنَّ هَذِهِ الْأَغْنِيَةَ الْقَدِيمَةَ

تَظَلُّ أَبَدًا مَحْفُورَةً فِي ذَاكِرَتِي.

كُلُّ شَيْءٍ هَادِيٌّ.

أَضِيَّتِ السَّمَاءُ الشَّمَالِيَّةُ بِالنُّورِ النَّاعِمِ لِلْقَمَرِ،  
وَأَشْعَتْهُ الْمَائِلَةُ لِلأَبْيَضِ.  
مُسْتَقِظَةٌ فِي اللَّيْلِ،  
تُوقِظُ زَمْفِيرًا أَبَاهَا:  
"أَنَا خَائِفَةٌ-

انظُرْ إِلَى أَلِيكُو يَا أَبِي.  
إِنَّهُ يَبْنِي بِصُورَةٍ مُفْرَعَةٍ لِلغَايَةِ".  
لَا تُزَعِجِيهِ،

العجوز:

لأنَّ الرَّجُلَ النَّائِمَ عِنْدَمَا يَبْنِي وَيَلْهَثُ وَيَتَقَلَّبُ،  
بَآكِيًا، فِي فِرَاشِهِ،  
فَذَلِكَ يَعْنِي- كَمَا يَقُولُ الرُّوسُ-  
أَنَّ الرُّوحَ الَّتِي تَسْكُنُهُ قَدْ اخْتَنَقَتْ وَمَاتَتْ.  
سَتَذْهَبُ بَعِيدًا، بِأَلَا عَوْدَةَ،  
عِنْدَمَا يَتَنَفَّسُ النَّهَارَ.

زَمْفِيرًا: وَأَيْضًا يَهْمِسُ بِاسْمِي، زَمْفِيرًا.

العجوز: هُوَ يَبْحَثُ عَنكَ فِي النَّوْمِ.

فَأَنْتِ يَا ابْنَتِي عِنْدَهُ،

أَغْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْعَالَمِ كُلِّهِ.

زَمْفِيرًا: حُبُّهُ الَّذِي حَمَلَنِي إِلَى الْعُبُودِيَّةِ ذَاتَ يَوْمٍ

يُزَعِّجُنِي الْآنَ.

هِيَ الْحُرِّيَّةُ يَا أَبِي، مَا يُرِيدُهَا قَلْبِي...

لَكِنِ اصْنَعِ!

مَرَّةً أُخْرَى يَنْطِقُ بِأَحَدِ الْأَسْمَاءِ-

لَيْسَ اسْمِي، اسْمٌ آخَرَ..

اسْمٌ مَنْ؟

العجوز:

هُوَ يَطْحَنُ أَسْنَانَهُ،

زَمْفِيرًا:

يَتَأَوَّهُ مِنَ الْأَلَمِ

سَأَوْقِظُهُ،

ذَلِكَ فَطِيعٌ.

مَكَانَكَ!

العجوز:

سَرَعَانَ مَا تُغَادِرُهُ الرُّوحُ اللَّيْلِيَّةُ.

اهْدَيْتِي، أَرْجُوكِ، يَا ابْنَتِي.

أَلَا تَسْمَعُهُ؟

زَمْفِيرًا:

هُوَ يَنَادِينِي، وَلَا بُدَّ أَنْ أَكُونَ بِجَانِبِهِ،

وَأَلَّا أُصِيبَ بِأَذَى، يَا أَبِي.

أَيْنَ كُنْتِ؟

أَلَيْكُو:

أَنَا؟ مَعَ أَبِي، هُنَاكَ.

زَمْفِيرًا:

يَبْدُو أَنْ رُوحًا سَوْدَاءَ قَدْ أَنْهَكَتْكَ

حَتَّى مَزَّقَتْ صَمِيمَ رُوحِكَ إِرْبًا .

لَقَدْ غَلَبَنِي الْخَوْفُ .

وَأَسْنَانُكَ تَنْطَحِنُ فِي عَذَابِ ،

نَادَيْتَ بِاسْمِي .

حَلُمْتُ بِكَ .

الْيَكُو:

سَوْدَاوِيَّةٌ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْلَامُ ..

وَحِينَ عَمَيْتَ بِصِيرَتِي

انْتَصَبْتَ أَمَامَنَا - نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ - بَعْضُ الْأَشْبَاحِ

الشَّرِيْرَةِ .

لِمَاذَا تَنْتِقُ بِالْأَحْلَامِ؟

زَمْفِيرًا:

أُقْسِمُ بِاللَّهِ، أَتْنِي لَا أَتِي بِشَيْءٍ!

الْيَكُو:

وَأَسْفَاهُ، هَكَذَا -

لَا الْأَحْلَامُ، لَا الْكَلِمَاتُ وَالْوَعُودُ،

وَلَا حَتَّى قَلْبِكَ - يَا زَوْجَتِي - لَوْ تَعْلَمِينَ .

لِمَاذَا تَنْتَهَدُ أَيُّهَا الشَّابُّ الْمَجْنُونُ؟

الْعَجُوزُ:

هُنَا الرَّجَالُ أَحْرَارٌ، وَالطَّبَائِعُ مَرِحَةٌ،

وَالنِّسَاءُ فَاتِنَاتُ،

وَالشَّمْسُ الصَّفْرَاءُ تُشْرِقُ بِقُوَّةٍ فِي السَّمَاءِ اللَّأَزُورِيَّةِ

فَلتَسْتَسْلِمِ لِلْكَأَبَةِ، وَسَوْفَ تَهْلِكُ .

الْيَكُو:

هِيَ لَا تُحِبُّنِي  
مَنْ أَتَمَلَّقُ بِحُبِّهَا.

فَلْتَهْدَأْ: هِيَ طِفْلة.

العجوز:

وَمِنْ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَسْتَسَلِمَ لِلْحُزَنِ:

أَنْتِ تُحِبُّ بِمَرَارَةٍ، بِجُنُونِ أَلِيمٍ  
وَقَلْبُ الْمَرْأَةِ يُحِبُّ بِصُورَةٍ مَرِحَةٍ.

انظُرْ إِلَى الْأَعْلَى

حَيْثُ تَمْتَدُّ سُهُولُ السَّمَاءِ الْمُحَلَّقَةِ

وَرَأَيْتَ الْقُرْصَ النَّحِيلَ لِلْقَمَرِ يَنْزَلِقُ عَلَيْهَا،

دَافِقًا عَلَى الْأَرْضِ ضَوْءَهُ الْمَكِينِ.

سَيَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ،

مَعَ غَيْمَةٍ تَظَلُّ لِثَوَانٍ طَافِيَةٍ

وَيَغْسِلُهَا فِي شُعَاعِهِ الْمُتَأَلِّقِ،

ثُمَّ يَتْرُكُهَا، وَمَعَ لِقَاءِ آخِرٍ، يُضْيِئُهَا،

وَيَنْسَاقُ بَعِيدًا.

فَأَنْ تُكْبِلَ قَلْبَ عَذْرَاءٍ بِقَوْلِكَ:

"كُونِي وَفِيَّةً لِحُبِّ وَحِيدٍ"،

لَهُوَ تَمَامًا مِثْلَمَا تَمْنَعُ الْقَمَرَ

مِنَ الشَّرُوقِ عَلَى الْاِمْتِدَادِ الْمَعزُولِ فِي الْأَعَالِي



البِكْو:

فَلَا تَبْتَسِسْ.

لَقَدْ أَحْبَبْتَنِي!...

وَرَاكِعَةً عَلَيَّ

أَمْضَتِ السَّاعَاتِ الْمَعزُولَةَ مِنَ اللَّيْلِ،

بِسَعَادَةٍ وَفَرَحٍ وَأَضْحَيْنِ

كَاشِفَةً حُبِّهَا وَحَنَانَهَا!...

وَمُفَعَّمَةً بِفَرَحِ طُفُولِي،

كَمْ كَثِيرًا مَا كَانَتْ تُبَدِّدُ بِالْهَدَرِ الْبَرِيءِ وَالْعَدْبِ،

أَوْ بِالْقُبُلَاتِ الْفَرِحَةَ

أَفْكَارِي السُّودَاءِ

وَتَطَرَّدُ عَنِّي الْكَآبَةُ الَّتِي كَانَتْ تَغزُونِي أحيانًا

وَالآن..

زَمْفِيرًا حَبِيبَتِي، تِلْكَ الَّتِي أَحْبَبْتَنِي هَذَا الْحُبِّ،

تَخُونَنِي!

تَعَالِ، أَصْغِ إِلَيَّ وَأَسْتَمِعْ جَيِّدًا:

سَأُحْكِي لَكَ حِكَايَةَ عَنِّي أَنَا نَفْسِي.

حَدَثَ مِنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ يَا أَلِيكُو،

عِنْدَمَا كَانَتْ مُوسِكُو لَا تُمَثِّلُ تَهْدِيدًا لَنَا-

(تَحْمِلُ كَلِمَاتِي هَذِهِ

العجوز:

إِبْقَاعَ الزَّمَنِ وَالْأَحْدَاثِ الْمَشْتُومَةِ  
 كُنَّا وَقْتَهَا نَقِفُ فِي رُعْبٍ مِنَ السُّلْطَانِ؛  
 مُحْجُوبًا فِي "اِكْرَمَانَ" الشَّامِخِ،  
 كَانَ يَحْكُمُ "بُودْجَاكَ"، أَحَدُ الْبَاشَوَاتِ...  
 تَسْمَعُ الْآنَ عَنِ أَشْيَاءٍ أَقَلَّ رُعْبًا.  
 كُنْتُ شَابًا مُفْعَمًا بِالْحَيَاةِ، وَأَفِيضُ بِرُوحِ الْمَرْحِ،  
 كَانَ شَعْرِي أَسْوَدَ، لَا تَبْدُو فِيهِ شَعْرَةٌ فِضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ  
 لَمْ نَكُنْ نَفْتَقِرُ إِلَى الْعَذَارَى الْفَاتِنَاتِ،  
 وَلَكِنْ كَانَتْ هُنَاكَ وَاحِدَةٌ-  
 مُجَرَّدٌ أَنْ تَرَاهَا كَانَ نِعْمَةً-  
 أَحْبَبْتُهَا عَلَى الْبُعْدِ...  
 ثُمَّ أَتَى يَوْمٌ أَصْبَحْتَ فِيهِ لِي.  
 سَرِيعًا كَنَجْمٍ مُنْطَلِقِ  
 يَتَوَهَّجُ الشَّبَابُ مُتْرَاجِعًا،  
 وَيَزْدَادُ الْحُبُّ بِرُودَةٍ  
 وَيَرْحَلُ بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ،  
 هُوَ حَاكِمٌ وَقْتُ سَيَادَتِهِ قَصِيرٌ؛  
 فَلَمُدَّةَ عَامٍ وَاحِدٍ فَحَسِبَ  
 تَعَلَّقْتُ بِحُبِّ "مَارِيُولَا".

ذات مرة،

عندما نصبنا خيامنا قرب "كاجول"  
انضمت إلينا هناك ذات مساء قبيلة غريبة من الفجر.  
نصبوا مخيمهم قربنا

وأقاموا ليلتين قصيرتين هناك،  
تاركين موقع المخيم خلسة عندما دارت الثالثة للمجيء  
بلا كلمة أو صوت  
معهم ذهب حبيبتي "ماريولا"،  
تاركة طفلتها النائمة.

عند استيقاظ الفجر وجدتها ذهبت...  
جريت أدور بحثاً عنها وأصرخ باسمها سدى  
كانت قد اختفت..

صدمت..

انتحبت زمفيرا، ومعها بكيت.

منذ ذلك الحين أمرضني وأضجرتني التفكير في الحب  
بمرور الزمن احتفظت لنفسى بالكثير،  
رافضاً كل العروض بالزواج  
ومختاراً الحياة وحيداً هذه السنين الطويلة.

لم لم تطارد الحيوان البري وزوجتك أليكو:

هَذِهِ الْمُخَادِعَةُ الْعَذِيبَةُ،  
وَتَطْعَنُ، مَدْفُوعًا بِحُمَى الْحُبِّ الْعَمِيَاءِ،  
فَلْيَبْهَمَا بِخَنْجَرٍ حَاقِدٍ؟  
أَكْثَرُ حُرِّيَّةٍ مِنْ طَائِرٍ، هُوَ الْحُبُّ:  
حَاوِلْ أَنْ تَحْبِسَهُ، وَسَوْفَ يَطِيرُ مِنْكَ.  
إِنَّهُ يَجِيءُ،

العجوز:

ثُمَّ وَآسَفَاهُ، يَمْضِي إِلَى الْأَبَدِ  
مَهْمَا حَاوَلْتَ- مِرَارًا- أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ...  
مَاذَا؟

أليكو:

أَتَنْفُرُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ،  
لِتَتَخَلَّى عَمَّا تَمْلِكُ بِالْعَدْلِ؟  
لَا، أَبَدًا...  
فَلِمُجَرَّدِ خَطْبٍ أَوْ هَفْوَةٍ  
سَارِدُ الْإِنْتِقَامِ كَامِلًا  
فَلَوْ عَثَرْتُ عَلَى غَرِيمِي  
رَاقِدًا عَلَى الْبَحْرِ فَوْقَ صَخْرَةٍ نَائِتَةٍ  
أُقْسِمُ بِالْآلِهَةِ أَنِّي لَنْ أَتْرُكَهُ أَنْتَذِ  
لِيَنَامَ هُنَاكَ فِي سَلَامٍ،  
بَلْ سَأَطِيحُ بِهِ مِنْ فَوْقِ الْحَاقَّةِ،

رَغَمَ أَنَّ الْوَعْدَ سَيَكُونُ بِإِلَاحِيَلَةٍ،  
 وَأَهْدِرُ بِالضَّحِكِ فِيمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ،  
 مُضْعَمًا بِبَهْجَةٍ أَنْ أَرَى رُعبَهُ  
 وَبَعْدَ مُرُورِ زَمَنٍ طَوِيلٍ  
 سَيُفْعِمُنِي الطَّرْبُ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ.

الشَّابُّ الْفَجْرِيُّ: قُبْلَةٌ وَاحِدَةٌ أُخْرَى...

لَا تَكُونِي بِخِيَلَةٍ بِالْقُبُلَاتِ، يَا فَتَاتِي.  
 زَوْجِي رَجُلٌ غَيُورٌ وَقَاسٍ.

زَمْفِيرًا:

لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَأَخَّرَ..

الشَّابُّ الْفَجْرِيُّ: انْتظِرِي!

وَاحِدَةٌ أُخْرَى، قُبْلَةٌ لَبْدِيذَةٌ..

مَتَى نَلْتَقِي؟

لَأَبْدُ أَنْ نَكُونَ حَذْرَيْنِ.

زَمْفِيرًا:

سَأَرَاكَ عِنْدَمَا يَأْفُلُ الْقَمَرُ،

وَرَاءَ الرِّيْبَةِ.

الشَّابُّ الْفَجْرِيُّ: أَلَنْ تَخْدَعِينِي؟

هَلْ سَتَاتِينَ؟

اذهَبِ الْآنَ وَلَا تَقْلَقِي.

زَمْفِيرًا:

سَأَكُونُ هُنَاكَ يَا حُبِّي الْغَالِي، صَدَّقْنِي.

يَنَامُ أَلْيَكُو  
وَفِي الْحُلْمِ تُطَارِدُهُ رُؤَى ضَبَابِيَّةٍ خَاطِفَةٍ،  
لَكِنَّهَا مُخِيفَةٌ.  
مَعَ صَرَخَةٍ يَبْدَأُ فِي الْاسْتِيقَاضِ،  
وَيَتَلَمَّسُ طَرِيقَهُ بِقَلْبٍ خَافِقٍ بَحْثًا عَنِ زَوْجَتِهِ..  
تَصْطَلِمُ يَدَهُ الْمُتَرَدِّدَةَ بِالْمَلَأَاتِ الْمَتَسَاقِطَةِ،  
وَحِينَ لَا يَجِدُ غَيْرَهَا  
يَتَكَيُّ مِنْهَا..  
يَنَهْضُ وَيَنْظُرُ حَوَالِيهِ...  
وَيُنْبِئُهُ السُّكُونُ السَّائِدُ الْمُحِيطُ بِالْأَسْوَأِ..  
وَإِذْ لَا يَكْبَحُ مَخَافَتَهُ الْمُتَصَاعِدَةَ مَرَّةً أُخْرَى،  
تَضْرِبُهُ السُّخُونَةُ مَرَّةً، وَالْبُرُودَةُ أُخْرَى، تَبَاعًا،  
وَيَتَعَثَّرُ فِي الْخَارِجِ بِصُورَةٍ عَمِيَاءَ..  
كُلُّ شَيْءٍ ظَلَامٌ...  
يَنَامُ حَوَالِيهِ السَّهْلُ...  
وَأَنْهَارٌ مِّنَ الضَّبَابِ تَطْوِي قَمَرًا مَّاكِرًا...  
حَوْلَ مَكَانِ الْمُخِيَمِ النَّائِمِ

يَطُوفُ خَلْسَةً وَحِيدًا بِسِيْمَاءَ شَاحِبَةٍ مُتَجَهِّمَةً...  
بَاهَتْ لَمَعَانُ النُّجُومِ،  
ضَوْوُهَا الْمُرْتَعِشُ، الْمُنْسَلُّ خِلَالَ شَوَاطِيِ الْغِيُومِ،  
يَكْشِفُ الْمَسَالِكَ..  
وَعَبَرَ الْمَرْجَ يَسْلُكُهَا نَافِدَ الصَّبْرِ.  
تَبْدُو مَقْبِرَةً بِجَانِبِ الطَّرِيقِ،  
بَيِضَاءَ فِي الظُّلْمَةِ  
تَجْتَذِبُ بَصْرَهُ الْآنَ.  
مُفْعَمًا بِتَوْقِعِ مَرِيضٍ،  
يُجْرَجِرُ خُطَوَاتِهِ الْبَطِيئَةَ إِلَى هُنَاكَ،  
فِي نَوْعٍ مِنَ النَّشْوَةِ أَوْ الدُّوَارِ...  
شَفَتَاهُ تَرْتَعِشَانِ، وَأَيْضًا رُكْبَتَاهُ...  
فِي مَوَاجَهْتِهِ هُنَاكَ يُلُوحُ ظِلَانِ، شَبَحَانِ..  
مُتَّجِهًا إِلَيْهِمَا، يَسْمَعُهُمَا يَهْمِسَانِ فِي الظَّلَامِ،  
فَوْقَ الصَّخْرَةِ الْمُلْتَطَّخَةِ..

الصَّوْتُ الْأَوَّلُ: أَبَدًا، بِصِدْقِ،

لَأَبْدٍ مِنَ الرَّحِيلِ..

الصَّوْتُ الثَّانِي: أَهْكَذَا يَفْتُورِ تَتْرُكِينِي وَتَذَهَبِينَ؟

انتظري حتى الصباح.

الصوت الأول: لا أستطيع.

مزعج أن تتوسل.

الصوت الثاني: حبك بخيل.

الصوت الأول: ستكون أداة دماري...

الصوت الثاني: لا تذهبي، أرجوك.

الصوت الأول: وماذا لو استيقظ زوجي؟

أليكو: ابقى!

لقد استيقظ وحيك.

فلتبقى هنا، أرجوك،

فهذه المقبرة تناسبك.

زمفيرا: اهرب، يا حبيبي!

أليكو: لماذا تتعجل الرحيل؟

لا تكن متسرعا هكذا، أيها المحتال.

فلتظل ممددا!

يطعنه بسكين

زمفيرا: أليكو!

الفجري: إنني أموت...

زمفيرا: لقد قتله!...



انظُرَا دَمَهُ عَلَى يَدَيْكَ...

لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَهْلِكَ بِسَبَبِهِ،

أَعْرِفُ ذَلِكَ!...

اليكُو: مَا حَدَّثَ قَدْ حَدَّثَ.

تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَسْتَمْتِعِي بِحُبِّهِ الْآنَ.

زَمْفِيرًا: أَنْتَ عَوْلٌ، أَيُّهَا الْوَعْدُ مُتَحَجِّرُ الْقَلْبِ!

أَنَا الَّتِي أَحْبَبْتِكَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَكْرَهُكَ وَأَحْتَقِرُكَ،

وَأَلْعَنُ الشَّيْطَانَ الَّذِي أَنْجَبَكَ!...

اليكُو: مُوتِي، إِذَا!

يَطْعَنُهَا

زَمْفِيرًا: بِحُبِّي لَهُ أَمُوتَ.

أَضَاءَ نُورِ الْفَجْرِ الشَّرْقِ سَاطِعًا..

مُمْسِكًا مَا يَزَالُ بِسِكِّينِهِ، فَوْقَ حَجَرِ الْمَقْبَرَةِ الْبَارِدِ،

وَالسُّكُونُ مَنْشُورٌ عَلَى السَّهْلِ أَمَامَهُ،

جَلَسَ أَلِيكُو، مُظْلَمَ الْوَجْهِ، وَحِيدًا وَسَاكِنًا،

ثِيَابُهُ دَامِيَّةٌ،

وَعِنْدَ قَدَمَيْهِ تَسْتَلْقِي حَبِيبَتَهُ زَمْفِيرًا مَيِّتَةً

تَمَدَّدَ جَسَدُهَا بِجَوَارِ جَسَدِ حَبِيبَتِهَا...

حَوَالِيهِمْ مَاجَ الْغَجْرِ فَزَعِينِ مَرْعُوبِينَ .  
وَاحِدًا وَرَاءَ الْآخِرِ، مَعَ نِسَائِهِمْ،  
مُرْتَجِفِينَ أَسَى،

انْحَنَوْا فَوْقَ الْقَتِيلِينَ، بَاكِينَ،  
وَقَبَلُوا بِرَفِقِ الْعُيُونِ الَّتِي لَا تَرَى .  
رَاقِبَ وَالِدُ زَمْفِيرًا - مَشْلُولًا مِنَ الْحُزْنِ -  
الِاثْنَيْنِ يُحْمَلَانِ

إِلَى حَيْثُ يَنْتَظِرُهُمَا الْقَبْرُ الْمَحْفُورُ حَدِيثًا  
وَحَيْثُ، مَقْتُولِينَ بِيَدِ وَاحِدَةٍ،  
وُضِعَا وَدُفِنَا ...

رَاقِبَ أَلَيْكُو عَن بَعْدِ،  
وَحِينَ أَخَفَتْ حِفْنَةَ التُّرَابِ الْأَخِيرَةَ الْجَسَدَيْنِ،  
هُوَى لِأَسْفَلَ مِنْ فَوْقِ الصَّخْرَةِ، مُضْطَرِبَ الْوَعَى،  
وَاسْتَلْقَى هُنَاكَ فَاقِدَ الْحِسِّ وَالتَّفْكِيرِ ..

حِينَئِذٍ اقْتَرَبَ الْعَجُوزُ وَقَالَ:  
"اذْهَبِ أَيُّهَا الْمُخْتَالُ، اتْرُكْنَا!  
لَقَدْ سَرِينَا بِقَوَانِينِ مُخْتَلِفَةٍ  
وَلَا نُرِيدُ بَيْنَنَا قَاتِلًا ..."

اذْهَبْ حَيْثُمَا تُرِيدُ  
فَأَنْتَ تُؤْذِنُنَا بِأَفْعَالِكَ السُّودَاءَ وَحِمَافَتِكَ  
نَحْنُ مَنْ لَا نُحِبُّ أَنْ نُجْرَحَ أَوْ نَقْتُلَ.  
حُبُّكَ لِلْحُرِّيَّةِ - كَمْ تَتَّبَاهَى بِهِ!  
لَكِنَّكَ تُرِيدُهَا لِنَفْسِكَ وَحَدِّكَ،  
هَذِهِ الْحُرِّيَّةُ، هِيَ وَأَحَدُ الْغُرَبَاءِ  
تَسْكُنُ هُنَا بَيْنَنَا.  
نَحْنُ عَطُوفُونَ وَمَتَوَاضِعُونَ؛  
أَنْتَ فَظٌ،

وَحَيْثُ تَسِيرُ مَتَغَطِّرِسًا، نَتَعَتَّرُ نَحْنُ -  
وَلِهَذَا فَتَلْتَرَحَلُ بِسَلَامٍ وَوَدَاعًا لَكَ."

قَالَ ذَلِكَ،  
وَمَعَ ضَجِيجٍ وَقَرْقَعَةِ الْعَجَلَاتِ  
كَانَ الْمُخَيَّمُ الْعَجْرِيُّ عَلَى الطَّرِيقِ،  
مُخَلَّفًا مَنظَرَ الرُّعْبِ اللَّيْلِ وَالْكَارِثَةِ.  
قَبْلَ مَرُورِ وَقْتِ طَوِيلٍ،  
كَانَتْ الْقَافِلَةُ قَدْ غَابَتْ عَنِ النَّظَرِ،  
مُتَفَادِيَةً الْوَادِي الْمَشْتُومِ..

وَلَا تَزَالُ إِحْدَى الْعَرَبَاتِ وَأَقْفَةً مَهْجُورَةً فِي الْوَادِي  
تَتَدَلَّى مِنْهَا أَسِطَةٌ بَهَتَتْ أَلْوَانَهَا  
فِيمَا كَانَتْ زَاهِيَةً ذَاتَ يَوْمٍ.  
وَفِي فَجْرِ مُنْعَزِلِ ضِيَابِي، مَعَ اقْتِرَابِ الشِّتَاءِ،  
سَيْفَادِرُ سِرْبُ الْكُرْكِيِّ الْأَرْضِي الْمُوَحِّشَةَ،  
وَيَصْخَبُ حَادٌ وَصِيحَةٌ خَارِقَةٌ  
يَطِيرُ مَلْهُوفًا إِلَى الْجُنُوبِ، جَرِيحَ الْقَلْبِ، فَاقْدِ الْاِتِّجَاهَ  
خَافِضًا الْجَنَاحَ فِي ارْتِعَاشٍ،  
مُسْتَسْلِمًا لِلْقَدْرِ الْقَاسِي...  
أَتَى الْفَسَقُ ثُمَّ الظَّلَامُ؛  
انْتَصَبَتِ الْعَرَبَةُ، وَقَدْ لَفَّهَا الْمَسَاءُ،  
وَحِيدَةً خَاوِيَةً؛  
مَا ظَلَّ سَاهِرًا بِجَانِبِهَا أَحَدٌ،  
وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا أَشْعَلَ النَّارَ،  
وَلَا تَحْتَ سَفْفِهَا الْعُلُويُّ نَامٌ.

## هاتمة

وهكذا بعيداً عن الماضي،  
محتقراً مرور الزمن،  
يستدعي لي الصولجان السحري للشعر،  
وينفخ الحياة في أيام الفرح الحاضرة  
وأيام الحداد الراهنة.

في المنطقة التي صخبت فيها المعارك  
ذات مرة بلا انتهاء  
وإلى حدود سلطانها  
شاهد الروس، في صراعهم مع الأتراك،  
حتى إسطنبول، منتصرين،  
حيث لا يزال نسراً أمجادنا الماضية  
القديم ذو الرأسين  
يرتدي العباة المهيبة،

فِي السُّهُولِ، الَّتِي كَانَتْ فِيهَا مَضَى  
مَقَرَّ الْجَمَاعَاتِ الزَّائِلَةِ وَمَعْسَكَرَاتِ الْحُرُوبِ الْقَدِيمَةِ،

قَابَلْتُ الْعَجَرَ بِأَصْوَاتِهِمِ الْمَرِحَةَ،  
يَطُوفُونَ، صَابِرِينَ، أَسْفَلَ الطَّرْقِ التُّرَابِيَّةِ.

عَشِقُوا الْحُرِّيَّةَ وَالسَّلَامَ،  
وَمَتَجَوْلُوا مَعَهُمْ فِي السُّهُولِ،

أَحْبَبْتُ مُشَارَكَتَهُمْ فِي طَعَامِهِمِ الْبَسِيطِ،  
وَحَيَاتِهِمِ الْبَسِيطَةِ.

وَأَمَامَ نِيرَانِ مُخِيمِهِمْ، فِي الْفَسَقِ،  
نَعِسْتُ، وَوَجَدْتُ هَذَا النُّعَاسَ عَذْبًا.

امْتَلَأَ قَلْبِي بِأَغَانِيهِمِ الْمَرِحَةَ،  
وَكَثِيرًا مَا رَدَدْتُ بِرِقَّةِ اسْمِ "مَارِيُولَا".

وَبَعْدُ، أَيَا أَبْنَاءَ الطَّبِيعَةِ.

يَا مَنْ تَرَبَّيْتُمْ وَنَشَأْتُمْ فِي فَقْرٍ

أَنْتُمْ أَيْضًا مِثْلَنَا

مُعَذِّبُونَ بِالْأَحْلَامِ وَالرُّؤَى الْمُفْرِعَةَ،  
لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْهَنَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ.  
تُغَيِّرُونَ فِي هَذِهِ الْخِيَامِ الْفَقِيرَةَ الْمُتَبَدِّلَةَ  
وَلَا تَسْتَطِيعُونَ الْفِرَارَ مِنَ الْحَيَاةِ الْقَلْقَاءِ.  
لَا دِفَاعَ أَمَامَ الْهُوَى الْقَدْرِي  
وَلَا مَهْرَبَ مِنَ الْمَصِيرِ.

١٨٢٦

## مسرح شعري موزاروساليري

### المشهد الأول حُجْرَة

ساليري : يقولون: لا عدالة هنا على الأرض.

لكن لا شيء- في الآخرة.

إنها حقيقة أولية لعقلي كالسلم الموسيقي.

لقد ولدت بحب عظيم للموسيقى،

فَعِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلاً وَسَمِعْتُ صَوْتَ الأَرْغُنِّ

يَتَرَدَّدُ فِي جَنَابَاتِ الكَنِيسَةِ القَدِيمَةِ

كُنْتُ أَنْصِتُ، مُسْتَعْرِفًا فِي الإِنْصَاتِ

وَأَبْكِي، دُونَ أَنْ أَدْرِي،

دُمُوعًا مِنَ الفَرْحِ الخَالِصِ.



وَمُبَكَّرًا، تَخَلَّيْتُ عَنْ كُلِّ الْمَبَاهِجِ الرَّائِلَةِ  
 جَعَلْتُ نَفْسِي غَرِيبًا عَنْ كُلِّ الْعُلُومِ عَدَا الْمَوْسِيقَى  
 أَدْرْتُ ظَهْرِي لَهُمْ بِكِبْرِيَاءٍ صَارِمٍ،  
 لِأَمْنَحَ نَفْسِي كُلَّهَا لِلْمَوْسِيقَى.  
 شَاقَّةٌ هِيَ الْخُطْوَةُ الْأُولَى  
 وَمُوحِشَةٌ بِدَايَةِ الطَّرِيقِ.  
 تَحَمَّلْتُ الْعَوَاصِفَ الْأُولَى.  
 وَكَمُنْتُ نَحْوَ الْفَنِّ  
 اتَّجَهْتُ إِلَى الْكَمَالِ فِي حِرْفَتِي.  
 أَصْبَحْتُ مُمْتَلِكًا لِأَدْوَاتِهَا:  
 عَلَّمْتُ أَصَابِعِي الطَّلَاقَةَ الْمُدْرَبَةَ، الْجَامِدَةَ،  
 وَأُذُنِي التَّمْيِيزَ الصَّارِمَ.  
 تَفَحَّصْتُ الْمَوْسِيقَى كَجُنَّةٍ.  
 بَرَهَنْتُ عَلَى تَوَافُقَاتِهَا كَمَا الرِّيَاضِيَّاتُ الْعُلْيَا.  
 وَحِينَئِذٍ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحْتُ قَدِيرًا فِي النَّظَرِيَّةِ،  
 أَبْحَثُ لِنَفْسِي بِهَجَّةِ التَّأْلِيفِ.  
 بَدَأْتُ الْعَمَلَ، لَكِنْ فِي سِرِّيَّةٍ،  
 فِي حُلُوةٍ،  
 دُونَ أَنْ تَصِلَ الْجُرْأَةُ بِي إِلَى التَّفْكِيرِ فِي الشُّهُرَةِ.

كُنْتُ - فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ - أَجْلِسُ وَحِيدًا،  
يَوْمِينَ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بِلَا تَفْكِيرٍ فِي الطَّعَامِ أَوْ النَّوْمِ،  
غَرِيقًا فِي الدَّمُوعِ، فِي نَشْوَةِ الْإِلْهَامِ،  
بَعْدَهَا، كُنْتُ أَشْعَلُ النَّارَ فِي إِنْتَاجِي،  
وَأَرْقُبُ فِي لَامِبَالَاةٍ  
كُلَّ أَفْكَارِي، وَالْأَصْوَاتِ الْمَوْلُودَةِ مِنْ عَنَائِي  
وَهِيَ تَتَوَهَّجُ وَتَتَبَدَّدُ فِي سَحَابَةٍ مِنْ دُخَانٍ.  
فَمَاذَا عَنِ ذَلِكَ؟ حَقًّا -

فَعِنْدَمَا ظَهَرَ "جُلُوكَ" الْعَظِيمِ  
لِيَقُودَنَا إِلَى أَسْرَارٍ جَدِيدَةٍ  
(أَسْرَارُ أَسْرَةٍ، أَسْرَارٌ بِلَا قَرَارِ)  
أَلَمْ يَدْرِكْنِي الْاسْتِخْفَافُ بِكُلِّ مَا تَعَلَّمْتُ،  
كُلِّ مَا أَحْبَبْتُ، وَكُلِّ مَا كُنْتُ أُوْمِنُ بِهِ؟  
أَلَمْ أَتَّبِعْهُ بِخُطَى مَلْهُوفَةٍ، بِلَا شَكْوَى  
كَمُسَافِرٍ ضَالٍ  
أَلْتَقَى - صُدْفَةً - بِمَنْ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ؟  
وَحَلَقْتُ خِلَالَ لَا نِهَآيَةِ الْفَنِّ،  
بِالْكَدِّ وَالْجُهْدِ الْمُتَوَاصِلِ،  
وَأَنَا أَبْلُغُ أَفْقًا أَعْلَى.

أَطَلَّت الشُّهْرَةَ عَلَى طَرِيقِي وَابْتَسَمَتْ،  
بَدَأَتْ أَلْحَانِي تَجِدُ صَدَى  
تَلْقَى اسْتِجَابَةً فِي قُلُوبِ النَّاسِ .  
وَكُنْتُ سَعِيدًا :

عَرَفْتُ الْمُنْعَةَ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْعَمَلِ،  
فِي النَّجَاحِ وَالشُّهْرَةِ،  
مُبْتَهَجًا أَيْضًا أَنْ أَرَى أَعْمَالَ أَصْدِقَائِي  
مُكَلَّلَةً بِالنَّجَاحِ،

رِفَاقِي فِي خِدْمَةِ الْفَنِّ الْأَعْلَى .  
لَا، أَبَدًا مَا عَرَفْتُ لِدَغَةَ الْحَسَدِ .

لَا، أَبَدًا !

وَلَا عِنْدَمَا فَتَنَ "بُوتَشِينِي" سَمِعَ وَقَلَبَ بَارِيسَ الْهَمْجِيَّةِ،  
وَلَا حَتَّى عِنْدَمَا سَمِعْتُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى  
إِيقَاعَاتِ "إِيْفِيْجِينِيَا" لِأَسْتَاذِي الْعَظِيمِ .  
فَمَنْ الَّذِي يَجْرُؤُ عَلَى الزَّعْمِ  
أَنْ سَالِيْبِيرِي الْمُنْتَكِبُّرُ

كَانَ عُرْضَةً لِأَكْثَرِ الرِّذَائِلِ احْتِقَارًا،  
الْحَسَدِ الْعَقِيمِ، الْاَلْتِوَاءِ، الْحَمَاقَةِ،  
الْاِنْسِحَاقِ، كَثُوعِبَانِ يَخْنُقُهُ التُّرَابُ فِي الطَّرِيقِ الْعَامِ؟

ها- لا أحدا

لَكِنِ الْيَوْمِ- أَنَا نَفْسِي أَقُولُهَا-

هَا أَنَا مُضَعَّمٌ بِالْحَسَدِ.

حَسَدٌ عَمِيقٌ، أَلِيمٌ، يَسْتَنْزِفُنِي.

آه، أَيَّتَهَا الْعَدَالَةُ الْإِلَهِيَّةُ!

فَلَمْ تَأْتِ الْمَوْهَبَةُ الْمُقَدَّسَةَ،

الْعَبْقَرِيَّةَ الْأَبَدِيَّةَ،

لِتُبَارِكَ الْعَاشِقُ الْغَيُورُ،

الرَّاهِبَ الْوَرَعَ،

كَمُكَافَأَةٍ تَلِيْقُ بِالْعَنَاءِ وَالسَّهْرِ الْمُخْلِصِ،

وَلَكِنِ الْهَالَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ

حَوْلَ رَأْسِ الْعَابِثِ، الطَّائِشِ اللَّامِبَالِي-

آه مُوزَار، مُوزَار!

(يدخل موزار)

آه! لَقَدْ رَأَيْتَنِي!

مُوزَار:

كُنْتُ أَنْوِي أَنْ أَصْنَعَ مُفَاجَأَةً لَكَ،

شَيْئًا مَا يَبْعَثُ عَلَى الضَّحْكَ.

أَأَنْتَ هُنَا!

سَالِييرِي:

مَتَى أَتَيْتَ؟

الآنَ فِي التَّو.

فَلَدَى مَا أُرِيدُ عَرْضَهُ عَلَيْكَ،

وَكُنْتُ فِي طَرِيقِي إِلَى هُنَا،

عِنْدَمَا اقْتَحَمَ أُذُنِي، وَأَنَا أَمْرٌ بِالْحَانَةِ،

صَرِيرٌ عَازِفٍ كَمَا ن...

آه لَأَ، أَيُّهَا الصَّدِيقُ، سَالِيْبِرِي!

فَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ أَبَدًا فِي حَيَاتِكَ

أَيَّ شَيْءٍ كُومِيْدِي عَلَى هَذَا النَّحْوِ...

فَعَازِفُ الْحَانَةِ كَانَ يُجَاهِدُ لِيَعْرِفَ "فَوَا شِي سَابِيْت".

رَائِع!

وَكَانَ عَلَى بِيْسَاطَةٍ أَنْ آتَى بِالرَّجُلِ

لِيُقَدِّمَ لَكَ عَيْنَةً مِنْ فَنِّهِ.

أَدْخُل!

(يدخل رجلٌ عجوزٌ أعمى ومعه كمان)

وَالآنَ، فَلْتَكُنْ كَرِيْمًا،

وَلتَسْمِعِنَا شَيْئًا مِنْ مُوزَار.

يعزف العجوز مقطوعة من "دُون جُوان".

مُوزَار يغلِبُه الضَّحْكُ

سَالِيْبِرِي : وَيُمْكِنُكَ الضَّحْكُ مِنْ ذَلِكَ؟

مُوزَار :

يَا عَزِيزِي سَالِيِيرِي!

كَيْفَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَمَّاكَ نَفْسَكَ مِنَ الضَّحِكِ؟

سَالِيِيرِي : بِسُهُوْلَةٍ .

فَلَا يَدْفَعُنِي إِلَى الضَّحِكِ

أَنْ يُحَاوِلَ رَسَامٌ بَائِسٌ

تَقْلِيدَ "المَادُونَا" لِـ"رَفَائِيل".

لَا يَدْفَعُنِي إِلَى الضَّحِكِ

أَنْ يُهَيِّنَ شُوْبِعِرُّ تَافِهَ

"دَانْتِي" بِالتَّقْلِيدِ الرَّدِيءِ .

اِذْهَبْ، أَيُّهَا العَجُوزُ .

مُوزَار :

لِحِظَّةٍ وَاحِدَةٍ، تَعَالِ،

خُذْ هَذَا وَاشْرَبْ فِي صِحَّتِي،

أَيُّهَا الرَّفِيقُ الطَّيِّبُ .

(يُخْرِجُ العَجُوزَ)

أَنْتِ، يَا سَالِيِيرِي، مُنْحَرِفُ المِزَاجِ اليَوْمِ .

سَاتِي لِأَرَاكَ فِي وَقْتٍ آخَرَ .

سَالِيِيرِي : مَا الَّذِي كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ؟

مُوزَار : آه- لَيْسَ مُهِمًّا، بَلْ هُوَ أَمْرٌ تَافِهَ .

فَفِي اللَّيْلَةِ المَاضِيَةِ لَمْ أُسْتَطِعِ النَّوْمَ

- إِنَّهُ أَرْقَى الْقَدِيمِ

وَرَأَوَدْتَنِي فِكْرَتَانِ أَوْ ثَلَاثَ.

سَجَّلْتُهَا الْيَوْمَ.

وَكُنْتُ أُوَدُّ أَنْ أَعْرِفَ رَأْيَكَ فِيهَا،

لَكِنَّكَ لَسْتَ مُعْتَدِلَ الْمِزَاجِ.

سَالِييرى : آه موزار، موزار!

أَلَسْتُ مُعْتَدِلَ الْمِزَاجِ لِأَسْمَعَكَ وَأَنْتَ تَعْرِفُ؟!

هَيَّا اجْلِسْ، فَأَنَا مُنْصِتٌ.

موزار : (يجلس إلى البيانو)

تَخَيَّلْ... أَيًّا مِنْ تُرِيدُ..

أَنَا- إِنْ أَرَدْتُ- لَكِنْ أَصْغَرَ قَلِيلاً،

فِي حَالَةِ حُبٍ- لَكِنْ لَيْسَ عَمِيقًا،

مُجَرَّدَ هَوَى،

وَحَسَنَاءُ، أَوْ صَدِيقٌ- لِتَقْتَرِضَ- بِجَانِبِي-، مَبْتَهَجِينَ..

ثُمَّ، فَجَاءَ: ظَلَامٌ،

رُؤْيَا الْهَلَاكِ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ..

حَسَنًا، الْأَفْضَلُ أَنْ تَسْمَعَ...

(يعزف)

سَالِييرى : أَتَيْتَ لِي بِذَلِكَ

وَوَاتَكَ الْقُدْرَةُ عَلَى التَّوَقُّفِ خَارِجَ حَائَةِ فِي الطَّرِيقِ  
لِتَسْتَمِعَ إِلَى صَرِيرِ ذَلِكَ الْعَازِفِ الْأَعْمَى الْعَجُوزِ!..  
يَا إِلَهِي الطَّيِّبُ!

أَنْتَ، يَا مُوزَارَ، لَا تَسْتَحِقُّ نَفْسَكَ.

مُوزَارُ: أَعْجَبْتِكَ إِذَا؟

سَالِيْبِرِي: لَكِنْ يَا لَهُ مِنْ عُمُقٍ!

يَا لَهَا مِنْ جُرْأَةٍ، وَمِنْ تَوَافُقٍ فِي الشَّكْلِ!

أَنْتَ، يَا مُوزَارَ، إِلَهُ دُونَ أَنْ تَدْرِي،

وَلَكِنِّي أَدْرِي.

مُوزَارُ: يَا! هَلْ تَظُنُّ ذَلِكَ؟ رُبَّمَا...

لَكِنَّ أُلُوْهِيَّتِي تَهْفُو الْآنَ بِشِدَّةٍ إِلَى الْغَدَاءِ.

سَالِيْبِرِي: لَدَى فِكْرَةٍ: فَلْتَنَعِدْ مَعًا.

إِنَّ "الْأَسَدَ الذَّهَبِيَّ" حَائَةٌ لَطِيْفَةٌ.

مُوزَارُ: بِكُلِّ سُرُورٍ، فَذَلِكَ يُسْعِدُنِي.

لَكِنْ يَنْبَغِي أَوَّلًا أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْبَيْتِ

وَأُخْبِرَ زَوْجَتِي أَلَّا تَنْتَظِرْنِي الْيَوْمَ عَلَى الْغَدَاءِ.

(يُخْرَجُ)

سَالِيْبِرِي: سَوْفَ أَنْتَظِرُكَ، وَلَنْ أَكُلَ.

لَا لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ مَقَاوِمَةَ الْقَدْرِ الَّذِي يَحْكُمُنِي،



فَمُهْمَتِي أَنْ أُوقِفَهُ .

فَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ ،

فإِنَّمَا كُنَّا ، كَهَنَةَ وَمُرِيدِي الفَنِّ ، سَوْفَ نَفْنَى .

لَسْتُ وَحْدِي بِمَا أَمَلِكُ مِنْ قَدْرِ ضَيْلٍ مِنَ الشُّهُرَةِ ..

فَمَا الْفَائِدَةُ إِنْ كَانَ لِمُوزَارٍ أَنْ يَحْيَا

وَأَنْ يَرْقَى قِمَمًا جَدِيدَةً ،

وَذُرَى لَمْ يُدْرِكْهَا الْحُلْمُ ؟

أَبِذَلِكَ سَيْرَقَى بِالْمُوسِيقَى ؟

لَا ، لَنْ يَحْدُثَ .

فَسَتَكْفِي مِنْ جَدِيدٍ مَعَ انْطِفَائِهِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ وِرَاءَهُ وَرِيئًا

يَقُودُنَا عَلَى الطَّرِيقِ .

فَأَيُّ فَائِدَةٍ مِنْهُ ؟

لَقَدْ تَنَزَّلَ عَلَيْنَا كَمَلَاكٌ مُتَأَلِّقٌ

بِبَاقَةِ مِنَ الْأَلْحَانِ السَّمَاوِيَّةِ

لِمُجَرَّدِ أَنْ يُوقِظَ أَشْوَاقًا بِلَا أَجْنِحَةٍ فِي قُلُوبِنَا

نَحْنُ أَبْنَاءُ الطِّينِ الْبَائِسِينَ -

إِذَا ، فَلْتَحَلِّقْ بَعِيدًا !

حَلِّقْ ، حَلِّقْ إِذَا يَا مُوزَارَ !

حَلَّقَ، بِأَسْرَعِ مَا يُمَكِّنُ.

هَآ هُوَ السَّمُ، الْهَدِيَّةُ الْآخِرَةُ لِحَبِيبَتِي "إِيزُورَا".

أَحْتَفَظْتُ بِهِ طُوَالَ ثَمَانِيَّةِ عَشْرَ عَامًا-

كَمْ ابْتَلَتَنِي الْحَيَاةُ طُوَالَ هَذِهِ الْأَعْوَامِ

بِجِرَاحٍ لَا تُطَاقُ،

وَكَمْ جَلَسْتُ إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ

مَعَ غَرِيمٍ لَا يَنْتَابُهُ الْارْتِيَابُ أَبَدًا،

لَكِنِّي مَا أَصْغَيْتُ أَبَدًا لِلْهَمْسِ اللَّحُوحِ

لِلْإِغْرَاءِ الْقَاتِلِ،

رَغَمَ أَنِّي لَسْتُ جَبَانًا،

رَغَمَ حَسَاسِيَّتِي الْعَمِيقَةَ لِلظُّلْمِ،

رَغَمَ أَنِّي أَمْتَلِكُ حَيَاةً، وَإِنْ تَكُنْ رَخِيصَةً.

تَوَانَيْتُ حَتَّى الْآنِ.

وَعِنْدَمَا جَاءَتْ أُمْنِيَّةُ الْمَوْتِ لِتُعَذِّبَنِي،

حَقًّا، مَا الْمَوْتُ؟

كُنْتُ أَظُنُّ: أَنَّ الْحَيَاةَ رُبَّمَا تُمَطِّرُنِي

ذَاتَ يَوْمٍ بِمَا لَمْ أَتَوَقَّعْ مِنْ هِيَاتِ،

أَنَّ النُّشُوءَ الْغَامِرَةَ رُبَّمَا تَأْتِي مِنْ جَدِيدِ،

النَّشْوَةَ، وَلَيْلَةَ الْإِلْهَامِ،  
 رَبِّمَا أَتَى "هَائِدِينَ" جَدِيدِ  
 لِيُؤَلِّفَ أَحَدَ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ فَتَمَنِّحَنِي السَّعَادَةَ..  
 أَوْ رَبِّمَا قَابَلْتُ- فِي وَلِيمَةِ لِبَعْضِ الضُّيُوفِ الْمَرْدُولِينَ-  
 غَرِيماً قَاتِلاً،  
 رَبِّمَا أَطَاحَ بِي ظُلْمٌ مُمَيِّتٌ  
 عَنِ الْأَعَالِي الْمُهَيِّنَةِ-  
 وَقَتَهَا، لِأَصْبَحْتَ هَدِيَّةً "إِيزُورًا" إِذَا.  
 أَكْثَرَ فَائِدَةٍ.  
 وَكُنْتُ مُحَقِّقًا!  
 فَهَا أَنَا أَخِيرًا قَدْ عَثَرْتُ عَلَى غَرِيْمِي،  
 وَهَا هُوَ "هَائِدِينَ" الْجَدِيدِ  
 قَدْ أَيْقَظَنِي عَلَى النَّشْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ!  
 وَالْآنَ- هُوَ الْوَقْتُ!  
 آم، يَا هَدِيَّةَ الْحُبِّ الْمُقَدَّسَةِ  
 الْيَوْمَ سَتَعْبُرِينَ إِلَيَّ كَأَسِ الصَّدَاقَةِ.

## المشهد الثاني

غرفة خاصة فى الحانة، بيانو  
مُوزار وساليرى إلى منضدة

ساليرى : أنت اليوم متجهم ملول، ماذا بك؟

مُوزار : أنا؟

لا !

ساليرى : أحدث شىء مزعج؟

فالفداء جيد،

والخمر من أفضل الأنواع،

لكنك تجلس صامتاً، متجهماً...

مُوزار : أعترف لك

بأنَّ القُدَّاسَ الجنائزى الذى أوَّلَّفه يُقلِّقُنِي.

ساليرى : آه !

توَّلَّفُ قُدَّاساً جنائزياً!

منذ متى؟

مُوزَار :

مُنذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ - ثَلَاثَةِ أَسَابِيعٍ .

لَكِنَّهُ - إِلَى حَدِّ مَا - غَرِيبٌ ...

أَلَمْ أُخْبِرْكَ ؟

سَالِييرِي : نعم لم تخبرني

إِذَا ، فَاسْمَعِ .

مُوزَار :

مُنذُ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعٍ عُدْتُ مُتَأَخِّرًا إِلَى الْبَيْتِ

فَأَخْبَرُونِي أَنَّ زَائِرًا طَلَبَ أَنْ يَرَانِي .

لَمْ يَذْكُرْ مِهْنَتَهُ .

وَوَضَّعْتُ أَسْأَلَ طُولَ اللَّيْلِ :

تُرَى مَنْ يَكُونُ ؟

وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي ؟

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ سَأَلَ عَنِّي مِنْ جَدِيدٍ .

وَمَرَّةً أُخْرَى كُنْتُ خَارِجَ الْبَيْتِ .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ ابْنِي الصَّغِيرِ

عَلَى أَرْضِ الْحُجْرَةِ .

نَادَى عَلَيَّ مِنَ الْخَارِجِ شَخْصٌ مَا .

ذَهَبْتُ .

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَرْتَدِي مَلَابِيسَ الْحِدَادِ السُّودَاءِ ،

بَادَرَنِي بِإِنْجِنَاءٍ مُهَذَّبَةٍ ،

وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَكْتُبَ قُدَّاسًا جَنَائِزِيًّا .  
وَمَضَى .

جَلَسْتُ لِلْعَمَلِ عَلَى الْقَوْرِ ...

لَكِنْ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ

لَمْ يَأْتِ الرَّجُلُ ذُو الْمَلَابِسِ السَّوْدَاءِ

لِيُطَالِبَ بِالْعَمَلِ ...

وَأَنَا - عَلَى نَحْوِ مَا - سَعِيدٌ .

فَسَيُّحِزْنِي أَنْ أَرَى عَمَلِي يَضِيْعُ .

عَلَى آيَةِ حَالٍ ، فَالْقُدَّاسُ جَاهِزٌ تَمَامًا .

وَلَكِنِّي ...

سَالِيْرِي : وَلَكِنَّكَ ... ؟

مُوْزَار : أَحْسُ الْآنَ أَنَّ مِنَ الْعَارِ أَنْ أَسْمَعَ ...

سَالِيْرِي : مَاذَا ؟

مُوْزَار : لَيْلَ نَهَارٍ مَا يَزَالُ الرَّجُلُ بِمَلَابِسِهِ السَّوْدَاءِ

يُطَارِدُنِي .

وَكَشِبِحٍ يَرْكُضُ خَلْفِي

أَيْنَمَا وَجَّهْتُ خُطَوَاتِي .

حَتَّى الْآنَ ، فَهُوَ يَبْدُو لِي

رَجُلًا ثَالِثًا يَجْلِسُ مَعَنَا إِلَى الْمِنْضَدَةِ .

سالييري : أوه، هيّا!

إِنَّهَا خَيَالَاتٌ صِبْيَانِيَّةٌ، لَا أَكْثَرُ!

فَمِثْلُ هَذِهِ الْمَخَاوِفِ بِلَا أَسَاسٍ.

فَلْتَنْفُضْهَا عَنكَ!

كَانَ صَدِيقِي "بُومَارَشِيه" يَقُولُ لِي:

"أَخِي سَالِييري،

عِنْدَمَا تَتَنَابَكَ الْأَفْكَارُ السُّودَاءُ،

فَإِنَّ الْعِلَاجَ الذَّهَبِيَّ

هُوَ أَنْ تَفْتَحَ زُجَاجَةَ شَمْبَانِيَا

أَوْ تَقْرَأَ "زَوَاجَ فِيجَارُو" ."

بِالطَّبْعِ!

مُوزَار:

كَانَ "بُومَارَشِيه" صَدِيقًا لَكَ،

فَلَهُ أَلْفَتْ "تَارَار"،

يَا لَهَا مِنْ أُوبرَا مَرِحَةٍ.

فِيهَا أَحَدُ الْأَلْحَانِ

أَتَرَنَّمُ بِهِ عَادَةً عِنْدَمَا أَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ...

لَا لَا لَا لَا...

آه، أَحَقِيقِي، يَا سَالِييري،

أَنَّ "بُومَارَشِيه" قَدْ دَسَّ السُّمَّ

وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَكْتُبَ قُدَّاسًا جِنَائِزِيًّا.  
وَمَضَى.

جَلَسْتُ لِلْعَمَلِ عَلَى الْفُورِ...

لَكِنْ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ

لَمْ يَأْتِ الرَّجُلُ ذُو الْمَلَابِسِ السُّودَاءِ

لِيُطَالِبَ بِالْعَمَلِ...

وَأَنَا - عَلَى نَحْوِ مَا - سَعِيدٌ.

فَسَيُحْزِنُنِي أَنْ أَرَى عَمَلِي يَضِيعُ.

عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَالْقُدَّاسُ جَاهِزٌ تَمَامًا.

وَلَكِنِّي...

سَالِييرِي : وَلَكِنَّكَ...؟

مُوزَار : أَحْسُ الْآنَ أَنَّ مِنَ الْعَارِ أَنْ أَسْمَحَ...

سَالِييرِي : مَاذَا؟

مُوزَار : لَيْلَ نَهَارٍ مَا يَزَالُ الرَّجُلُ بِمَلَابِسِهِ السُّودَاءِ

يُطَارِدُنِي.

وَكَشَبِحُ يَرْكُضُ خَلْفِي

أَيْنَمَا وَجَّهْتُ خُطَوَاتِي.

حَتَّى الْآنَ، فَهُوَ يَبْدُو لِي

رَجُلًا ثَالِثًا يَجْلِسُ مَعَنَا إِلَى الْمِنضَدَةِ.



سالييري : أوه، هيّا!

إِنَّهَا خَيَالَاتٌ صِبْيَانِيَّةٌ، لَا أَكْثَرُ!

فَمِثْلُ هَذِهِ الْمَخَاوِفِ بِلَا أُسَاسٍ.

فَلْتَتَفَضَّهَا عَنْكَ!

كَانَ صَدِيقِي "بُومَارَشِيه" يَقُولُ لِي:

"أَخِي سَالِييري،

عِنْدَمَا تَتَنَابَكَ الْأَفْكَارُ السُّودَاءُ،

فَإِنَّ الْعِلَاجَ الذَّهَبِيَّ

هُوَ أَنْ تَفْتَحَ زُجَاجَةَ شَمْبَانِيَا

أَوْ تَقْرَأَ "زُوَاجَ فِيجَارُو" ."

بِالطَّبْعِ!

مُوزَار :

كَانَ "بُومَارَشِيه" صَدِيقًا لَكَ،

فَلَهُ أَلْفَتْ "تَارَار"،

يَا لَهَا مِنْ أُوبِرَا مَرِحَةٍ.

فِيهَا أَحَدُ الْأَلْحَانِ

أَتَرْتُمُ بِهِ عَادَةً عِنْدَمَا أَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ...

لَا لَا لَا لَا...

آه، أَحْقِيقِي، يَا سَالِييري،

أَنَّ "بُومَارَشِيه" قَدْ دَسَّ السُّمَّ

ذَاتَ يَوْمٍ، لِأَحَدِ الْأَشْخَاصِ؟

سَالِييرِي : لَا أَظُنُّ ذَلِكَ:

فَقَدْ كَانَ ضَحُوكًا

إِلَى حَدٍّ لَا يَتَلَاءَمُ وَمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ الْكَرِيهِ.

مُوزَار : لَقَدْ كَانَ عَبَقْرِيًّا،

مِثْلَكَ وَمِثْلِي.

وَالْخِسَّةُ وَالْعَبَقْرِيَّةُ مُتَنَافِرَتَانِ.

أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

سَالِييرِي : هَلْ تَظُنُّ ذَلِكَ؟

(يُدْسُ السُّمَّ فِي كَأْسِ مُوزَارِ)

وَلَكِنَّكَ لَا تَشْرَبُ.

مُوزَار : فِي صِحَّتِكَ، يَا صَدِيقِي،

وَلَتَدُمُ الرَّاْبِطَةُ الْحَقِيقِيَّةُ

الَّتِي تَجْمَعُ مُوزَارَ وَسَالِييرِي مَعًا،

ابْنِي النَّعْمِ وَالْمُوسِيقَى.

(يَشْرَبُ)

سَالِييرِي : انْتَظِرْ!

انْتَظِرْ، انْتَظِرْ!

آه، لَقَدْ شَرِبْتَ الْكَأْسَ! ...

بِدُونِي؟

(يلقى منديله على المائدة)

مُوزَار :

كَفَى،

لَا أُرِيدُ مَزِيدًا .

(يذهب إلى البيانو)

وَالآنَ، يَا سَالِيِرِي،

قُدَّاسِي الْجَنَائِزِي .

(يعزف)

أَتَبْكِي؟

سَالِيِرِي : لَمْ أَبْكِ - مِنْ قَبْلِ أَبَدًا - مِثْلَ هَذِهِ الدُّمُوعِ،

دُمُوعٌ عَذْبَةٌ وَمَرِيرَةٌ فِي آنٍ،

كَأَنَّ عِبْنًا كَرِيهًا مِنَ الدُّيُونِ

قَدْ سَقَطَ عَنِّي،

أَوْ أَنَّ السُّكَّيْنَ الشَّافِيَةَ

قَدْ بَتَّرَتْ - فِي رَحْمَةٍ - عُضْوًا فَاسِدًا!

فَيَا مُوزَارَ الطَّيِّبِ،

لَا تُبَالِ بِهَذِهِ الدُّمُوعِ .

أَكْمَلِ الْعَزْفَ،

أَسْرِعْ لِتُشْبِعَ رُوحِي بِالْأَنْعَامِ ...

مُوزَار:

لَوْ أَنَّ كُلَّ امْرِئٍ أَحَسَّ هَكَذَا بِقُوَّةِ الْمَوْسِيقَى!

لَكِن لَّا :

فَالْأَرْجَحُ أَنْتَذُ أَنْ الْعَالَمَ سَيَتَوَقَّفُ:

فَلَنْ يَهْتَمُّ أَحَدٌ بِالْاِحْتِيَاجَاتِ الْاَسَاسِيَّةِ

لِلْحَيَاةِ الْعَادِيَّةِ،

وَسَوْفَ يَنْذُرُ الْجَمِيعُ نَفْسَهُمْ بِحُرِّيَّةِ لِلْفَنِّ،

كَمْ نَحْنُ قَلَّةٌ:

نَحْنُ الْمَرْحُونَ وَالصَّفْوَةُ

الْقَادِرُونَ عَلَى اِحْتِقَارِ الْمَنْفَعَةِ

وَخِدْمَةِ رَبٍّ وَاحِدٍ كَمَا "الزُّبُلُوتِيِّينَ" \*: الْجَمَالَ.

أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

وَلَكِنِّي لَسْتُ عَلَى مَا يُرَامُ الْيَوْمَ.

ثَقُلْ مَا يَغْشَانِي.

سَأَمْضِي وَأَنَا.

إِلَى اللِّقَاءِ إِذَا!

سَالِيِيرِي : وَدَاعَا.

(وَحْدَهُ)

سَيَدُومُ نَوْمُكَ يَا مُوزَارَ أَبَدًا!

\* طائفة دينية يهودية قديمة.

أَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِّ،  
وَأَنْ لَسْتُ عَبْقَرِيًّا؟  
الْخِسَّةُ وَالْعَبْقَرِيَّةُ مُتَنَافِرَتَانِ.  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.  
وَبُونَارُوتِي؟  
هَلْ شَوَّهَتْ سُمْعَتَهُ الشَّائِعَاتُ الْحَمَقَاءُ؟  
أَلَمْ يَرْتَكِبِ الرَّجُلُ الَّذِي بَنَى الْفَاتِيكَانَ  
أَيَّةَ جَرِيمَةٍ قَتَلَ، فِي الْحَقِيقَةِ؟

١٨٣٠

## حُورِيَّةُ الْمَاءِ

شاطئ الدُّنْيَبَر. طاحونة  
الطَّحَّان وابنته

الطَّحَّان: هيه، أَنْتَن جَمِيعًا عَلَى نَفْسِ الشَّاكِلَةِ،  
أَيْتَهَا الْفَتَيَاتُ الطَّائِشَاتُ،  
حَمَقَاوَاتٌ مُعَفَّلَاتٌ.  
فَعِنْدَمَا يُرْسِلُ الْحِظُّ لَكُنَّ رَجُلًا ذَا حَيْثِيَّةٍ،  
هَدِيَّةٌ يُحَسَدُ الْمَرْءُ عَلَيْهَا،  
فَوَاجِبُكُنَّ الصَّرِيحُ هُوَ الْارْتِبَاطُ الْمَتِينُ بِهِ.  
كَيْفَ؟

بِالسُّلُوكِ الْمُنْتَزِنِ، الْعَفِيفِ،  
الصَّارِمِ حِينًا، وَاللَّيِّنِ حِينًا،  
بِالتَّقَلُّبِ إِزَاءَ عَاطِفَتِهِ.  
تَلْمِيحَةً - أَحْيَانًا، بِشَكْلِ عَابِرٍ - إِلَى الزَّوْجِ،  
وَأَخِيرًا، وَأَهْمُ شَيْءٍ، الْمُحَافِظَةُ عَلَى الْعُذْرِيَّةِ،

تِلْكَ الثَّرْوَةُ الَّتِي لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ،  
وَالَّتِي إِنْ ضَاعَتْ ذَاتَ مَرَّةٍ، كَمَا تَجْرِي بِذَلِكَ الْأَقْوَالِ،  
فَلَنْ تُسْتَعَادَ أَبَدًا .  
وَالْأَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَمَلٌ فِي زَوْاجٍ صَادِقٍ،  
أَمَلٌ فِي أَجْرَاسِ الرِّفَافِ،  
فَعَلَى الْأَقْلِ، إِذَا، يَجِبُ أَنْ تَحْصُلْنَ عَلَى بَعْضِ الْمَزَايَا  
لِعَائِلَاتِكُنَّ،  
بَعْضِ الْفَوَائِدِ الْبَسِيطَةِ،  
تَأْمَلْنَ، لِمَاذَا تَقُولُ الْأَغْنِيَةُ الْقَدِيمَةَ:  
"إِنَّهُ لَنْ يُحْبِبَنِي أَوْ يُحَاوِلَ إِسْعَادِي إِلَى الْأَبَدِ"  
وَلَكِنْ، لَا يَا عَزِيزَتِي  
فَأَنْتُنَّ لَا تُفَكِّرْنَ فِي انْتِهَازِ الْفُرْصِ!  
لَيْسَ هُوَ الْوَقْتُ الْمُلَائِمُ، هَكَذَا تَقُلْنَ،  
وَتَفْقِدْنَ عُقُولَكُنَّ،  
فَأَنْتُنَّ سَعِيدَاتٌ بِتَحْقِيقِ كُلِّ رَغْبَاتِهِ بِلَا مُقَابِلِ،  
سَعِيدَاتٌ بِالتَّعَلُّقِ بِرَقَبَةِ حُبِّكُنَّ طُولَ الْيَوْمِ،  
وَلَكِنْ حُبُّكُنَّ الْحَقِيقِيَّ الْيَوْمَ هُنَا، وَغَدًا يَذْهَبُ،  
وَأَنْتُنَّ - مَهْجُورَاتٌ، خَاوِيَاتُ الْوِفَاضِ،  
هِيَه، يَا لَكُنَّ مِنْ حَمَقَاوَاتِ .

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مِائَةَ مَرَّةٍ:  
الآن، انْتَبِهِي، يَا ابْنَتِي،  
لَا تَكُونِي حَمَقَاءَ، لَا تُضَيِّعِي الْفُرْصَ، يَا فَتَاتِي،  
لَا تَدْعِي الْأَمِيرَ يَتَسَرَّبَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِكَ،  
لَا تَمْنَحِي نَفْسَكَ بِلَا مُقَابِلِ.

فَمَا هِيَ النَّتِيجَةُ؟  
رُبَّمَا كَانَ عَلَيْكَ الْآنَ أَنْ تَجْلِسِي  
وَتَسْفَحِي دُمُوعَ عَيْنَيْكَ الْجَمِيلَتَيْنِ إِلَى الْأَبَدِ.  
فَلَنْ تُعِيدَهُ الدُّمُوعُ.

وَلَكِنْ : الابنة :

مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَعِدْ يُحِبُّنِي؟  
مَاذَا تَقْصُدِينَ؟

الطَّحَّانُ:

وَلَكِنْ كَيْفَ؟  
كَمْ مَرَّةً فِي الْأُسْبُوعِ  
كَانَ مُعْتَادًا أَنْ يَزُورَ طَاحُونَتَنَا الْفَقِيرَةَ؟  
هِيهِ؟

كُلَّ يَوْمٍ سَعِيدٍ، وَأَحْيَانًا مَرَّتَيْنِ فِي الْيَوْمِ-  
ثُمَّ بَدَأَ فِي الْمَجِيءِ مَرَّاتٍ أَقْلَ،  
فَمَرَّاتٍ أَقْلَ-



وَمَا هِيَ تِسْعَةُ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ قَدْ مَرَّتْ مُنْذُ كَانَ هُنَا.

فَمَاذَا تَقُولِينَ فِي ذَلِكَ؟

إِنَّهُ مَشْغُولٌ،

الابنة :

أَتَظُنُّ أَنَّهُ بِلَا مَسْئُولِيَّاتٍ؟

إِنَّهُ لَيْسَ طَحَّانًا -

فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقِفَ وَيَتْرَكَ طَاحُونَةَ الْمَاءِ تَعْمَلُ بَدَلًا مِنْهُ.

فَهُوَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ

إِنَّ عَمَلَهُ أَكْثَرُ الْأَعْمَالِ مَشَقَّةٌ فِي الْعَالَمِ.

حَدُوثَةٌ لَطِيفَةٌ.

الطَّحَّانُ :

فَمَتَى يَعْمَلُ الْأُمَرَاءُ؟

مَا هُوَ عَمَلُهُمْ؟

صَيْدُ الثَّعَالِبِ، وَالْأَرَانِبِ الْبَرِّيَّةِ،

إِقَامَةُ الْوَلَائِمِ، وَالْعَرِيدَةِ،

وإِرْهَابُ الْجِيرَانِ بِالصِّيَّاحِ،

والتَّغْرِيرُ بِمِثْلَاتِكَ مِنَ السَّادِجَاتِ الْفَقِيرَاتِ.

عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِنَفْسِهِ،

فَيَا لَهُ مِنْ رَفِيقٍ بَائِسٍ، يُعَانِي الْقَسْوَةَ!

وَالْمَاءُ يَعْمَلُ بَدَلًا مِنِّي، حَقًّا! ...

إِنِّي لَا أَعْرِفُ السَّلَامَ بِاللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ،

يَقْطُ دَائِمًا!

حِينًا هُنَا، وَحِينًا هُنَاكَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ،  
الْبَلَى أَنَا، وَأَنَا التُّقُوبُ.

لَوْ أَنَّكَ - فَقَطْ - سَأَلْتَ الْأَمِيرَ  
مَبْلَغًا صَغِيرًا مِنَ النُّقُودِ لِتَجْدِيدِ الطَّاحُونَةِ  
لَأَمَكَّنَ عَمَلُ شَيْءٍ مَا.

الابنة : آه !

الطَّحَّانُ : مَا الْخَبَرُ؟

الابنة : أَسْمَعُ صَوْتَ وَقَعِ حَوَافِرِ!

حَوَافِرِ حِصَانِهِ... إِنَّهُ هُوَ!

الطَّحَّانُ : انظُرِي، يَا ابْنَتِي،

تَذَكَّرِي نَصِيحَتِي، وَلَا تَنْسِي.

الابنة : هُوَ، هَا هُوَ

(يدخل الأمير. والسائس يقود حصانه بعيداً)

الأمير : صَبَّاحَ الْخَيْرِ، يَا حُبِّي الْغَالِي.

صَبَّاحَ الْخَيْرِ، أَيُّهَا الطَّحَّانُ.

الطَّحَّانُ : أَهْلًا بِكَ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْكَرِيمُ.

لَقَدْ مَرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ طَوِيلٍ

مُنْذُ تَشَرَّفْنَا آخِرَ مَرَّةٍ بِطَلْعَتِكَ الْبَهِيَّةِ.

سَأْمُضِي لِأَحْضِرَ لَكَ بَعْضَ الْمُرْطَبَاتِ .  
(يُخْرَجُ)

الابنة :

آه، أَخِيرًا جِدًّا تَذَكَّرْتِي !  
أَتَظُنُّ أَنْ لَيْسَ مِنَ الْعَارِ  
أَنْ تُسَلِّمَنِي لِلْعَذَابِ هَكَذَا طَوِيلًا  
مَعَ الْفِرَاقِ، وَالْقَلْقِ الْقَاسِيِ، وَالْإِنْتِظَارِ؟  
آه لَوْ عَرَفْتَ آيَةَ أَفْكَارِ رَاوَدْتِي !  
آيَةٌ مَخَاوِفَ مُرْعِبَةٍ سَحَقَتْ قَلْبِي الْبَائِسِ !  
كَأَنَّ يَتَهَيَّأُ لِي أَحْيَانًا أَنْ الْحِصَانَ قَدْ جَمَعَ بِكَ  
إِلَى أَحَدِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ، أَوْ الْمُنْحَدِرَاتِ،  
أَوْ أَنَّ دُبًّا قَتَلَكَ فِي الْغَابَةِ،  
أَنَّكَ مَرِيضٌ،  
أَوْ أَنَّكَ لَمْ تَعُدْ تُحِبُّنِي -  
وَلَكِنْ حَمْدًا لِلَّهِ !  
فَأَنْتَ مَا تَزَالُ حَيًّا وَبِخَيْرٍ،  
وَمَا تَزَالُ تُحِبُّنِي، كَمَا مِنْ قَبْلِ، يَا أَمِيرِي،  
أَلَسْتُ عَلَى صَوَابٍ؟  
كَمَا مِنْ قَبْلِ، يَا مَلَائِكِي .  
لَا، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ -

الأمير :

هِيَ : لَكِنَّكَ تَبْدُو حَزِينًا.

مَا الْخَبْرُ، يَا حَبِيبِي؟

الْأَمِيرُ : هَلْ أَبْدُو حَزِينًا؟

لَقَدْ تَخَيَّلْتِ أَنْتِ ذَلِكَ.

لَا، فَأَنَا فَرِحَ

كَمَا دَائِمًا عِنْدَمَا أَرَاكَ، يَا حَبِيبَتِي.

هِيَ : لَا،

فَعِنْدَمَا تَكُونُ فَرِحًا

فَأِنَّكَ تَأْتِي جَرِيًّا إِلَيَّ

وَتَصِيحُ وَأَنْتِ مَا تَزَالُ بَعِيدًا:

"أَيْنَ حُلُوتِي، مَاذَا تَفْعَلُ؟"

ثُمَّ تُقْبِلُنِي،

وَتَسْأَلُنِي:

إِنْ كُنْتُ سَعِيدَةً بِرُؤْيَيْكَ؟

وَهَلْ تَوَقَّعْتُ أَنْ تَأْتِي مُبَكَّرًا هَكَذَا؟

وَلَكِنَّكَ - الْآنَ - تَسْتَمِعُ لِي وَلَا تَقُولُ شَيْئًا،

لَا تُعَانِقُنِي، لَا تُقْبِلُ عَيْنِي،

مُؤَكَّدٌ، لَدَيْكَ مَا يَبْعَثُ عَلَيَّ الْقَلْقَ، مَا هُوَ؟

أَرَبِمَا كُنْتُ غَاضِبًا مِنِّْي؟

الأمير :

حَقًّا، فَالْأَمْرُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِخْفَاءَ.

لَقَدْ خَمَنْتِ الْحَقِيقَةَ!

فَقَلْبِي الْآنَ مُثْقَلٌ بِالْأَسَى-

الْأَسَى الَّذِي لَا تُبَدِّدُهُ الرَّقَّةُ أَوْ الْقُبُلَاتُ الْحَارَّةُ،

لَا يُمَكِّنُ التَّخْفِيفُ مِنْهُ، أَوْ حَتَّى الْمُشَارَكَةَ فِيهِ-

لَكِنَّهُ جَارِحٌ لِي أَلَّا أُشَارِكَ حُزْنًا وَاحِدًا-

بُحْ لِي بِسِرِّكَ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ.

فَلَوْ لَمْ تُفْصِحْ لِي عَنْهُ، لَبَكَيْتِ،

وَلَوْ أَفْصَحْتَ

لَمَا سَقَطَتْ مِنِّْي دَمْعَةٌ بِالْأَلَمِ عَلَى قَلْبِكَ.

لِمَاذَا أُجْرَجِرُهُ وَتَيْدًا؟

فَالْأَفْضَلُ أَنْ أُعْلِنَهُ سَرِيعًا،

حَبِيبَتِي، عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفِي

أَنْ لَا سَعَادَةَ أَبَدِيَّةً فِي هَذَا الْعَالَمِ،

لَا جَاهَ، وَلَا جَمَالَ، لَا قُوَّةَ، وَلَا غِنَى،

لَا شَيْءَ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْمِينَا مِنْ ضَرِيَّاتِ الْقَدْرِ الْعَمِيَاءِ.

وَنَحْنُ- أَلَيْسَ صَحِيحًا، يَا حُلُوتِي الصَّغِيرَةَ

أَنْنَا قَدْ نَلْنَا الْكَثِيرَ مِنَ السَّعَادَةِ مَعًا.

أَنَا، عَلَى الْأَقْل، كُنْتُ سَعِيدًا مَعَكَ، بِحُبِّكَ،

هي :

الأمير :

وَالآنَ، مَهْمَا جَرَى لِي بَعْدَ ذَلِكَ،  
وَأَيُّمَا أَكُونُ، سَأَتَذْكُرُكَ، يَا حَبِيبَتِي،  
فَفِي افْتِقَادِكَ افْتِقَادٌ لِثَرْوَةٍ لَا تُعَوِّضُ أَبَدًا.  
أَنَا لَا أَفْهَمُ تَمَامًا حَتَّى الْآنَ كَلِمَاتِكَ،  
هِيَ :

لَكِنِّي مَرْعُوبَةٌ.  
فَالْقَدْرُ يُشْهَرُ تَهْدِيدًا مَا فِي وَجْهَيْنَا،  
يُعِدُّ لِكَارِثَةٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ، أَوْ مُنْتَظَرَةٍ.  
لَيْسَ - الْفِرَاقُ ؟  
لَقَدْ حَلَلْتُ الْلُغْزَ.

الأمير:

فَالْقَدْرُ يَقْضِي بِأَنْ نَفْتَرِقَ.  
لَكِنْ مَنْذَا الَّذِي سَيُفْرَقُنَا ؟  
هِيَ :

أَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْبِعَكَ أَيُّمَا تَمْضِي،  
سَيْرًا عَلَى الْأَقْدَامِ، إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ ؟  
سَأَرْتَدِي ثِيَابَ صَبِي  
وَسَأُخْدِمُكَ بِعِنَايَةٍ وَإِخْلَاصٍ فِي الطَّرِيقِ،  
أَوْ فِي الْمِيدَانِ، عِنْدَ الْحَرْبِ -  
أَنَا لَا أَخَافُ الْحَرْبَ -  
لَوْ أَنِّي سَأَرَاكَ فَحَسَبْتُ وَأَكُونُ قَرِيبَةً مِنْكَ.  
لَا، لَنْ أَصَدِّقَ ذَلِكَ!

فِيمَا أَنْكَ تَضَعُنِي فِي امْتِحَانٍ  
 أَوْ أَنْكَ تُرِيدُ إِغَاظَتِي - مِرْحَةً فَارِغَةً.  
 لَأَ، لَأَ، لَسْتُ فِي حَالَةٍ تَسْمَحُ بِالْمِرَاحِ،  
 وَلَا حَاجَةَ بِي لِأَنْ أَضْعَكَ فِي امْتِحَانٍ،  
 وَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَمْضِيَ لِحَرْبٍ وَلَا لِإِلَادٍ بَعِيدَةٍ.  
 سَأَبْقَى بِالْبَيْتِ،  
 وَالْآنَ، يَنْبَغِي أَنْ نَفْتَرِقَ، يَا حَبِيبَتِي، إِلَى الْأَبَدِ.  
 أَنْتَظِرُ، لَقَدْ فَهَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ.

الأمير :

هي :

سَوْفَ تَتَزَوَّجُ؟

(الأمير صامت)

سَوْفَ تَتَزَوَّجُ!

لأَبَدًا لِي.

الأمير :

ضَعِي نَفْسَكَ مَكَانِي، أَيَّتَهَا الطِّفْلَةُ الْبَائِسَةَ.  
 فَلَيْسَ لِلْأَمِيرِ أَنْ يُطِيعَ قَلْبَهُ كَالْفَتَيَاتِ الصَّغِيرَاتِ -  
 فَهُوَ لَيْسَ حُرًّا،  
 بَلْ يَخْتَارُ وَفَقًا لِحِسَابَاتٍ وَضَعَهَا الْآخَرُونَ  
 لِمَصْلَحَةِ الْآخَرِينَ...  
 الزَّمَنُ وَالرَّبُّ سَوْفَ يَهْدِيَانِ مِنْ حُزْنِكَ،  
 فَلَا تَنْسِينِي،

وَخُذِي هَذَا التَّاجَ ذِكْرِي لِي -  
سَأَضَعُهُ لَكَ .

وَأَحْضَرْتُ هَذِهِ الْقِلَادَةَ، أَيْضًا -  
تَعَالَى، خُذِيهَا - وَهَذَا أَيْضًا -  
أَحْضَرْتُهُ لِأَبِيكَ الطَّيِّبِ .  
فَلْتَعْطِيهِ لَهُ .

(يضع حقيبة مليئة بالذهب في يدها)  
وَدَاعًا -

هي : لَحْظَةً وَاحِدَةً . هُنَاكَ شَيْءٌ سَوْفَ ..  
لَقَدْ نَسَيْتُ ..

تَذَكَّرِي . : الأَمِيرُ :

بِالنَّسْبَةِ لَكَ لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ...  
لَا، لَيْسَ ذَلِكَ ...

انتظري، انتظري -

مُسْتَحِيلٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتْرُكِنِي الْآنَ إِلَى الْأَبَدِ ..  
لَا. كُلُّ ذَلِكَ خَارِجَ الْمَوْضُوعِ ..  
آه! لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْآنَ :

الْيَوْمَ تَحَرَّكَ طِفْلُكَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي بَطْنِي .

أَيَّتْهَا الْفَتَاةُ التَّعِيسَةَ مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَفْعَلَهُ؟ : الأَمِيرُ :



فَلْتَهْتَمِي بِنَفْسِكَ وَلَوْ مِنْ أَجَلِهِ،  
وَلَنْ أَهْجُرَكَ أَنْتِ أَوْ طِفْلَكَ الْبَائِسِ.  
فَعَاجِلًا أَوْ آجِلًا، رُبَّمَا آتَى بِنَفْسِي لِيُزَارِتَكَ.  
فَلْتَهْدِي.  
لَا تَبْكِي.

هَيَّا، فَلَاخُذْكَ بَيْنَ ذِرَاعِي لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ.  
(فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْخَارِجِ)

أَوْفَا! ذَلِكَ الـ...

عِبَاءٌ ثَقِيلٌ أُزِيحُ عَنْ كَاهِلِي.  
لَقَدْ تَوَقَّعْتُ عَاصِفَةً،  
لَكِنَّ الْأُمُورَ مَرَّتْ بِسَلَامِ.  
(يُخْرَجُ. تَظَلُّ سَاكِنَةٌ)

(وَهُوَ يَدْخُلُ)

الطَّحَّانُ:

هَلْ لِي أَنْ أَدْعُوكُمْ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ،  
إِلَى مَبْنَى الطَّاحُونَةِ...  
أَيْنَ ذَهَبَ؟

قُولِي لِي، أَيْنَ أَمِيرُنَا؟

بَاه، بَاه، بَاه! يَا لَهُ مِنْ تَاجٍ!  
إِنَّهُ يَلْمَعُ بِالْجَوَاهِرِ، وَيَتَوَهَّجُ كَالنَّارِ!

وَلَا لِيُ أَيضًا! ...

حَسَنٌ، لِأُبَدَّ أَنَّهَا هَدِيَّةٌ مَلَكَيَّةٌ.

آه، يَا لَهُ مِنْ مُحْسِنٍ!

وَمَا هَذَا؟ حَقِيبَةٌ!

لَيْسَتْ نُقُودًا، أَهَى كَذَلِكَ؟

لِمَاذَا تَقْفِينِ هُنَاكَ بِلَا رَدِّ؟ بِلَا كَلِمَةٍ؟

أَمْ أَنَّكَ جُنَيْتِ مِنَ الْفَرْحِ بِهَذَا الْحِظِّ الْمُفَاجِئِ،

أَوْ أُصِيبَتْ بِالتَّشْنُجِ؟

لَا، لَا أُصَدِّقُ، فَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ.

الابنة :

لَقَدْ أَحْبَبْتَهُ كَثِيرًا.

أَمْ أَنَّهُ حَيَّوَانٌ مُتَوَحِّشٌ؟

أَوْ أَنَّ قَلْبَهُ بَرٌّ، فَظ؟

مَاذَا تَعْنِينَ، يَا فَتَاتِي؟

الطَّحَّانُ :

قُلْ لِي يَا أَبِي، مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ حَتَّى يَغْضَبَ؟

الابنة :

أَفِي أُسْبُوعٍ قَصِيرٍ وَاحِدٍ ذَوَى كُلِّ جَمَالِي؟

أَمْ رِيْمًا سَحَرْتَهُ تَعْوِيذَةٌ شَرِيْرَةٌ؟

مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَقُولِينَ ذَلِكَ؟

الطَّحَّانُ :

لَقَدْ ذَهَبَ يَا أَبِي.

الابنة :

إِنَّهُ يَعْدُو هُنَاكَ، بَعِيدًا!

وَكُنْتُ مِنَ الْجُنُونِ حَتَّى أَتَى تَرْكُهُ يَمْضَى،  
لَمْ أَتَشَبَّثْ بِمِعْطَفِهِ،

لَمْ أَقْفِزْ لِأَمْسِكَ بَعْنَانَ جَوَادِهِ وَأَتَعَلَّقَ بِهِ!  
فَرُبَّمَا، عَلَى الْأَقْل، أَطَاحَ بِيَدَيَّ غَاضِبًا  
لِتَتَحَطَّمَا مِنَ الْمِعْصَمِينَ،

رُبَّمَا سَحَقَنِي حِصَانُهُ تَحْتَ حَوَافِرِهِ حَتَّى الْمَوْتِ.

هَلْ جُنِنْتَ؟

الطَّحَّانُ:

وَلَكِنَّكَ لَا تَفْهَمُ...

الابْنَةُ:

فَلَيْسَ لِلْأَمِيرِ أَنْ يُطِيعَ قَلْبَهُ كَالْفَتَيَاتِ الصَّغِيرَاتِ.

فَهُوَ لَيْسَ حُرًّا فِي أَنْ يَخْتَارَ...

لَكِنَّهُ حُرٌّ، كَمَا يَبْدُو، فِي الْإِغْوَاءِ،

فِي قَطْعِ الْعُهُودِ وَالْبُكَاءِ،

فِي أَنْ يَعِدَ: سَوْفَ آخُذُكَ، يَا حُلُوتِي،

لِتَعِيشِي فِي قَصْرِ الْجَمِيلِ،

وَسَأَكْسُوكِ بِالْمَخْمَلِ وَالْقَصَبِ...

لَكِنَّهُ حُرٌّ فِي أَنْ يُعَلِّمَ الْفَتَيَاتِ الْفَقِيرَاتِ

أَنْ يَنْهَضْنَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

وَيَأْتِينَ عَلَى صَفِيرِهِ

لِيَجْلِسْنَ وَرَاءَ الطَّاحُونَةِ حَتَّى شُرُوقِ الصَّبَاحِ-

فَقَلْبُهُ النَّبِيلُ مَاخُودٌ بِمَصَائِبِنَا الصَّغِيرَةِ،  
وَيُعِيرُ آذَانًا صَاغِيَةً لَهَا-

بَعْدَيْدٍ: وَدَاعًا الْآنَ، يَا حَبِيبَتِي،  
وَلْتَمْضَى فِي طَرِيقِكَ فِي سَلَامٍ،  
وَلْتُحِبِّي مَنْ يَأْسِرُ خَيَالِكَ.

الطَّحَّانُ: آه، هَكَذَا الْأَمْرُ إِذَا.

الابْنَةُ: وَلَكِنْ مَنْ سَتَكُونُ الْعُرُوسُ؟

إِنِّي أَتَسَاءَلُ، مِنْ أَجْلِ مَنْ قَائِضٌ بِي؟  
آه، سَوْفَ أَكْتَشِفُهَا،

سَوْفَ أَعْتُرُّ عَلَى السَّاحِرَةِ الَّتِي بِلَا قَلْبٍ،  
وَأَقُولُ لَهَا صِرَاحَةً:

فَلتَتْرُكِي الْأَمِيرَ وَشَأْنَهُ،

فَلَا تَصِيدُ فِي نَفْسِ الْوَادِي ذَيْبَتَانِ.

الطَّحَّانُ: فَتَاةٌ وَقِحَّةٌ، سَخِيفَةٌ!

فَإِذَا كَانَ الْأَمِيرُ يُرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ عُرُوسًا

فَمَنْ الَّذِي يَسْتَطِيعُ مَنَعَهُ؟

فَلتَتَصَرَّفِي بِاسْتِقَامَةٍ.

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ دَائِمًا ...

الابْنَةُ: لَقَدْ تَرَكْنِي كَرَجَلٍ طَيِّبٍ، كَرِيمٍ

وَأَعْطَانِي هَدَايَا وَنُقُودًا!

مَاذَا تَظُنُّ قِي ذَلِكَ!-

إِنَّهُ يُخَلِّصُ نَفْسَهُ بِالنُّقُودِ، تِلْكَ هِيَ الْمَسْأَلَةُ!

لَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ يَسُدُّ فَمِي بِذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ،

فَلَا تَصِلَ إِلَى أَمِيرَتِهِ الشَّابَّةِ الْبَرِيَّةِ

سُمْعَةً شَائِنَةً.

آه حَقًّا، لَقَدْ نَسَيْتِ،

فَقَدْ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أُعْطِيكَ حَقِيبَةَ النُّقُودِ هَذِهِ

لِكِرْمِكَ مَعَهُ،

إِذْ تَرَكْتَ ابْنَتَكَ تَتَّبِعُهُ كَأَيَّةِ عَاهِرَةٍ

دُونَ أَنْ تَفْرِضَ رَقِيْبًا يَقِظًا عَلَى شَرْفِهَا...

سَوْفَ تَكُونُ أَنْتَ الْوَحِيدَ الْمُسْتَفِيدَ مِنْ دِمَارِي.

(تسلمه الحقيبة)

(باكيًا)

الطَّحَّانُ:

يَا شَيْبَتِي التَّعَسَّةُ!

مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ حَتَّى أَسْمَعَ ذَلِكَ!

الْعَارُ، الْعَارُ الْمَرِيرُ عَلَيْكَ

إِذْ تُلْحِقِينَ بِأَبِيكَ الْعَجُوزِ السُّخْرِيَّةَ الْمُهِينَةَ.

أَنْتِ وَحِيدَتِي، كُلُّ مَا أملكِ،

وَالرَّاحَةَ الْوَحِيدَةَ لِعُمْرِي الْوَاهِي .  
لَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ غَيْرَ تَدْلِيلِكَ ، فَهَلْ أَمْلِكُهُ الْآنَ ؟  
لَقَدْ عَاقَبَنِي الرَّبُّ عَلَى افْتِقَارِي لِلصَّرَامَةِ  
فِي آدَاءِ وَاجِبِي الْأَبْوَى .

الابنة : آه ، أَنَا أَخْتَتِقُ !

حَيَّةٌ تَلْجِيَّةٌ تَلْتَصِقُ بِرَقَبَتِي وَتَعْتَصِرُ !  
الْحَيَّةُ ! لَقَدْ جَدَلْتُ حَيَّةً لِي ،  
وَلَيْسَ قِلَادَةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ ...

(تمزق القلادة عن رقبتها)

الطَّحَّانُ : فَكَّرِي فِيمَا تَفْعَلِينَ !

الابنة : هَكَذَا ! وَهَكَذَا !

سَأْمَزُقُكَ إِرْبًا ، أَيَّتَهَا الْحَيَّةُ بِلَا قَلْبِ ،  
أَيَّتَهَا السَّارِقَةُ الْمَلْعُونَةُ لِقَلْبِ حَبِيبِي !  
أَنْتِ تَهْدِينَ ، يَا ابْنَتِي ، تَهْدِينَ .

الطَّحَّانُ :

الابنة : (وهي تخلع تاجها)

هَا هُوَ تَاجِي ، تَاجٌ مِنْ عَارٍ !  
هَا هُوَ تَاجُ الْعُرْسِ الَّذِي وَضَعَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى رَأْسِي  
عِنْدَمَا فَقَدْتُ كُلَّ مَا كُنْتُ أَمْلِكُ مِنْ مَحَبَّةٍ ،  
عُرْسُنَا انْتَهَى -

فَلْتَمُتْ، إِذَا، يَا تَاجِي

(ترمی بالتاج إلى نهر الدنّيبَر)

الآنَ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ..

(ترمی بنفسها إلى النهر)

(متهاوياً إلى الأرض)

العجوز:

آه، الرُّعب، الرُّعب!

## قصر الأمير

حفل زفاف. العريس والعروس يجلسان إلى منضدة.  
ضيوف. جوقة من الفتيات الصغيرات.

الخطبة: لقد جعلنا منه عرساً سعيداً، حقاً.  
ففي صحتك، إذا، أيها الأمير،  
وصحة عروسنا الشابة، أميرتنا!  
فلنمنحكما الرب أياماً طويلة سعيدة معاً،  
ونحن - طعاماً طيباً ووفيراً على مائدتك.  
فلماذا، أيها الفتيات الجميلات، حلل بكن الصمت؟  
أم أنكن غنيتن من قبل كل أغانيكن الجميلة؟  
أم أن حلوكن البيضاء جفت من الإفراط في الغناء؟  
أيها الخطبة، الخطبة:



خَاطِبَةٌ عَجُوزٌ وَغَيْبَةٌ!

ذَهَبَتْ لِتَأْتِيَ بِالْعُرُوسِ

فَضَلَّتِ الطَّرِيقَ فِي الدَّخْلِ،

وَوَرَاءَ الْكُوخِ فِي الْخَارِجِ

أَفْرَعَتْ بِرَمِيلِ بَيْرَةٍ

عَلَى حَقْلِ الْكُرْنَبِ

ثُمَّ هَوَتْ فِي قَنَاةِ الْأَوْحَالِ،

انْحَنَّتْ احْتِرَامًا لِأَعْمَدَةِ الْبَوَابَةِ،

"أَيَّتَهَا الْأَعْمَدَةُ اللَّطِيفَةُ

دُلِّيْنِي، أَرْجُوكِ، عَلَى الطَّرِيقِ

لَأَتِيَ بِالْعُرُوسِ الْيَوْمِ"

حَزْرِي، أَيَّتَهَا الْخَاطِبَةُ!

أَيْنَ كَيْسِ نُقُودِكَ، أَيَّتَهَا الْخَاطِبَةُ؟

فِي الْكَيْسِ تَدُورُ النُّقُودُ

لِتُدَاوِيَ الْفَتَيَاتِ الْجَمِيلَاتِ الْمُحْتَرِقَاتِ.

الْخَاطِبَةُ: أَيَّتَهَا الْوَضِيعَاتُ، أَيَّةُ أُغْنِيَةِ هَذِهِ!

هَآ هِيَ، هَآ هِيَ، وَاتَّرَكْنَ الْخَاطِبَةَ!

(تَعْطَى الْفَتَيَاتِ نَقُودًا)

صَوْتٌ مَنفَرِدٌ: حَيْثُ يَسْتَلْقَى الْحَصَى وَتَصْفُو الرَّمَالُ الصَّفْرَاءُ،

رَكَضَ النَّهْرُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ.

فِي النَّهْرِ الرَّكَاضِ كَانَتْ سَمَكَتَانِ صَغِيرَتَانِ تَسْبَحَانِ،

سَمَكَتَانِ، اثْنَتَانِ صَغِيرَتَانِ.

فَهَلْ سَمِعْتَ آخِرَ الْأَنْبَاءِ، يَا أُخْتِي الصَّغِيرَةَ؟

أَنْبَاءِ مَا جَرَى بِنَهْرِنَا؟

كَيْفَ أَنْ فَتَاةً جَمِيلَةً مَاتَتْ بِالْأَمْسِ غَرِيقَةً،

كَيْفَ أَغْرَقَتْ نَفْسَهَا، وَلَعَنَتْ حَبِيبَهَا وَهِيَ تَمُوتُ؟

يَا جَمِيلَاتِي، أَيُّهُ أَعْزَمُ تُغْنِيَنَّهَا الْآنَ! الخاطبة:

إِنَّهَا لَيْسَتْ أَعْزَمُ زِفَافٍ، وَهِيَ غَيْرُ مَنَاسِبَةٍ أَبَدًا،

مَنْ التِي اخْتَارَتْهَا؟

هَه؟ مَنْ اخْتَارَتْهَا؟

لَسْتُ أَنَا- الفتيات:

لَسْتُ أَنَا-

لَسْنَا نَحْنُ...

مَنْ التِي غَنَّتْهَا إِذَا؟ الخاطبة:

(همس وفوضى وسط الفتيات)

أَنَا أَعْرِفُ مَنْ. الأمير:

(يترك المنضدة، وبهدوء يُصدر تعليمات إلى السائس)

فَتَّشْ عَنِ ابْنَةِ الطَّحَّانِ،

وَابْعِدْهَا عَن هُنَا - وَبِسُرْعَةٍ .  
وَابْحَثْ عَمَّنْ جَرُّوْ عَلَى السَّمَا ح لَهَا بِالدُّخُو ل .

(يتجه السائس إلى الفتيات)

(يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، وَهُوَ يَجْلِسُ)

الأمير :

رَبِّمَا أَتَتْ مُسْتَعِدَّةً لِإِفْسَادِ الْحَقْلِ بِالشُّجَارِ  
فَلَا أَعْرِفُ أَيْنَ أُخْفَى وَجْهِي مِنَ الْعَارِ .

السائس : لَمْ أَسْتَطِعِ الْعُثُورَ عَلَيْهَا وَسَطَّ الْأُخْرِيَّاتُ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ .

الأمير : اذْهَبْ، فَتَشَّ مِنْ جَدِيدٍ .

أَعْرِفُ أَنَّهَا هُنَاكَ .

لَقَدْ كَانَ صَوْتُهَا، مَا غَنَى تِلْكَ الْأُغْنِيَةَ .

يا لَهَا مِنْ خَمَرٍ رَائِعَةٍ !

تَسْرِي مُبَاشِرَةً إِلَى الرَّأْسِ -

وَالِى الْأَقْدَامِ -

مُؤَسِفٌ أَنَّهَا مُرَّةً: فَلْتَقَطُّرُوهَا لَنَا .

(العروس والعريس يتعانقان .

تُدَوِّي صرْخَةٌ ضَعِيفَةٌ)

إِنَّهَا هِيَ !

الأمير :

هِيَ صرْخَتُهَا الْحَاسِدَةُ .

(إلى السائس)

حَسَنٌ، هَلْ وَجَدْتَهَا؟

السائس: لَمْ أَسْتَطِعِ الْعُثُورَ عَلَيْهَا فِي أَيِّ مَكَانٍ.

الأمير: أَيُّهَا الْأَبْلَه.

وكيل العروس: (وهو ينهض)

أَلَيْسَ هُوَ الْوَقْتُ

الَّذِي يَأْوِي فِيهِ الْعَرِيسُ وَالْعَرُوسُ إِلَى الْفِرَاشِ

وَنَحْنُ نُمَطِّرُهُمْ - عِنْدَ الْبَابِ - بِالْأَمَالِ؟

(ينهض الجميع)

الخطابة: أَيَّتَهَا الْأَوْقَاتُ السَّعِيدَةُ، حَقًّا، تَعَالَى،

وَقَدَّمِي الدِّيكَ الصَّغِيرَ.

(يقدم إلى العروس والعريس ديك مشوي

ويتلقون الأمنيات، ويتجهان إلى غرفة النوم)

الخطابة: أَيَّتَهَا الْأَمِيرَةُ الْحُلُوءُ، لَا تَصْرُخِي، لَا تَخَافِي،

وَأَفْعَلِي كَمَا يَطْلُبُ.

(يأوى العريس والعروس إلى غرفة النوم،

يغادر الضيوف، عدا الخطابة ووكيل العروس)

وكيل العروس: أَيْنَ كَأْسِي؟

فَعَلَى أَنْ أَظِلَّ سَاهِرًا طُولَ اللَّيْلِ عَلَى الْجَوَادِ

تَحْتَ نَوَافِذِهِمَا،

فَيَجِبُ أَلَّا تَنْقُصَ قَطْرَةً مِنْ الْخَمْرِ تُعِينُنِي عَلَى الْمُهْمَةِ.

الخاطبة: (وهي تصب له كأساً)

هَا هُوَ، فَلْتَشْرَبِ.

وكيل العروس: أَوْفَا! شُكْرًا لِلرَّبِّ

لَقَدْ مَضَى كُلُّ شَيْءٍ عَلَيَّ مَا يَرَامُ،

أَلَّا تَظُنِّينَ ذَلِكَ؟

كَانَ حَفْلُ الزَّفَافِ رَائِعًا-

الخاطبة: حَقًّا، فَالْشُّكْرُ لِلرَّبِّ،

مَضَى كُلُّ شَيْءٍ عَلَيَّ خَيْرٌ،

إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا.

وكيل العروس: مَاذَا، مَا هُوَ؟

الخاطبة: كَانَتْ أَرْوَاحًا شَرِيْرَةً

هِيَ الَّتِي غَنَّتْ تِلْكَ الْأَغْنِيَةَ الْمَشْتُومَةَ،

الَّتِي لَا تُنَاسِبُ أَبَدًا حَفَلَاتِ الزَّفَافِ.

وكيل العروس: تِلْكَ الْفَتَيَاتُ الشَّيْطَانِيَّاتُ-

لَا ثِقَّةَ فِيهِنَّ إِلَّا فِي نَصَبِ الْمَكَائِدِ.

لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ أَبَدًا!

فَأَنْ تُفْسِدِي زَفَافًا مَلَكِيًّا- مِنْ أَجْلِ...

وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى جَوَادِي،

لَيْلَةٌ طَيِّبَةٌ، أَيَّتُهَا الْأُمُّ الطَّيِّبَةُ.

(يُخْرِجُ)

الْخَاطِبَةُ: قَلْبِي لَا يَسْتَقِرُّ دَاخِلِي!  
فَهَذَا الزَّوْاجُ لَمْ يَتِمَّ فِي سَاعَةٍ سَعْدَ.

## غرفة مُشمسة

الأميرة ومربيته

الأميرة:

أَصغى - فَأَنَا أَسْمَعُ الطُّبُول!

لَا، لَمْ يَعْذُ بَعْدَ.

أَه، نَانِي الْعَزِيزَةَ، فَعِنْدَمَا كَانَ يَتَوَدَّدُ إِلَيَّ،

لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُنِي وَحِيدَةً أَبَدًا، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ،

كَانَ يَبْدُو كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لَا تَشْبَعَانِ مِنِّي،

وَتَزَوَّجَنِي، وَتَغَيِّرَ كُلَّ شَيْءٍ.

الآن، يُوقِظُنِي عِنْدَ شُرُوقِ الْفَجْرِ

وَيَأْمُرُ، وَأَنَا يَقْظِي، بِإِعْدَادِ جَوَادِهِ،

ثُمَّ يَنْطَلِقُ، يَعْلَمُ الرَّبُّ إِلَيَّ آيْنَ، حَتَّى حُلُولِ الْمَسَاءِ.

وَنَادِرًا مَا يَعْتُرُّ عَلَيَّ كَلِمَةً رَقِيقَةً لِي، عِنْدَمَا يَعُودُ.

نَادِرًا مَا يَمْنَحُنِي لِمَسَّةٍ شَارِدَةٍ عَلَيَّ وَجْهِي الطَّاهِرِ

الْجَمِيلِ.

المربية:

يَا أَمِيرَتِي الصَّغِيرَةَ، الرَّجُلُ يُشْبِهُ الدِّيكَ الْمُخْتَالَ:

كُوك-آ-دو-دو! يُرَقْرِفُ ثُمَّ يَنْطَلِقُ طَائِرًا.

وَالْمَرَأَةُ، كَدَجَاجَةَ حَاضِنَةَ خُجُولٍ،

يَجِبُ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى عَشَّهَا

وَتَحْتَضِنَ أَفْرَاحَهَا الْوَالِدَةَ.

فَعِنْدَمَا كَانَ يُحَاوِلُ الظَّفَرَ بِكَ،

كَانَ لَا يَقْرَبُ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَ،

بَلْ يَجْلِسُ وَيَحْمَلِقُ.

وَلَكِنْ مَا إِنْ تَزَوَّجَ-

حَتَّى أَصْبَحَ لَدَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَشَاغِلِ:

فَيَجِبُ زِيَارَةُ الْجِيرَانِ،

يَجِبُ الْخُرُوجُ لِلصَّيْدِ مَعَ صُقُورِهِ،

وَأَخِيرًا- حِينَ يَتَلَبَّسُهُ الشَّيْطَانُ- يَخْرُجُ لِلْحَرْبِ.

إِنَّهُ يَمْضِي هُنَا وَهُنَاكَ- إِلَى كُلِّ مَكَانٍ،

عَدَا الْبَيْتِ.

الأميرة:

مَاذَا تَتَنَّنِينَ؟

أَيُخْفِي- رَبَّمَا- سِرًّا مَا،

عَشِيقَةً مَا سَرِيَّةً؟-

المربية: إِنَّهَا لَخَطِيئَةٌ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ، يَا حَبِيبَتِي:



فَأَيْنَ سَيَجِدُ امْرَأَةً جَمِيلَةً بَدِيلَةً لَكَ؟

وَلَدَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ:

فَأَنْتِ عَاقِلَةٌ وَجَمِيلَةٌ،

رَقِيقَةٌ الْأَسْلُوبِ.

حَقًّا، فَكَّرِي:

أَيْنَ يُمَكِّنُ أَنْ يَجِدَ نَظِيرَتَكَ، أَيَّتَهَا الْأَمِيرَةَ؟

لَوْ يَسْتَجِيبُ الرَّبُّ لِصَلَوَاتِي، لَمَنْحَنِي أَطْفَالًا.

بِذَلِكَ سَيَكُونُ لَدَيَّ مَا أَقْهَرُ بِهِ نَوَازِعَهُ الْجَدِيدَةَ.

أَه، انظُرِي، فَالْسَّاحَةُ مَلَأَى بِالصِّيَّادِينَ.

وَهَا هُوَ أَخِيرًا قَدْ عَادَ إِلَى الْبَيْتِ.

فَلِمَاذَا، رَغَمَ ذَلِكَ، لَا أَرَاهُ؟

(يدخل أحد الصيادين)

أَيْنَ الْأَمِيرِ؟

أَمَرْنَا أَنْ نَتْرُكَهُ وَنَأْتِيَ إِلَى الْبَيْتِ.

وَلَكِنْ.. أَيْنَ هُوَ؟

يَتَمَشَّى وَحِيدًا فِي الْغَابَاتِ الَّتِي تُوَشَّى الدُّنْيَبِرَ.

وَوَاتَتْكُمْ الْجُرَّاءُ عَلَى أَنْ تَتْرُكُوهُ وَحِيدًا،

بِلَا مُرَافِقِينَ،

يَا لَكُمْ مِنْ حَاشِيَةٍ مُخْلِصَةٍ!

الأميرة:

الصياد:

الأميرة:

الصياد:

الأميرة:

فَلْتَعُدْ حَالاً، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، مَعَ عَدُوِّ الْجَوَادِ،  
وَتُخْبِرُهُ أَنَّ أَنَا مَنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ.

(يُخْرِجُ الصِّيَادَ)

أَه، أَيَّتَهَا السَّمَاءُ الرَّحِيمَةَ!

فَقَفِي لَيْلِ الْغَابَاتِ

أَشْبَاحِ الْيَائِسِينَ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْوَحْشِيَّةِ،

وَالْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ-

الْخَطْرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

أَوْقِدِي الشَّمْعَةَ، بِسُرْعَةٍ، هُنَا أَمَامَ الْإِيقُونَةِ.

حَالاً، يَا حَبِيبَتِي، حَالاً...

المریبة:

## نهر الدننبر. الليل

حوريات الماء: في موكب بهيج  
من أعماق التيار  
يشدُّنا إلى أعلى القمر  
لنستضيء في شعاعه.  
نهجر الماء وقاع النهر،  
مرحين أمام موتى الليل،  
ورءوسنا تشقُّ السطح الزجاجي  
فَنُخْرَجُ بَحْتًا عَنِ الضَّوِّءِ.  
ها هي أصواتنا، تتأدى، أليمة،  
رنانةً خلال الأثير العلوي،  
وها هو شعرنا الأخضر،  
مرتعدًا ظامئًا في الرياح الملتوية،

يَقَطِّرُ بِالمَاءِ .

حُورِيَّةٌ : يَا أَخَوَاتِي ، اسْتَمِعِينَ ، أَنْصِتِينَ ، هُسر!

شَيْءٌ مَا يَتَحَرَّكُ فِي ظِلَامِ الغَابَةِ ...

أخرى : انظُرْنَ ، فَبَيْنَنَا وَبَيْنَ القَمَرِ

شَخْصٌ مَا يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ .

(يخْتَفِينِ)

الأمير : كَمْ أَعْرِفُ جَيِّدًا هَذِهِ البِقَاعَ الحَزِينَةَ!

أذْكَرُ كُلَّ عَلامَةَ -

هَآ هِيَ الطَّاحُونَةُ!

هَوَّتْ إِلَى الهِجْرَانِ ، كَوْمَةٌ مِنْ خَرَابِ ،

وَالصَّوْتُ البَهِيحُ لِلعَجَلَاتِ الدَّوَّارَةِ صَامِتِ ،

لَمْ يَعدْ رَحَى الطَّاحُونَةُ يَطْحَنُ شَيْئًا -

وَالرَّجُلُ العَجُوزُ فِيمَا يَبْدُو مَاتِ .

لَمْ يَنْدِبِ ابْنَتَهُ سَيِّئَةَ الطَّالِعِ طَوِيلًا .

وَهُنَاكَ طَرِيقٌ .. لَقَدْ كَسَاهُ العُشْبِ .

لِسَنَوَاتِ طَوِيلَةٍ لَمْ يَأْتِ إِلَى هَذَا المَكَانِ أَحَدٌ ،

وَهُنَا كَانَتْ حَدِيقَةٌ ذَاتُ سِيَّاحِ عَالِ .

أَيُمْكِنُ أَنْ تُكُونَ قَدْ اسْتَحَالَتْ إِلَى فَوْضَى هَذَا الدَّغْلِ ؟

آه ، هَآ هِيَ شَجَرَةُ السَّنَدِيَّانِ المَصْبِرِيَّةِ ،

حَيْثُ وَقَفْتِ، وَتَشَبَّثَ بِي ذِرَاعَاهَا،

تَتَحَنَّى مُتَهَدِّلَةً، صَامِتَةً-

أَكَانَ حَقِيقِيًّا كُلُّ ذَلِكَ؟...

(يصعد إلى الشجرة، فيتساقط

عليه وابلٌ من الأوراق)

مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ؟

فَالأورَاقُ تُصَفِّرُ أَمَامَ عَيْنِي،

وَتَلْتَفُّ عَلَى نَفْسِهَا، وَتَسْقُطُ مَعَ الحَفِيفِ

كَالرُّفَاتِ حَوْلِي.

هَا هِيَ الشَّجَرَةُ تَنْتَصِبُ سَوْدَاءَ عَارِيَةً

كَشَيْءٍ مَلْعُونٍ.

(يدخل رجلٌ عجوزٌ، أشعث، شبه عارٍ)

صَبَّاحَ الخَيْرِ، يَا زَوْجَ ابْنَتِي

العجوز:

مَنْ أَنْتَ؟

الأمير:

غُرَابٌ،

العجوز:

أَعِيشُ هُنَا

أَذَلِكَ مُمَكِّنٌ؟

الأمير:

الطَّحَّانُ!

لَمْ أَعُدْ أُسَمِّي طَحَّانًا!

العجوز:

فَقَدَ بَعْتُ طَاحُونَتِي إِلَى الْأَشْبَاحِ الْعَاوِيَةِ خَلْفَ الْمَوْقِدِ،  
وَأَعْطَيْتُ النُّقُودَ إِلَى حُورِيَّاتِ الْمَاءِ،  
لِيَحْتَفِظْنَ بِهَا لِابْنَتِي، أَكْثَرَهُنَّ حِكْمَةً.  
هِيَ الْآنَ مَدْفُونَةٌ فِي أَعْمَاقِ رِمَالِ الدُّنْيِيرِ.  
وَتَقِفُ حَارِسًا عَلَيْهَا سَمَكَةٌ عَوْرَاءٌ.

الأمير:

لَقَدْ جُنُ! يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ تَعِيسِ،  
تَتَأَثَّرَتْ أَفْكَارُهُ كَغَنِيمَةٍ بَدَدَتْهَا الْعَاصِفَةُ.

العجوز:

لَقَدْ أَتَيْتَ مُتَأَخِّرًا.

كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ -  
كَانَ لَدَيْنَا احْتِفَالٌ، وَانْتَظَرْنَاكَ طَوِيلًا.

الأمير:

مَنْ الَّذِي انْتَظَرَنِي؟

العجوز:

مَنْ؟ ابْنَتِي، وَمَنْ أَيْضًا؟

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَنِّي لَا أَنْظُرُ أَبَدًا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِي،  
وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَحِلُّو لَكَ:

وَهِيَ يُمْكِنُهَا أَنْ تَجْلِسَ مَعَكَ طُولَ اللَّيْلِ،  
حَتَّى صِيَاحِ الدِّيَكِ، لَوْ أَحْبَبْتَ.

وَالْكَلِمَةُ الَّتِي تُقَالُ لِي هِيَ: اخْرَسْ.

الأمير:

يَا لَهُ مِنْ طَحَّانٍ بَائِسٍ!

العجوز:

لَمْ أَعُدْ طَحَّانًا، أَيُّهَا الرَّجُلُ.

فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَنْ أَنَا .  
غُرَابٌ ، لَا طَحَّانَ .  
لَقَدْ كَانَ أَمْرًا غَرِيبًا !  
فَعِنْدَمَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَى النَّهْرِ (أَتَذْكُرُ؟) ،  
جَرَّيْتُ خَلْفَهَا  
وَكُنْتُ أَنْوَى أَنْ أَقْمِرَ مِنْ نَفْسِ الصَّخْرَةِ ،  
لَكِنِّي فَجَاءَهُ أَحْسَسْتُ بِجَنَاحَيْنِ قَوِيَّيْنِ  
يَنْبَتَانِ مِنْ إِبْطِي ،  
وَحَمَلَانِي عَالِيَا مُعَلَّقًا فِي الْهَوَاءِ .  
وَمِنذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْآنِ  
وَأَنَا أُحَلِّقُ هُنَا وَهُنَا ،  
وَبَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ ، أَلْتَقِطُ جِيْفَةً -  
بَقْرَةً مَيْتَةً ، رَبَّمَا -  
أَوْ أَحْطُ عَلَى الْمَقَابِرِ وَأَنْعَبُ  
أَمْرٌ يَدْعُو لِلرُّثَاءِ !  
مَنْ يَرْعَاكَ ، أَيُّهَا الْعَجُوزُ ؟  
يَا لَهَا مِنْ فِكْرَةٍ !  
فَأَنَا أَحْتَاجُ لِلرُّعَايَةِ .  
فَإِذَا أَصْبَحْتُ عَجُوزًا ، فَأَيْنِي عُرْضَةً دَائِمًا لِلْخَدِيعَةِ .

الأمير:

العجوز:

وَلَكِنْ عَلَى أَنْ أَشْكُرُ نُجُومِي السَّعِيدَةَ  
فَلَدَى طِفْلَةَ الْمَاءِ تَرَعَانِي.

الأمير: مَنْ؟

العجوز: حَفِيدَتِي.

الأمير: لَا.

لَا أَسْتَطِيعُ مُتَابَعَةَ مَا يَقُولُ:  
سَتَمُوتُ جُوعًا هُنَا فِي الْغَابَةِ، أَيُّهَا الْعَجُوزُ  
أَوْ يَفْتَرِسُكَ أَحَدُ الْحَيَوَانَاتِ الْمَتَوَحِّشَةِ.  
أَلَا تَأْتِي فَتَعِيشَ مَعِي فِي الْبَيْتِ؟  
مَعَكَ؟ لَا أَشْكُرُ!

العجوز:

فَسَوْفَ تُغْوِينِي،

وَسَاعَتَهَا سَتَحْنِقُنِي بِاللَّالِي.

هُنَا أَنَا حَيٌّ، وَشَبَعَانٌ، وَحُرٌّ.

لَنْ أَدْهَبَ مَعَكَ.

(يُخْرَجُ)

ذَلِكَ كُلُّهُ حَقِيقِي. رَهِيْبٌ.

الأمير:

فَإِنْ يَمُوتَ الْمَرْءُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَفْقَدَ عَقْلَهُ.

فَنَحْنُ نَنْظُرُ لِلْجَنَّةِ بِالتَّوَقُّيرِ الْوَاجِبِ،

وَنُصَلِّي لَهَا.



وَالْمَوْتُ يَجْعَلُ الْجَمِيعَ مُتَسَاوِينَ.

أَمَّا مَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ،

فَلَمْ يَعُدْ إِنْسَانًا،

وَالْحَدِيثُ مَعَهُ هِبَةٌ بِلاَ قِيَمَةٍ،

لأنَّهُ لَا يَتَحَكَّمُ بِالْكَلَامِ

هُوَ شَقِيقٌ لِلْحَيَوَانَاتِ وَأَقْرَانِهِ-

أُضْحُوكَةَ،

فَكُلُّ النَّاسِ أَحْرَارٌ فِي السُّخْرِيَةِ مِنْهُ،

وَلَنْ يَحْتَرِمَهُ أَحَدٌ، وَلَا حَتَّى الرَّبِّ!

هُنَا، هَا هُوَ.

الصياد:

كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّنَا لَنْ نَعْتَرُ عَلَيْهِ أَبَدًا!

لِمَاذَا جِئْتَ هُنَا؟

الأمير:

أرسلتُنا الأميرةُ يا سيدي.

الصياد:

فهي خائفةٌ عليك.

إنها ملاحقةٌ لا تُحتمل.

الأمير:

أم أنني طفلٌ صغير

يجبُ ألا يسيرَ خطوةً واحدةً بلا مربية؟

(يخرجان.)

تصعد حوريات الماء من النهر)

حوريات الماء: أَخَوَاتِي، هَلْ نُبَاغِتُهُمْ  
وَنُحِيطُ بِهِمْ وَهُمْ يَمَّضُونَ،  
نُقْرِعُ حَيْوَلَهُمْ، نَرُشُّهَا بِالْمَاءِ وَنُزَلِّزُهَا،  
وَنَحْنُ نَصْفُرُ وَنُقَهِّقُهُ حَوْلَهَا؟  
لَا، فَالْوَقْتُ تَأَخَّرَ.

الظَّلَامُ يَحِلُّ بِالْغَابَةِ  
وَالْأَعْمَاقُ تَغْدُو الْآنَ أَبْرَدُ.  
فَلْنُصْنَعِ لِصِيحَةِ الدِّيكِ الْأُولَى،  
انظُرْنَ، لَقَدْ أَقَلَ الْقَمَرُ.

حورية: فَلَنَبْقَ هُنَا قَلِيلًا، يَا أَخَوَاتِي الْجَمِيلَاتِ.  
أخرى: لَا- فَعَلَيْنَا أَنْ نَمْضِيَ- لِأَبَدٍ أَنْ نَمْضِيَ،  
حَيْثُ تَسْتَدْعِينَا الْقَيْصِرَةَ الصَّارِمَةَ  
وَهِيَ تَنْتَظِرُنَا فِي الْأَعْمَاقِ السُّفْلَى.

# فى أعماق نهر الدنيبر

قصر حوريات الماء

حوريات الماء يجلسن حول القيصرة يغزلن

القيصورة: هَا قَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَاتْرُكْنَ مَغَازِلُكُنَّ، يَا أَخَوَاتِي.

وَالْقَمَرُ يُرْسِلُ أَشْعَتَهُ كَعَمُودٍ عَبَرَ الْأَعْمَاقِ.

كَفَى، فَلْتَصْعَدْنَ لِتَمْرَحَنَّ تَحْتَ السَّمَاءِ،

وَلَكِنْ حَذَارِ مِنْ مُضَائِقَةِ أَيِّ مَخْلُوقٍ:

فَلَا مُشَاكَسَةَ اللَّيْلَةِ لِلْمَارَةِ،

وَلَا تَدْفَعْنَ بِالْأَعْشَابِ وَالطَّحَالِبِ

لِتَعْلَقَ بِشَبَكَةِ الصِّيَادِ الْكَبِيرَةِ،

وَلَا تُغْوِينَ الطُّفْلَةَ الصَّغِيرَةَ

بِحِكَايَاتِ الْأَسْمَاكِ تَحْتَ الْمَاءِ.

(تدخل طفلة الماء)

أَيِّنَ كُنْتِ؟

كُنْتُ أَرُورُ جَدِّي فَوْقَ الْأَرْضِ.

الابنة :

كَانَ دَائِمًا مَا يَرْجُونِي أَنْ أُلَمِّمَ لَهُ النُّقُودَ  
 الَّتِي كَانَ يَقْذِفُهَا فِي الْمَاءِ لَنَا فِي الْمَاضِي،  
 وَأُعِيدَهَا إِلَيْهِ.  
 بَحَثْتُ، وَبَحَثْتُ،  
 وَرَعَمَ أَنِّي لَا أَعْرِفُ مَاذَا تَكُونُ تِلْكَ النُّقُودُ،  
 إِلَّا أَنِّي جِئْتُهُ بِحِفْنَةٍ مِنَ الْأَصْدَافِ الْجَمِيلَةِ مِنَ  
 الْأَعْمَاقِ،  
 مِنْ كُلِّ الْأَلْوَانِ،  
 فَابْتَهَجَ كَثِيرًا.

القيصرة:

يَا لَهُ مِنْ بَخِيلٍ مَأْفُونٍ!  
 الْآنَ، اسْمَعِي لِي يَا ابْنَتِي، وَأَنْتَبِهِي،  
 فَأَنَا أَضَعُ ثِقْتِي فِيكَ، هَذِهِ الْمَرَّةَ.  
 سَيَأْتِي- اللَّيْلَةَ- رَجُلٌ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ.  
 سَتَنْتَبِهِينَ لَهُ، وَتَذْهَبِينَ لِمُقَابَلَتِهِ.  
 إِنَّهُ مِنْ أَسْرَتِنَا- أَبُوكَ، يَا طِفْلَتِي.  
 أَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي تَخَلَّى عَنْكَ

الابنة:

لِيَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ فَانِيَّةٍ؟  
 هُوَ نَفْسُهُ، فَلْتُحْيِيهِ بِرِقَّةٍ،  
 وَلْتَحْكِي لَهُ كُلَّ مَا تَعْرِفِينَ مِنِّي عَنْ مَوْلِدِكَ،

احكى له أيضاً ما حدث لى.  
ولو سألك عما إذا كنت قد نسيته،  
فقل لى له إننى أذكره وأحبه،  
وآدعوه إلى بيتى.

هل فهمت - الآن - يا ابنتى؟

طفلة الماء: أفهمك.

القيصرة: إذا، فأذهبى.

(على انفراد)

ها قد مرّت سبع سنّوات كاملة طويلة،  
منذ تلك الساعة المشؤمة،  
عندما قفزت، مجنونة من الحزن، إلى الماء،  
فتاة بسيطة، يائسة، مهجورة،  
وصحوت من جديد تحت نهر الدنّيبير،  
روحاً مائية ذات سلطان، وبلا عاطفة...  
وأخطط - كل يوم - وأعتزم الانتقام.  
وأخيراً، ها هى ساعتى - اليوم - تحين.

## الشَّاطِئُ

الأمير: ها أنا- بلا قصد- أجيءُ إلى هذه الشَّواطِئِ الحَزِينَةِ  
مَشْدُودًا بِفِعْلِ قُوَّةٍ مَجْهُولَةٍ-  
لَا أَدْرِي لِمَآذَا ...

وَكُلُّ شَجَرَةٍ وَصَخْرَةٍ تُحَدِّثُنِي عَنِ الْمَاضِي.  
تُعِيدُ حِكْيَ الحِكَايَةِ الحَزِينَةَ وَالْحَبِيبَةَ  
لأَيَّامِ شَبَابِي، شَبَابِي الجَمِيلِ بِلا هُمُوم.  
فَهُنَا، انْتظرتُنِي حَبِيبَتِي أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ-  
حَبِيبَتِي السَّخِيَّةُ، المَتَوَهَّجَةُ-

أه، كَمْ كُنْتُ مَجْنُونًا أَنْ أَتْرَكَ هَذِهِ البَهْجَةَ  
تَسْرِبُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِي،  
أَنْ أَتَخَلَّى عَنِ تِلْكَ السَّعَادَةِ- يَا لَهَا مِنْ سَعَادَةٍ..  
كَمْ هِيَ مُحْزِنَةٌ،

كَمْ هِيَ مُحَرِّزَةٌ هَذِهِ الْأَفْكَارَ .  
وَلِقَاءُ الْأَمْسِ أَعَادَهَا مِنْ جَدِيدٍ .  
ذَلِكَ الْأَبُ الْمَجْنُونُ ، الْبَائِسُ !  
إِنَّهُ رَهِيْبٌ .  
رُبَّمَا قَابَلْتَهُ الْيَوْمَ مَرَّةً أُخْرَى  
وَوَافَقَ عَلَيَّ أَنْ يَتْرَكَ الْغَابَةَ  
وَيَأْتِيَ لِيُعِيشَ مَعَنَا  
(تخرج طفلة الماء إلى شاطئ النهر)  
مَاذَا أَرَى !  
مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ ، أَيَّتَهَا الطُّفْلَةُ الْجَمِيلَةُ ؟

## إِضَاءَات

النُّصْبُ الذِي أَقَمْتُهُ...: عَمُودِ الكَسِنْدَرِ: هو عمود النصر المنصوب  
فى ميدان القصر بسانت بطرسبرج كتذكار  
لانتصار روسيا فى حرب ١٨١٢ خلال حُكْم  
الكسندر الأول. وفى مخطوط بوشكين، كان  
السطر الرابع ينطوى على نبذة أكثر  
سياسية:

وَطَوِيلًا سَيُوقَّرُنِي مَعَ ذَلِكَ الشَّعْبِ  
لَأَنِّي اكْتَشَفْتُ نَعْمَاتٍ جَدِيدَةً فِي الْغِنَاءِ،  
وَمِثْلَ رَادِيشِييفِ، عَنَيْتُ الْحُرِّيَّةَ،  
وَجَعَلْتُ قِيَّارَتِي تُرَدُّ مَدِيحَ الرَّحْمَةِ.

إلى شادايف: القصيدة موجهة إلى أحد أصدقاء بوشكين  
الحميمين: ب. ي. شادايف (١٧٩٤-١٨٥٦)



المفكر التقدمى والتنويرى، الذى كانت له  
شعبية استثنائية.

الى... كيرن:

مهداة إلى أنا كيرن التى التقى بوشكين بها  
للمرة الأولى فى سانت بطرسبرج عام ١٨١٩.  
وقد التقى بها مرةً أخرى فى صيف ١٨٢٥؟  
خلال منفاه فى ميخايلوفسكوى، حيث جاءت  
لتقييم لدى بعض أصدقائها فى تريجورسكوى  
القريبة.

النَّبِيُّ:

كُتبت بأسلوب "سفر إشعيا" بالعهد القديم،  
المفعم بكراهية الملوك. ووفقاً لمعاصرى  
بوشكين، فقد كتب ثلاث قصائد أخرى  
مشابهة، لكنها فُقدت. وقد كتب القصيدة  
الحالية عقب علمه بإعدام الديسمبريين  
الخمسة. وكانت البداية الأصلية للقصيدة:  
قَلْبِي مُمَزَّقٌ بِالْأَلَمِ...

واضطُرُّ بوشكين إلى تعديلها هى والخاتمة  
التي كانت:

وَهَذَا مَا قَالَ:

انْهَضْ، يَا ابْنِي وَابْنَ رُوسِيَا!

ارْتَدَّ أَثْوَابَ الْعَارِ وَالْحَزِيَّ الْأَسْوَدَ  
وَوَجْهَهُ جَلَادِكُ يَلْفُ الْحَبْلُ عَلَيَّ عُنُقِكَ،  
وَهُوَ يُخْرِسُ كَلِمَاتِهِ الْأَوْلَى الْمُخْتَبَةَ.

ماذا يعنى لك اسمى: كتب بوشكين هذه القصيدة فى ألبوم كارولينا  
سويانسكا، إحدى الفاتنات الشهيرات فى تلك  
الحقبة.

عندما أخذ قوامك النحيل: مهداة إلى "ناتاليا جونشاروفا"، زوجة بوشكين  
المستقبلية.

المغنى:  
العنوان ترجمة لكلمة "Arion" وهو شاعر  
موسيقى- فى الأساطير اليونانية- أنقذه  
دولفين من الموت غرقاً من أجل موسيقاه.  
وكتبت القصيدة فى ١٦ يوليو ١٨٢٧ فى  
الذكرى الأولى لإعدام الديسمبريين الخمسة.  
ويكشف بوشكين فى القصيدة عن طبيعة  
علاقته بالديسمبريين.

على تلال جورجيا: من الواضح- من السطر الأول للقصيدة- أن  
بوشكين قد استلهمها من ذكريات المرة الأولى  
التي ذهب فيها إلى القوقاز، فى صيف ١٨٢٠  
مع أسرة الجنرال رايفسكى.

عميقاً في مناجم سيبيريا: القصيدة موجهة إلى الديسمبريين الذين  
حُكِمَ عليهم بالأشغال الشاقة في سيبيريا،  
بعد فشل الانتفاضة.

انشار:  
إحدى أشجار جاوه، كان يستخدم عصيرها  
كسُمّ للسهام. وعندما أُعيد نشر القصيدة،  
أحل بوشكين كلمة "الأمير" محل "القيصر"،  
بعد أن أثار النشر الأول لها استياءً بالغاً من  
قِبَل بنكدورف، قائد البوليس القيصرى.

لا تغنى، أيتها الجميلة: قال المؤلف الموسيقى ميخائيل جليнка إن  
بوشكين قد كتب هذه القصيدة "على نغمة  
أغنية جورجية تصادف أن سمع تلميذته أ.  
أولينينا تغنيها".

الأسير:  
استلهم بوشكين القصيدة من زيارته لسجن كيشنيف.  
وقد لُحنت القصيدة، وأصبحت أغنية جميلة.

هو الوقت...:  
فى هذه القصيدة، المهداة إلى زوجته، يعبر  
بوشكين عن رغبته المشبوبة فى الاعتزال،  
ومفادرة سانت بطرسبرج، والهروب من  
البلاط القيصرى والمجتمع، ليستقر فى  
الريف، ويتفرغ للكتابة.

كُتبت فى "بولدينو" فى أكتوبر ١٨٣٢ وهم،  
 آخر القصائد الدرامية الطويلة التى كتبها  
 بوشكين. وتقدم بَطْرُس الأكبر كشخصيه  
 مركبة بصورة ديالكتيكية: فهو إصلاحى  
 عظيم، وقيصر رسَّخ بنية الدولة الروسية،  
 لكنه- فى نفس الوقت- "التَّمثال المتفطرس  
 المقيت" للأوتوقراطية الذى يسحق كل ما  
 يعترض طريقه.

وبعرض القصيدة على "نيقولا الأول" للموافقة  
 على النشر، قام بشطب كلمة "التمثال"  
 وحذف المقطع التالى:

وَتَحَبُّوْ مُوسَكُو الْقَدِيمَةَ بِجَانِبِ غَرِيمَتِهَا.  
 عَجُوزًا مَهِيْبَةً، أَقَلَّ بَهَاءً،

اِحْتَجَبَتْ أَضْوَأُوهَا بِالْوَأْفِدِ الْجَدِيدِ

الذِّى اِعْتَلَى الْعَرْشَ، فِي الثُّوبِ الْأَرْجَوَانِي.

كما وضع القيصر علامات استفهام على  
 العديد من الأبيات، بما يفسد القصيدة بدرجة  
 خطيرة لو تم العمل بها، حيث يضعف إلى حد  
 بعيد المعنى التاريخى السياسى للقصيدة.

لذا، قرر بوشكين عدم نشرها فى ذلك الحين، ولم ينشر أثناء حياته سوى "المقدمة". وبعد ثلاث سنوات، نشر بوشكين القصيدة فى مجلته "المعاصر"، بعد أن عدل فيها حسبما حدد القيصر من قبل: استبدل كلمة "التمثال" بـ"الراكب"، وغير بصورة طفيفة فى الجزء الرئيسى الذى يصف "تمرد" يثجينى على بطرس الأكبر، الذى حظى بالنصيب الأوفر من علامات استفهام وتعليقات القيصر. وبعد وفاة بوشكين، قام جوكوفسكى بمهمة مراجعة القصيدة، وإعادتها إلى حالتها الأولى.

أما الفيضان الذى تصفه القصيدة، فقد حدث فعلاً فى سانت بطرسبرج، فى ٧ نوفمبر ١٨٢٤ وتسبب فى دمار هائل. كان بوشكين فى ذلك الحين- فى "ميخايلوفسكوى". وفى إحدى رسائله إلى شقيقه- فى ٤ ديسمبر ١٨٢٤- كتب إليه: "... إن الفيضان يملأ عقلى طول الوقت"؛ واعتبر الإجراءات التى اتخذتها الحكومة لمساعدة

المنكوبين غير كافية إطلاقاً. وطلب منه لو كان لك أن تساعد سيئى الحظ هؤلاء. فاستخدم أموال "أونيجين" (يقصد الأموال التى عادت على بوشكين من نشر الفصل الأول من عمله "يوجين أونيجين").

ف. ن. بيرش هو مؤلف كتاب "وصف تأريخى تفصيلى لجميع الفيضانات التى وقعت فى سانت بطرسبرج" (سانت بطرسبرج، ١٨٢٦). ونسخة من الكتاب كانت موجودة بمكتبة بوشكين.

تَوَقَّفَ هُوَ: المقصود هو بَطْرُسُ الأكبر.  
سُنُوسٌ مَدِينَةٌ: سانت بطرسبرج.

نَافِذَةٌ سَنَعْبَرُهَا إِلَى أوروپَا: يذكر بوشكين فى أحد هوامشه: "قال الجاروتى فى موضع ما: "بطرسبرج هى النافذة، التى تطل منها روسيا على أوروبا". والجاروتى (١٧١٢-١٧٦٤) ناقد وفيلسوف إيطالى.

إِنِّى أَحِبُّكَ، يَا إِبدَاعَ بَطْرُسِ المَهِيبِ: أضاف بوشكين فى هامش: "انظر قصيدة الأمير فيازمسكى إلى الكونتيسة ز. محادثة

٧ أبريل ١٨٣٢" (والقصيدة مهداة إلى الأميرة  
إ. م. زافادوفسكى).

ساحة "مارس": ميدان فى سانت بطرسبرج كانت تتم فيه  
الاستعراضات العسكرية.

ثُلجِيَّةٌ بِأَنْفَاسِ نُوفَمْبِرِ الْقَارِسِ: أضاف بوشكين فى هامش له: "قام  
ميكيفيتش- فى واحدة من أفضل قصائده:  
"أوليزكيفيتش"- بوصف اليوم السابق على  
فيضان بطرسبرج، فى أبيات بالغة الجمال.  
ومن المؤسف أن وصفه غير دقيق. فلم يكن  
ثمة جليد، ولم يكن النيقا مغطى بالثلج.  
ووصفنا أصح، رغم أنه يفتقر إلى الألوان  
الرائعة للشاعر البولندى".

وَرَغَمَ أَنَّ "كَارَامَزِينَ" كَانَ قَدْ سَجَّلَ شُهْرَتَهُ: ن.  
م.

كارامزين (١٧٦٦-١٨٢٦): كاتب وشاعر ومؤرخ روسى شهير. ولا بد أن  
بوشكين كان يعنى كتابه المعروف "تاريخ الدولة  
الروسية".

وَهُوَ يَعِيشُ فِي "كُولُومَنَّا": إحدى ضواحي  
سانت بطرسبرج.

وَالْقَيْصَرُ الرَّاحِلُ الْمُبَجَّلُ: المقصود هو  
الكسندر الأول.

نَهَضَ بِجَانِبِ مَدْخَلِهِ أَسْدَانٌ هَائِلَانٌ: الأسدان  
الحجريان اللذان يزينان مدخل مبنى وزارة  
الحربية.

وَحِصَانُهُ، أَيَّةُ نَارٍ فِي عَيْنَيْهِ!؛ تمثال بطرس الأكبر  
الذي أنجزه إ. م. فالكونيه (١٧١٠-١٧٩١).

بدأ بوشكين في كتابتها في يناير ١٨٢٤ قبل  
نفيه إلى "ميخايلوفسكوى". وفي منفاه عاد  
إليها، واستمر يعمل فيها مدة شهرين كاملين  
حتى أنهاها. ولم يسمح الوضع السياسي-  
عقب فشل انتفاضة الديسمبريين- بنشرها.  
لكن نُسخًا بخط اليد للقصيدة- المفعمة  
بالتوق إلى الحرية وكرهية النظام الاجتماعي  
والسياسي في تلك الحقبة- انتشرت بصورة  
واسعة النطاق، وأصبحت قصيدة شعبية لدى  
الأوساط الديسمبرية. وفي رسالة بتاريخ ٢٥  
مارس ١٨٢٥ كتب ريليف إلى بوشكين:  
"الجميع مفتونون بفجرك".

الفجر:



ولم تسمح الأوضاع اللاحقة لانتفاضة  
الديسمبريين بنشر القصيدة، التي لم يُقدَّر  
لها النشر إلا عام ١٨٢٧؟ دون ذكر اسم  
المؤلف، واكتُفي فحسب بكتابة "كُتبت في  
١٨٢٤".

الأسطورة التي لم تَمُتْ أبداً: الإشارة إلى  
"أوفيد" الشاعر الروماني المنفى.

موزار وساليري:

وضع بوشكين خطة المسرحية عام ١٨٢٦ في  
ميخايلوفسكوى، واكتملت المسرحية في ٢٦  
أكتوبر ١٨٣٠ في بولدينو. وكان بوشكين  
يريد- في الأصل- أن يضع للمسرحية عنوان  
"الغيرة"، وهو ما تشير إليه الملحوظة التي  
كتبها أوائل الثلاثينيات:

"خلال أول عرض لـ"دون جيوفاني"، حين  
أنصت الجمهور كله- الملئ بالخبراء  
المدهوشين- بنشوة إلى موسيقى موزار، أطلق  
شخصٌ ما صفيراً. التفت الجميع إلى مصدر  
الصوت بازدياء، ورأوا ساليري الشهرير يفادر  
القاعة في غضب، وقد أكلته الغيرة. وتوفى

سالييرى بعد ثمانى سنوات تقريباً. وقالت  
إحدى المجلات الألمانية إن سالييرى- على  
فراش الموت- قد اعترف بجريمته الرهيبة  
فى تسميم موزار العظيم. فأى رجل غيور  
يطلق صيحة استهجان من "دون جيوفانى"  
كان قادراً على تسميم صانع هذه الموسيقى".  
وقد نُشرت أخبار اعتراف سالييرى (١٧٥٠-  
١٨٢٥) على فراش الموت- بتسميم موزار- فى  
عدد من الصحف الأوروبية عام ١٨٢٥ بما حفز  
بوشكين على كتابة هذه المسرحية. وقد دافع  
أصدقاء سالييرى عنه بالقول إنه قد أعلن  
اعترافه فى لحظة تشوش عقلى. وما يزال  
بعض الباحثين المحدثين يثبتون أن سالييرى  
كان- فى الواقع- مذنباً فى هذه التهمة.  
وتعتبر هذه المسرحية هى الوحيدة من أعمال  
بوشكين التى عُرِضت خلال حياته، فى سانت  
بطرسبرج، فى ٢٧ يناير- ١ فبراير ١٨٣٢؟  
فيما كانت مصدر إلهام لبعض كتاب القرن  
العشرين.

إفيجينيا:

إشارة إلى إحدى أوبرات "جلوك".

جلوك (كريستوف ويلبالد): مؤلف موسيقى المانى (١٧١٤ - ١٧٨٧). قام

بتجديد الأوبرا، بعيداً عن المؤثرات الإيطالية،  
باحثاً عن البساطة والطبيعية. من أعماله  
"أورفى وإيريدس" و"السيست".

"فواشى سابيت": إحدى مقطوعات "زواج فيجارو" لموزار.

أوبرا من تأليف سالييرى، على كلمات ليومارشيه.  
"تارار":

بيتشيني (نيقولو): مؤلف موسيقى إيطالى (١٧٢٨ - ١٨٠٠). أَلَّف

أكثر من ١٣٠ أوبرا. أدت خصومته مع جلوك  
إلى معركة بين أنصاره (أنصار التقنية واللغة  
الإيطاليتين) وأنصار جلوك (أنصار الأوبرا  
باللغة الفرنسية والموسيقى الرصينة).

هايدن (فرانز جوزيف): مؤلف موسيقى نمساوى (١٧٣٢ - ١٨٠٩).

أَلَّف ١٠٤ سيمفونيات. وتغطى أعماله نهايات  
حقبة الباروك وصولاً إلى بدايات  
الرومانتيكية. وقد ساهم فى تحديد البنية  
الكلاسيكية للسيمفونية، واشتهر بالمقطوعات  
الموسيقية الدينية. وقد أَلَّف أعماله فى كافة  
الأشكال الموسيقية الكلاسيكية.

"بوناروتى":

تذكير بالأسطورة المختلقة التى تدعى أن  
مايكل انجلو- الفنان الإيطالى العظيم- قد  
طعن بالسكين الرجل/الموديل حتى يتمكن من  
التصوير الحى لآلام موت المسيح.

حورية الماء:

أعد بوشكين خطة المسرحية فى منفاه  
بميخايلوفسكوى عام ١٨٢٦ وكتب المسرحية  
فيما بين نوفمبر ١٨٢٩ وأبريل ١٨٣٢. وفى  
المخطوط الأسمى، لا تحمل المسرحية عنواناً،  
والعنوان الحالى هو من اقتراح مجلة  
"سوفريمينيك"، حيث نُشرت المسرحية للمرة  
الأولى عام ١٨٣٧.

## الأعلام

الكسندر الأول

(١٧٧٧-١٨٢٥): قيصر روسيا في الفترة (١٨٠١-١٨٢٥). نشر الأوهام عن ليبراليته، ثم ما لبث أن اتبع سياسة رجعية تماماً في الداخل والخارج، وخاصة بعد الانتصار الروسي على جيوش نابليون في ١٨١٢ الذي زاد من شعبيته. وخلال عهده، نُفي بوشكين إلى إيكاترينوسلاف، ثم إلى ميخايلوفسكوى.

بنكندورف

(١٧٢٨-١٨٤٤): قائد البوليس في روسيا في عهد نيقولا الأول وساعده الأيمن.

بوجاتشو:

قائد الحرب الفلاحية الكبرى عام ١٧٧٣. وهي أقوى حركة معادية للإقطاع في تاريخ روسيا. وقد اندلعت خلال حكم يكاترينا الثانية.

بيلينسكى

(١٨١١-١٨٤٨): أحد مؤسسى الأيديولوجية الديمقراطية الثورية، وأحد مؤسسى الاتجاه الواقعى فى الأدب الروسى. وضع مؤلفات اجتماعية وأبحاثاً عديدةً فى الأدب، حلل فيها تطور الأدب الروسى وقضاياها الكبرى.

جوجول

(١٨٠٩-١٨٥٢): روائى وقصاص روسى، وأحد كبار كتاب القصة فى العالم. لعب دوراً حاسماً فى صياغة الاتجاه الواقعى فى الأدب الروسى.

جوكوفسكى

(١٧٨٢-١٨٥٢): شاعر ومؤسس الاتجاه الرومانتيكى فى الأدب الروسى، لكن أشعاره الحاملة كانت بعيدةً عن الحياة الروسية. وكان مُقرباً من القيصر نيقولا الأول.

دارشياك:

موظف بالسفارة الفرنسية. شاهد "دانتس" - قاتل بوشكين - فى المبارزة.

دانتس:

بارون فرنسى، هاجر وانضم إلى الجيش الروسى. تبنى البارون "هيكرن" - وزير هولندا المفوض فى العاصمة الروسية - بصورة رسمية، ووجد فيه "دانتس" نفوذاً وحماية. كان موضع إعجاب كبير من نساء مجتمع سانت-بطرسبرج

الراقى. لاحق زوجة بوشكين بإلحاح، ودفع بحملة الشائعات والنميمة إلى أقصاها لتمسك بخناق بوشكين. واستمر في مغازلة زوجته- بعد زواجه من شقيقتها- مدعوماً بنفوذ البارون "هيكرن" فى الأوساط العليا لسانت-بطرسبرج، وموافقة نيقولا الأول الصامتة، بما اضطر بوشكين إلى إرسال التحدى الأخير للمبارزة القاتلة.

(١٧٤٣-١٨١٦): أبرز شعراء القرن الثامن عشر فى روسيا. طور لغة الشعر الروسية، ومهد لظهور بوشكين.

درجافين

شاعر روسى، صديق بوشكين. أصدر "الجريدة الأدبية" فى ١٨٣٠؟ وأثار ظهورها القلق فى الأوساط القيصريّة، رغم أنها أدبية.

دلشيج:

(١٧٤٩-١٨٠٢): أحد رواد الفكر التنويرى فى روسيا. نُفى إلى سيبيريا بسبب كتابه "رحلة من بطرسبرج إلى موسكو"، الذى ارتفعت فيه- لأول مرة فى التاريخ الروسى- الدعوة للقضاء على عبودية الأقنان والحكم المطلق، وإقامة

راديشيف

الجمهورية. عاد إلى بطرسبرج عام ١٨٠١. وانتحر في العام التالي. تركت مؤلفاته أثراً بارزاً في تطور الأفكار الاجتماعية في روسيا.

شاداييف

(١٧٩٤-١٨٥٦): فيلسوف مثالي روسي. نشر في ١٨٢٦ "رسالة الفلسفة"، وكانت نقداً حاداً لنظام القنانة في روسيا، وشكلت- رغم طابعها التشاؤمي- نقطة انطلاق ثوري بعد هزيمة الديسمبريين.

كارامزين

(١٧٦٦-١٨٢٦): كاتب وناقد ومؤرخ. اعتُبر حُجة زمانه في النقد والتاريخ. ساهم في تطوير اللغة والأدب في روسيا.

لومونوسوف

(١٧١١-١٧٦٥): شاعر وفيلسوف، وأحد كبار علماء القرن الثامن عشر. لعبت مؤلفاته دوراً كبيراً في تطوير اللغة والأدب الروسي.

ليرمونتوف:

ثاني أكبر شاعر روسي بعد بوشكين، وأحد كبار الروائيين الروس. شغل الفراغ الشعري الذي خلفه مقتل بوشكين المفاجئ، ودفع بالشعر والرواية الروسية خطواتٍ إلى الأمام. قُتل- هو أيضاً- في مباراة مشبوهة.

(١٨١١-١٨٤١)



نوفيكوف

(١٧٤٤-١٨١٨): من أبرز ممثلى حركة التنوير الروسية فى القرن الثامن عشر. أصدر مجلتى "اليغسوب" و"الرسام" الساخرتين. فضح قسوة نظام القنانة، ونشر- لأول مرة فى روسيا- مؤلفات شكسبير وثيرفانتيس وموليير وبومارشيه. أسس أول مجلة روسية للأطفال. ألقى القبض عليه عام ١٧٩٢ لنشاطه المناوئ لنظام القنانة.

نيقولا الأول

(١٧٩٧-١٨٥٥): قيصر روسيا (١٨٢٥-١٨٥٥) اعتلى العرش عقب وفاة الكسندر الأول. دشن حكمه بالتصفية الدموية لانتفاضة الديسمبريين. تُعتبر فترة حكمه من أقسى فترات تاريخ روسيا القيصرية.

هيرزن

(١٨١٢-١٨٧٠): من أكبر المفكرين الروس، ومؤسس الحركة الثورية المعادية للأوتوقراطية القيصرية. فضح- فى أعماله الأدبية- نظام الحكم المطلق وظلم القنانة، ولعب دوراً رائداً فى النضال ضدهما.

Alexander Pushkin, Selected Works in two Volumes, Volume one, Poetry, Progress Publishers, Moscow, Second printing, 1976.

Plekhanov, Art and social life, Progress Publishers, Moscow, third printing, 1977.

جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة الدكتور صالح جواد الكاظم، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، سلسلة الكتب المترجمة، بغداد ١٩٧٨.

ف. كيربوتين، أ. ليجنيش، ق. فرمان، جيرمونسكى: بوشكين، ترجمة خيرى عزيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤.

م. أوفسيانيكوف، ز. سميرنوف: موجز تاريخ النظريات الجمالية، ترجمة باسم السقا، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٥.

لاشريتسكى: فى سبيل الواقعية، ترجمة الدكتور جميل نصيف، مراجعة الدكتورة حياة شرارة، منشورات وزارة الإعلام العراقية، سلسلة الكتب المترجمة، بغداد ١٩٧٤.

هنرى ترويا: بوشكين، تلخيص الدكتور فؤاد أيوب، دار بيروت

للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٦.

يبنيانوف، فيدوسوف: موجز تاريخ الاتحاد السوفييتي، ترجمة  
خيرى الضامن ونقولا طويل، دار التقدم، موسكو.

## للمترجم: رفعت سلام

### ١ - أعمال شعرية:

وردة الفوضى الجميلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة  
١٩٨٧.

إشراقات رفعت سلام (طبعة غير كاملة)، القاهرة ١٩٨٧، الطبعة  
الكاملة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢.

إنها تومئ لى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٢، سلسلة  
"نوافذ"، القاهرة ١٩٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة  
٢٠٠٥.

هكذا قلتُ للهاوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢.

إلى النهار الماضى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.

كأنها نهاية الأرض، مركز الحضارة العربية، القاهرة ١٩٩٩.

حجر يطفو على الماء، دار "الدار"، القاهرة ٢٠٠٨.

### ٢ - دراسات:

المسرح الشعرى العربى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة  
١٩٨٦.

بحثاً عن التراث العربى: نظرة نقدية منهجية، دار الفارابى، بيروت  
١٩٩٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦.

بحثاً عن الشُّعر، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة "دراسات  
نقدية")، القاهرة ٢٠١٠.

٣- ترجمات:

بوشكين: الفجر.. وقصائد أخرى، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨٢.  
ماياكوفسكى: غيمة فى بنطلون.. وقصائد أخرى، دار الثقافة  
الجديدة، القاهرة ١٩٨٥، طبعة مزيدة: المجلس الأعلى للثقافة،  
القاهرة، ١٩٩٨.

كربرشويك: الإبداع القصصى عند يوسف إدريس، دار شهدى،  
القاهرة ١٩٨٧، طبعة كاملة: دار سعاد الصباح، القاهرة والكويت  
١٩٩٣.

ليرمونتوف: الشيطان.. وقصائد أخرى، اتحاد كتاب وأدباء  
الإمارات، الشارقة ١٩٩١، دار "نفوس"، القاهرة ٢٠٠٧.

يانيس ريتسوس: اللذة الأولى (مختارات شعرية)، المحققة الثقافية  
اليونانية، القاهرة ١٩٩٢، دار الينابيع، دمشق ١٩٩٧.

هذه اللحظة الرهيبة (قصائد من كرواتيا)، المركز المصرى العربى  
للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧.

يانيس ريتسوس: البعيد (مختارات شعرية شاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧.

جريجورى جوزدانييس: شعرية كفاى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩.

دراجو شتامبيوك: نجومٌ منطفئةٌ على المنضدة، (صدر- خطأ- بعنوان "لغة التمزق")، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (٢٠٠١)، دار "نضرو"، القاهرة ٢٠٠٧.

مراجعة وتقديم:

شارل بودليير: الأعمال الشعرية الكاملة، دار الشروق، القاهرة ٢٠١٠.

سوزان برنار، قصيدة النثر من بودليير حتَّى الآن،

مراجعة وتقديم: دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٨ / ٢٠٠٠.

مراجعة: برنار نويل، ماجريت، ترجمة راوية صادق، دار شرقيات، القاهرة ١٩٩٩.

مراجعة وتقديم:

جان ديقاساً نياما، ثلاثية "الكالباس" الروائية، ترجمة عاطف عبد

المجيد، د. نسرين شكرى، إيمان رياح، سلسلة الجوائز، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠.

## الفهرس

### الغجر.. وقصائد أخرى

- ٧ ..... عبد المحسن يوسف: أرغفة (بوشكين) المضيئة
- ١٥ ..... رفعت سلام: زمنٌ للشعر والجريمة
- ٥٧ ..... القصائد
- ٥٩ ..... النصب الذي أقمته ...
- ٦١ ..... إلى شاداييف
- ٦٣ ..... أمنية
- ٦٥ ..... إلى أ. ب. كيرن
- ٦٨ ..... الأغنية الباخوسية
- ٧٠ ..... إلى ...
- ٧٢ ..... النبي
- ٧٥ ..... الوصية العاشرة

٧٧	..... الشَّيَاطِينِ
٨٢	..... مَرثِيَّةٌ
٨٤	..... مَنَسِيَّةٌ بِصَمَاتِ الْحَقِيبَةِ .....
٨٦	..... مَاذَا يَعْنِي لَكَ اسْمِي؟
٨٨	..... عِنْدَمَا آخُذُ قَوَامِكَ النَّحِيلِ .....
٩٠	..... الصَّدَى
٩٢	..... الرَّغْبَةُ تَتَلَأَشَى .....
٩٤	..... إِذَا مَا خُدِعْتَ بِالْحَيَاةِ .....
٩٥	..... تَحْتَى يَسْتَلْقَى الْقَوْقَازَ .....
٩٨	..... عِنْدَمَا أَتَمَشَى .....
١٠١	..... الْفَنَّانَ
١٠٣	..... أَحْبَبْتُكَ .....
١٠٤	..... الْحُلْمَ
١٠٥	..... الْمُغْنَى
١٠٧	..... إِلَى شَوَاطِئِ الْوَطَنِ .....
١٠٩	..... أَزْهَارُ الْخَرِيفِ الْأَخِيرَةِ .....
١١٠	..... قَوْقَ تِلَالِ جُورْجِيَا .....
١١١	..... إِلَى شَاعِرٍ .....
١١٢	..... إِلَى الْجَمَالِ



- ١١٥ ..... فِي مَنَاجِمِ سَيِّيرِيَا  
 ١١٧ ..... عِنْدَمَا أَهِيْمُ فِي الْمَدِيْنَةِ  
 ١٢٠ ..... مِحَادَثَةٌ بَائِعٍ كُتِبَ مَعَ شَاعِرٍ  
 ١٢٢ ..... وَحِيداً فِي نِهَائِيَاتِي ..  
 ١٢٣ ..... أَنْشَارٌ .....  
 ١٢٧ ..... لَا أَسَى ...  
 ١٢٩ ..... جَهْلِيَّ الْمُعْتَادَ .....  
 ١٣٢ ..... لَا تُغْنِي، أَيُّهَا الْجَمِيْلَةُ .....  
 ١٣٤ ..... الْأَسِير .....  
 ١٣٦ ..... طَائِرٌ صَغِيرٌ .....  
 ١٣٧ ..... الْمُغْنَى .....  
 ١٣٩ ..... مَسَاءٌ .....  
 ١٤١ ..... يَزْدَادُ الْحُطَامُ الْمُحَلَّقُ .....  
 ١٤٣ ..... الْعَاصِفَةُ .....  
 ١٤٥ ..... هُوَ الْوَقْتُ .....  
 ١٤٦ ..... الْفَارِسُ الْبُرُونَزِي .....  
 ١٨٠ ..... الْفَجْر .....  
 ٢١٨ ..... مَسْرَحٌ شِعْرِي .....

٢١٨ ..... مُوزَار وَسَالِيِيرِي

٢٣٨ ..... حُورِيَّة الْمَاء

٢٨٠ ..... إِضَاءَات

٢٩٣ ..... الْأَعْلَام

٢٩٨ ..... الْمَصَادِر

## منافذ بيع مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب

- |  |  |
|--|--|
| مكتبة المعرض الدائم<br>١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق<br>مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب<br>القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧ | مكتبة ساقية<br>عبد المنعم الصاوي<br>الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو<br>من أبو الضدا - القاهرة |
| مكتبة مركز الكتاب الدولي<br>٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة<br>ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨  | مكتبة المبتليان<br>١٣ ش المبتديان - السيدة زينب<br>امام دار الهلال - القاهرة             |
| مكتبة ٢٦ يوليو<br>١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة<br>ت : ٢٥٧٨٨٤٣١  | مكتبة ١٥ مايو<br>مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز<br>ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨                   |
| مكتبة شريف<br>٣٦ ش شريف - القاهرة<br>ت : ٢٣٩٣٩٦١٢  | مكتبة الجيزة<br>١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة<br>ت : ٣٥٧٢١٣١١                         |
| مكتبة عرابي<br>٥ ميدان عرابي - التوفيقية - القاهرة<br>ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥   | مكتبة جامعة القاهرة<br>بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعي -<br>الجيزة                   |
| مكتبة الحسين<br>مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة<br>ت : ٢٥٩١٣٤٤٧   | مكتبة رادوييس<br>ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة<br>مبنى سينما رادوييس                   |

## مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع  
محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

## مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

## مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

## مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

## مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

## مكتبة الإسماعيلية

التملك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل ( ١ ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

## مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

## مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً

## مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

## مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

## مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

## مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

## مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

## مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

## مكتبات ووكلاء

### البيع بالدول العربية

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات

والأدوات الكتابية - جدة - الشرقية -

شارع الستين - ص.ب: ٣٠٧٤٦ جدة :

٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ -

٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨ .

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -

الرياض - المملكة العربية السعودية -

ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت:

٤٥٩٣٤٥١ .

٤ - مؤسسة عبدالرحمن

السديري الخيرية - الجوف -

المملكة العربية السعودية - دار الجوف

للعلوم ص.ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:

٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠

### الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع

ت: ٤٦١٨١٩١ - ٤٦١٨١٩٠

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين

ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +

تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +

ص.ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان ١١١٥٢ الأردن .

### لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة -

بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣

ص.ب: ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

بيروت - الفرع الجديد - شارع

الصيداني - الحمراء - رأس بيروت -

بناية سنتر مارييا

ص.ب: ١١٣/٥٧٥٢

فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

### سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -

سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -

المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص.ب: ٧٣٦٦

- الجمهورية العربية السورية

### تونس

المكتبة الحديثة. ٤ شارع الطاهر صفر-

٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

### المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض

(ص.ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع

طريق الملك فهد مع طريق العروية -

هاتف: ٤٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ .



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب  
ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رمسيس

[www.maktabetelosra.org.eg](http://www.maktabetelosra.org.eg)

E - mail : [info@egyptianbook.org.eg](mailto:info@egyptianbook.org.eg)



تذكرت بمناسبة مرور عشرين عاماً على بدء مشروع القراءة للجميع عام ١٩٩٠،  
حكايته تقول إن الفيلسوف اليوناني أرسطو كان معلماً للإسكندر المقدوني، وإنه  
استطاع أن يشحن وجدان الإسكندر، ويشجّر غيبته ولعاً بكل أشكال التعليم والقراءة،  
حتى إن الإسكندر لم يكن يظهر إلا وفي يده كتاب، لكن حدث خلال إحدى رحلاته  
إلى آسيا أن عانى فلة الكلب، فإذ به يأمر أحد قادة جيوشه أن يحضره بعض ما  
يقروه وكان هذه الحكاية قد جاء تذكرها بمثابة حساب للنفس عما أختبرناه جنياً  
لايعاني أحد فلة الكلب وجوداً وثمناً، فنجلت مكنته الأسرة، التي بدأت عمام  
١٩٩٤، هي المصاحبة الواقعية التي تجاوزنا بها تلك المشكلة، تحقيقاً للإرادة  
العامة للكتاب، وذلك بالربط بين اتساع إصداراتها المتنوعة في شتى مجالات  
المعرفة، والدعم المادي الذي تتمتع به أسعار تلك الإصدارات، فتجعلها في  
متناول الجميع. وقد تلازم نشاط مكنته الأسرة لسنوات عدة مع فعاليات  
مشروع القراءة للجميع، لكننا أخيراً الكنا ضرورة استمرار إصدارات مكنته  
الأسرة طول العام، انطلاقاً من حكمة قديمة ما زالت تعاصرنا، وهي أن  
من يستطيع القراءة، يستطيع رؤية ضعف ما يراه الآخرون.

سوزان مبارك



ISBN # 9789774215001



6 221149 018686

مكتبة  
القراءة للجميع  
٢٠١٠